عمليات الأنفال في كردستان العراق

صاحب الامتياز
حافظ قاضي

رئيس التحرير
مؤيد طيب

حقوق الطبع محفوظة

- **تسلسل الاصدار: (١٧٨)**
- **عنوان الكتاب:** عمليات الانفال في كردستان العراق
- **تأليف:** علي نبي صالح دوسكي
- **تصميم وتنضيد:** تحسين ابراهيم دوسكي
- **الغلاف:** بيار جميل
- **الاشراف الطباعي:** شيروان احمد طيب
- **الطبعة:** الاولى
- عدد النسخ: **(٧٥٠)** نسخة
- **رقم الايداع:** ( ) لسنة ٢٠٠٦
- **مطبعة حجي هاشم - اربيل**

العنوان
كوردستان العراق – دهوك
مبنى اتحاد نقابات عمال كوردستان
الطابق الثالث
هاتف: ٧٢٢٥٣٧٦ - ٧٢٢٢١٢٥

www.spirez.org
www.spirezpage.net

دار سپيرێز للطباعة والنشر — **SPIREZ PRESS & PUBLISHER**

عمليات الأنفال
في كردستان العراق

دراسة دينية اجتماعية

علي نبي صالح الدوسكي

2006

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسألونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصلِحُوا ذَاتَ بَينِكُم وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ ﴾ .

(سورة الأنفال : ١)

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمَ :

" كُلُّ المُسلِمِ عَلَى المُسلِمِ حَرَامٌ : عِرضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ "

(رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ)

إهداء و رجاء

كانت النية أن يهدى هذا البحث إلى الرجل الذي خرّ راكعاً عند عتبة حلبجة وهو يضم طفله الرضيع إلى صدره وكأنه يريد أن يقيه سم الظالمين ، وجبروت الطغاة المعتدين .. ولسان حال المنون يهتف خلفه :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فإذا به مع طفله في لحظات جثتين هامدتين يقدمان على ربهما يشكوان إليه ضعفهما ، وقلة حيلتهما ، وهوانهما على الناس !!

ولكن شاء القدر أن يتوقف القلم في يد الباحث وهو يتهيأ لكتابة الفصل الأخير من تراجيديا الأنفال السوداء ، بعد أن خرّ هو الآخر راكعاً أمام مسجده .. آخذاً معه بقية القصة المحزنة التي طالما أنهكت قلبه وهو يبحث عنها في زوايا المجهول ، فسبق .. وكل طول سلامة قدرٌ ، وكل منية بقضاء .

الحق نادى فاستجبت ولم تزل بالحق تحفل عند كل نداء

فإلى الراكعَيْن .. تحية ووفاءً ، على أمل أن نرى اليوم الذي تنتهي فيه قصة أحزاننا بفرح الحرية والاستقلال والسعادة .

كلمة لا بد منها

الصفحات التي بين يديك عزيزي القارئ أعدت ـ في الأصل ـ من قبل كاتبها لتكون جزءاً من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في أصول الدين ، وقد قدمت إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الجنان في الجمهورية اللبنانية ، وكانت تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمود مصطفى عبود ، وهي حسب علمنا أول رسالة أكاديمية تبحث عن مأساة الأنفال من وجهة نظر إسلامية وتقدم إلى جامعة عربية ، ولا ريب أنها ـ لو قدر لها أن تتم ـ كانت ستحدث أثراً طيباً في الأوساط العلمية ، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى لهذا المشروع أن لا يكتمل ، وأن تبقى قصة الأنفال ـ ثانية ـ مفقودة النهاية ، وذلك بعد أن رحل عنا الباحث وهو يتهيأ لكتابة الفصل الأخير من أصل الرسالة التي كانت ستتعرض لتغييرات وتصليحات عديدة كما كان الكاتب يصرح به أكثر من مرة ، وذلك بعد أن يطلع بعض الأساتذة والمختصين على ما كتبه ، ويواصل رحلاته الميدانية في المناطق التي اكتوت بنيران الأنفال ليستمع من المؤنفلين مباشرة قصص آلامهم ومآسيهم ، وما تعرضوا له من المحن والكوارث .

وكان الباحث قد أطلع أستاذه المشرف على خطته في البحث ، ومسودات فصول الباب الأول ، وتلقى منه بعض الملاحظات والتعديلات ، وكان من المقرر بعد أن ينتهي من كتابة الفصل المتبقي أن يلتقي بأستاذه المشرف ثانية ليقدم له أصل الرسالة فيحدد موعد للمناقشة ، وهو ما لم يتم .. وأنا إنما أذكر هذا هنا ليعلم القارئ الكريم أن الصفحات التي يجدها بين دفتي هذا الكتاب إنما هو بحث كان في طريقه إلى الاكتمال لكنه لم يكتمل ، وأنه بمثابة مسودة لم تنقح ، لذلك قد يجد هنا وهناك نواقص وأقوس فارغة ! فضلاً عن بقاء الفصل الأخير المتعلق بنتائج وآثار عمليات الأنفال مع الخاتمة

والتوصيات بلا كتابة ، وحتى الفصول التي انتهى الباحث من كتابتها كان ينوي ـ كما أسلفنا ـ أن يعيد فيها النظر وينقحها .

ولكن لما كان البحث في مراحله النهائية ، وقد قطع الباحث أشواطاً مهمة فيه ، أردنا أن نعنى به ونهيئه للطبع ، ونضعه بين أيدي القراء كما تركه الباحث وفاء له وحتى لا تذهب جهوده سدى ، ولا أشك أن الجهود المبذولة في هذا البحث غير يسيرة وأن الفائدة المرجوة منه كثيرة ، ولعل باحثاً آخر يأتي في قادم الأيام فيكمل ما بدأه صاحب هذا البحث رحمه الله .

أما الباحث فمن الشخصيات المعروفة في الأوساط الدينية والعلمية في محافظة دهوك ، وهو من مواليد ١٩٥٣ في قرية (گرماڤا) شمالي مدينة دهوك ، درس الابتدائية والثانوية في دهوك ، ثم التحق بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وتخرج فيها سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م حاصلاً على شهادة الليسانس في العلوم الشرعية .

بعد تخرجه عمل إماماً وخطيباً في بعض جوامع دهوك ، كما كان محاضراً في ثانوية الدراسات الإسلامية ومدرسة الأوقاف الدينية ، وبعد تأسيس كلية الشريعة في مدينة دهوك إثر انتفاضة ١٩٩١ م ـ وكان هو من مؤسسيها ـ أصبح محاضراً فيها عدة سنوات ، ثم واصل دراسته العليا حتى حصل على شهادة الماجستير في أصول الدين من كلية الشريعة في جامعة دهوك سنة ٢٠٠٠ م عن رسالته الموسومة (الملا خليل السيرتي ومنهجه في إثبات العقائد الإسلامية من خلال منظومته نهج الأنام) التي نالت درجة الامتياز .

ثم قُبلَ طالباً للدكتوراه في جامعة الجنان بجمهورية لبنان ، ولحسه القومي وحباً منه في خدمة قضية شعبه المظلوم اختار مأساة الأنفال المشؤومة موضوعاً لرسالته مبيناً حكم الشرع الحنيف في هذه النازلة التي تعرض لها شعب مسلم على أعين العالم الإسلامي وغيره دون أن يتحرك أحدهم ساكناً فيواسي إخواناً لهم في الدين والإنسانية ، وقد ذكر في الأسباب التي دفعته لاختيار هذا الموضوع أنه ساءه عدم

الاهتمام بهذه النازلة في حينها بل وكتمانها من قبل الدوائر الرسمية وغير الرسمية في العالم الإسلامي ، وعدم قيام أحد من الباحثين بكتابة بحث أكاديمي حول هذه النازلة ، ودراستها من المنظور الشرعي الإسلامي ، فأراد أن يكون هو هذا الباحث الذي يتصدى لهذه المهمة ، وكان لها .. لولا أن الأجل كان أسرع من الأمل فاختطفه الموت من بيننا في (٢٩ / ٦ / ٢٠٠٦) إثر جلطة قلبية تعرض لها رحمه الله .

وكان معروفاً بسلامة معتقده ، وبمواقفه الحاسمة في نصرة الدين وأهله ، وخدمة أبناء قومه ، وحباً منه في نشر العلم الشرعي وخدمة طلاب العلم كان قد أسس في مسجده بدهوك سنة ١٩٩٢ مدرسة أهلية لتخريج الأئمة والخطباء قصدها عدد كبير من الطلبة من شتى أنحاء كردستان وتخرجوا فيها .

والشكر الجزيل ـ في ختام هذه الكلمة ـ موصول إلى كل من ساعد المؤلف وساهم في إثراء البحث بتقديم المعلومات أو توفير المصادر ، كما نشكر باسم عائلة المؤلف دار (سپيريز) للطباعة والنشر في دهوك ، ونخص بالذكر مدير الدار الأستاذ مؤيد طيب ، لتعهده بطبع هذا الأثر ونشره ، فجزاه الله خيراً .

تحسين إبراهيم الدوسكي

٢٩ / ٧ / ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين [1] .

وبعد : فالكرد منذ القدم يعيشون في وطنهم كردستان ، وقد شتتهم الأحداث التاريخية إلى أجزاء مختلفة ، منها الجزء الذي ألحق بـ (دولة العراق) بعد تأسيسها ، ومنذ تأسيس هذه الدولة إلى الآن كانت الأنظمة الحاكمة فيها تعامل الكرد معاملة لا تنسجم مع قاعدة الأخوة الإسلامية ، فقد تعرض الكرد إلى عمليات إبادة جماعية منظمة في سنة (١٩٨٨) سماها النظام (عمليات الأنفال) أستخدمت فيها أنواع مختلفة من أسلحة الدمار الشامل ، وصفّ اسم مدينة (حلبجة) الكردية إلى جانب اسم مدينتي (هيروشيما وناكازاكي) اليابانيتين ، واستشهد في هذه العمليات أكثر من (١٨٢) ألف نسمة ، معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة ، وهدمت فيها ما يقارب من (٥٠٠٠) قرية وقصبة .

وللتعرف على حقيقة هذه العمليات وأسبابها ، ومضاعفاتها ، وبيان حكم الشرع فيها ، اخترتها كموضوع لأطروحتي التي أقدمها لنيل درجة الدكتوراه .

منهجي في هذه الأطروحة :

١ ـ سأتبع في كتابتي لهذه الأطروحة ـ إن شاء الله ـ القواعد والضوابط العلمية المعروفة والمتبعة في المعاهد والجامعات .

٢ ـ سأبين مدلول ومفهوم الأنفال في الإسلام ، ومع من تشرع الأنفال ومتى ، مبيناً آراء العلماء في ذلك .

---

(١) هذه المقدمة هي التي كتبها الباحث لمشروع الخطة التي تقدم بها إلى مجلس الجامعة ، أما المقدمة التي كان ينوي كتابتها لأصل الرسالة فبقيت هي الأخرى دون كتابة فينبغي ملاحظة ذلك .

٣ ـ أقوم ببحث ميداني ، وذلك بزيارة المناطق التي شملتها الأنفال .

٤ ـ أقوم بمقابلات مع شخصيات وأقارب المصابين والمعرضين لهذه العمليات .

٥ ـ سأدعم البحث بالوثائق الرسمية المعتمدة بقدر الإمكان .

٦ ـ أما توثيق النصوص فأقوم بعزو الآيات القرآنية إلى سورها وضبطها بالرقم ، وأخرج الأحاديث النبوية وفق الطرق المعروفة عند أهل التخريج .

٧ ـ أترجم للأعلام غير المشهورين ، إذا ورد ذكرهم في البحث ولن أترجم للصحابة والأئمة الأربعة .

٨ ـ أترجم للفرق إذا ورد ذكرها .

٩ ـ أوضح معاني الألفاظ والمصطلحات الغريبة .

١٠ ـ أدعم البحث بخرائط المناطق التي شملتها عمليات ما يسمى الأنفال [١] .

أهمية هذا البحث :

تكمن أهمية هذا البحث فيما يلي :

١ ـ إن أي بحث علمي ، أو أية رسالة أكاديمية إنما تستمد أهميتها من موضوعها ، وموضوع هذه الأطروحة يتعلق بنازلة مفجعة تعتبر من أفجع النوازل التي أصاب بها شعب مسلم على أيدي حكامه ، تحت شعار إسلامي مقدس والإسلام منه بريء .

٢ ـ أكثر شعوب العالم ومنها الشعوب المسلمة لا يعرفون عن حقيقة هذه النازلة شيئاً إلا نادراً .

٣ ـ هذه النازلة قد أهملت في حينها ، ولا بد من بيان حقائقها وكشف النقاب عنها .

الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا البحث :

أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هي :

---

(١) ولا يخفى على القارئ أن القدر لم يمهل الباحث لتطبيق هذا المنهج العلمي على كل رسالته .

١ ـ عدم الاهتمام بهذه النازلة في حينها بل وكتمانها من قبل الدوائر الرسمية وغير الرسمية في العالم الإسلامي .

٢ ـ عدم كتابة البحوث الأكاديمية حول هذه النازلة ودراستها من المنظور الشرعي الإسلامي .

خطة البحث :

تشتمل هذه الأطروحة على مقدمة وبابين وخاتمة .

أما المقدمة وهي هذه فقد تناولت فيها أهمية هذا البحث ، وأهم الدوافع التي حملتني على اختيار الموضوع ، والمنهج الذي سأتبعه ، مع بيان الصعوبات التي ستواجهني عند جمع المادة من المصادر المتفرقة .

وأما البابان فيكونان كالآتي :

الباب الأول

الأنفال في الإسلام

الفصل الأول : تعريف الأنفال ، حكمها ومشروعيتها .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الأنفال لغة واصطلاحاً .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الأنفال لغة .

المطلب الثاني : تعريف الأنفال اصطلاحاً .

المبحث الثاني : حكم الأنفال ومشروعيتها .

الفصل الثاني : الأنفال ودار الحرب .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الدار .

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : تعريف الدار لغة .

المطلب الثاني : تعريف الدار اصطلاحاً .

المبحث الثاني : وصف القرآن للدارين وتعريفهما عند الفقهاء .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وصف القرآن للدارين .

المطلب الثاني : تعريف الدارين عند الفقهاء .

المبحث الثالث : هل تنقلب دار الإسلام إلى دار حرب ؟

الفصل الثالث : كردستان العراق دار إسلام .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن الكرد ودخولهم في الإسلام .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الكرد قبل الإسلام .

المطلب الثاني : الكرد بعد دخولهم في الإسلام .

المبحث الثاني : جهود الكرد في خدمة الإسلام .

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : المجال الجهادي (العسكري) .

المطلب الثاني : المجال العلمي

المبحث الثالث : كردستان العراق دار إسلام .

الفصل الرابع : عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الفتن والهرج .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الفتن لغة .

المطلب الثاني : تعريف الفتن اصطلاحاً .

المطلب الثالث : تعريف الهرج لغة .

المطلب الرابع : تعريف الهرج اصطلاحاً .
المبحث الثاني : أنواع الفتن .
المبحث الثالث : موقف الصحابة من الفتن التي وقعت في عهدهم .
المبحث الرابع : موقف المسلمين من الفتن .
المبحث الخامس : حكم المشاركة في الفتن .
المبحث السادس : عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج .

الباب الثاني

حملات الأنفال في كردستان العراق

الفصل الأول : الكرد وتشكيل الدولة ا لعراقية .
وفيه أربعةثة مباحث :
المبحث الأول : الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة العراقية .
المبحث الثاني : نشأة الدولة العراقية وإلحاق جنوب كردستان بها .
المبحث الثالث : القضية الكردية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٦٨ .
المبحث الرابع : حزب البعث والقضية الكردية .
الفصل الثاني : حملات الأنفال في كردستان العراق .
وفيه ستة مباحث :
المبحث الأول : عمليات الأنفال الأولى
٢٨ شباط ـ ١٩ آذار ١٩٨٨
المبحث الثاني : عمليات الأنفال الثانية
٢٢ آذار ـ ١ نيسان ١٩٨٨
المبحث الثالث : عمليت الأنفال الثالثة
٧ نيسان ـ ٢٠ نيسان ١٩٨٨
المبحث الرابع : عمليات الأنفال الرابعة

٣ أيار ـ ٨ أيار ١٩٨٨

المبحث الخامس : عمليات الأنفال الخامسة ،

السادسة ، السابعة

١٥ أيار ـ ٢٦ آب ١٩٨٨

المبحث السادس عملية الأنفال الثامنة ، خاتمة الأنفال

الفصل الثالث : مرحلة ما بعد الأنفال .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مرحلة ما قبل التجمعات القسرية .

المبحث الثاني : مرحلة التجمعات القسرية .

المبحث الثالث : أوضاع اللاجئين في المجمعات .

المبحث الرابع : قصص لم يروها التاريخ .

الفصل الرابع : نتائج وآثار عمليات الأنفال .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نتائج عمليات الأنفال .

أولاً : من الناحية العسكرية .

ثانياً : من الناحية السياسية .

المبحث الثاني : آثار عمليات الأنفال .

أولاً : من الناحية البيئية .

ثانياً : من الناحية السكانية .

ثالثاً من الناحية الاقتصادية .

رابعاً : من الناحيةالاجتماعية .

خامساً : من الناحية النفسية .

المبحث الثالث : المقابر الجماعية .

الخاتمة

الباب الأول
الأنفال في الإسلام

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : **تعريف الأنفال ، حكمها ومشروعيتها**

الفصل الثاني : **الأنفال ودار الحرب**

الفصل الثالث : **كردستان العراق دار إسلام**

الفصل الرابع : **عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج**

الفصل الأول
تعريف الأنفال ، حكمها ومشروعيتها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الأنفال لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : حكم الأنفال ومشروعيتها

المبحث الأول
تعريف الأنفال لغة واصطلاحاً

المطلب الأول : تعريف الأنفال لغة :

قال في لسان العرب : (نفل : النَّفَل ، بالتحريك : الغنيمةُ والهبةُ قال لبيد :

إنّ تَقْوَى رَبِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذْنِ اللّهِ رَيْثي والعَجَلْ

والجمع أَنْفال و نِفال .. نَفَلَه نَفَلاً و أَنْفَله إِيَّاه و نَفَله ، بالتخفيف ، و نفّلت فلاناً تنفيلاً : أَعطيته نَفَلاً وغُنْماً . وقال شمر : أَنفَلْت فلاناً و نَفَلْته أَي أَعطيته نافِلة من المعروف . و نَفّلْته: سوَّغت له ما غَنِم . قال أَبو منصور : وجِماعُ معنى النَّفَل و النافِلة ما كان زيادة على الأَصل ، سمِّيت الغنائم أَنْفالاً لأَن المسلمين فُضِّلوا بها على سائر الأُمَمِ الذين لم تحلَّ لهم الغَنائم . وصلاةُ التطوُّع نافِلةٌ لأَنها زيادة أَجْرٍ لهم على ما كُتِبَ لهم من ثواب ما فرض عليهم) [1] .

وقال : (والنافلة : ولد الولد ، وهو من ذلك لأن الأصل كان الولد فصار ولد الولد زيادة على الأصل ، قال الله عز وجل في قصة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ كأنه قال : وهبنا لإبراهيم إسحق فكان كالفرض له ، ثم قال : ويعقوب نافلة ، فالنافلة ليعقوب خاصة ، لأنه ولد الولد ، أي : وهبنا له زيادة على الفرض له، وذلك أن إسحق وهب له بدعائه وزيد يعقوب تفضلاً) [2] .

وقال في القاموس المحيط : (النَّفَلُ ، محرَّكةً : الغَنِيمةُ ، والهِبةُ ، ج : أَنْفالٌ ونِفالٌ ، ونَبْتٌ من أَحْرارِ البُقولِ ، نَوْرُه أصْفَرُ طَيِّبُ الرائِحَةِ ، تَسْمَنُ عليه الخَيْلُ . والنفل :

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ ، ٦ /٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٦ /٢٣٧ .

البَرْدُ . والنَّوْفَلِيَّةُ : شَيْءٌ مِنْ صوف تَخْتَمِرُ عليه نِسَاءُ العَرَبِ . والإِنْفالُ : أَخْذُ الفَأْسِ لِقَطْعِ القتادِ لإِبِلِهِ) [1] .

وجاء في تاج العروس قوله : (ورجل كثير النوافل ، أي : العطايا والفواضل ، وكل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير فهي نافلة والنافلة ما تفعله مما لم يجب عليك ، ومنه نافلة الصلاة كالنفل ، سميت صلاة التطوع نافلة ونفلاً لأنها زيادة أجر لهم على ما كتب لهم من ثواب ما فرض عليهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فتهجد به نافلة لك ﴾ قال الفراء : ليست لأحد نافلة إلا للنبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعمله نافلة ، وقال الزجاج : هذه نافلة زيادة للنبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ خاصة ليست لأحد لأن الله تعالى أمره أن يزداد في عبادته على ما أمر به الخلق أجمعين لأنه فضله عليهم ، ثم وعده أن يبعثه مقاما محموداً والنافلة : ولد الولد ، وهو من ذلك لأن الأصل كان الولد ، فصار ولد الولد زيادة على الأصل) [2] .

وقال : (والنوفل : الشدة ، والنوفل : الرجل المعطاء ، يشبه بالبحر ، والنوفل : الشاب الجميل) [3] .

المطلب الثاني : تعريف الأنفال اصطلاحاً :

اختلف أهل العلم في تعريف الأنفال على أقوال كثيرة ، منها :

هي الغنيمة كلها ، وهو قول الجمهور [4] ، ومنهم : ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم . وقالوا : معنى قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ١ / ١٣٧٤ .

(٢) تاج العروس للزبيدي ، ١ / ٧٥٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤) ينظر : جامع البيان للطبري ، ط دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م (٦ / ٢٢٤) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (/) .

الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] أي : يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هي ؟ فقل : هي لله ولرسوله [2] .

ومنها : أنفال السرايا خاصة ، وممن قال به الشعبي ، والمراد بهذا القول ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش [3] ، واختار ابن جرير هذا القول وقال : (إنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن النفل في كلام العرب إنما هو الزيادة على الشيء ، يقال : منه نفلتك كذا ، وأنفلتك ، إذا زدتك ..) [4] .

ومنها : أن المراد بها خصوص ما شذ عن الكفار إلى المؤمنين وأخذ بغير حرب كالفرس والبعير يقع في أيدي المسلمين من غير حرب ، فهو للنبي أو من يقوم مقامه من الخلفاء فيضع فيه ما يشاء [5] ، وهو المسمى عند الفقهاء فيئاً .

ومنها : أن المراد بها الخمس ، ونقل هذا القول عن مالك ـ رحمه الله ـ ، وعن مجاهد أيضاً [6] .

ومنها : ما ذهب إليه الإمامية عن الباقر والصادق أن الأنفال ما كان من أرض لم تكن فيها من حرب ، أو قوم صولحوا وأعطوا ما بأيديهم ، وما كان من أرض غربة أو بطون أودية ، أو من مات ولا وارث له فماله من الأنفال ، ونقل عن الباقر : أن من

---

(١) الأنفال الآية (١) .

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري (٦ / ٢٢٤) و تفسير القرآن العظيم لابن كثير (/) .

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ، طبعة عالم الكتب ، بيروت (٢ / ٤٤٣) .

(٤) ينظر : جامع البيان للطبري (٦ / ٤٢٧) .

(٥) تفسير جامع البيان للطبري (٦ / ٤٢٥) .

(٦) ينظر : جامع البيان (٦ / ٢٢٧) وأضواء البيان (/ ٣٤٣) .

الأنفال المعادن ، وكل أرض لا صاحب لها ، أو باد أهلها ، أو ما كان للملوك فهو من الأنفال [1] .

وأولى الأقوال بالصواب ـ كما قال الطبري ـ في معنى الأنفال هو قول من قال : هي زيادات يزيدها الإمام لبعض الجيش أو كلهم ، ترغيباً لهم وتحريضاً لمن معه في الجيش على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، وقد يدخل في ذلك ما قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الإمام إذا لم يكن ما وصلوا إليه لغلبة أو قهر ، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر [2] .

وأرجح هذا القول لأن النفل في كلام العرب ـ كما مر في المطلب الأول ـ إنما هو الزيادة على الشيء ، فكل ما زيد من مقاتلة الجيش على أسهمه من الغنيمة ، إن كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين بتنفيل الوالي ذلك إياه ، حكم ذلك كالسلب يسلبه القاتل ، فهو منفل ما زيد من ذلك ، لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة في بعض الأحوال بحق ، فليست من الغنيمة التي تقع فيها القسمة . فالفرق بين الأنفال والغنائم هو أن الغنائم هي ما أفاء الله من أموال المشركين على المسلمين بغلبة وقهر نفل منه أو لم ينفل ، والنفل هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة [3] .

---

(١) ينظر : تفسير الصافي للفيض الكاشاني الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان (٢ / ٢٦٦-٢٦٧) ، والميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (١٤ / ٩) .

(٢) جامع البيان (٤ / ٢٢٧) .

(٣) جامع البيان (٦ / ٢٢٧-٢٢٨) .

المبحث الثاني
حكم الأنفال ومشروعيتها

الأنفال سواء قلنا هي ما يجعله الإمام لبعض الجيش أو هي الغنائم كلها ، قد أباحها الإسلام للمسلمين بعد ضعفهم ، ومعنى هذا إنها كانت محرمة على سائر الأنبياء وأممهم ، فإذا قلنا : هي الغنائم كلها كما هو مذهب الجمهور ، فلما صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ﴿ غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولّما يبني بها ، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً منها من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليهم ، فجمع الغنائم ، فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها . ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا ﴾ رواه البخاري [1] ومسلم [2] . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (وفيه

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ، كتاب فرض الخمس ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (أحلت لنا الغنائم) رقم الحديث (٣١٢٤) ، الطبعة الأولى المصححة الأطراف ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، (٦ / ٣٤٩) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجهاد ، باب (١١) تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ، رقم الحديث (٤٥٣٠) ، (١٢ /٢٨٠) .

اختصاص هذه الأمة بحل القسيمة ..) [1] ، وقال النووي ـ رحمه الله ـ : (وفي هذا الحديث إباحة الغنائم لهذه الأمة زادها الله شرفاً ، وأنها مختصة بذلك ، والله أعلم) [2] .

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ﴿ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِ ، وأحلّت لي الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ﴾ رواه البخاري [3] .

وإذا قلنا : إنها ما يمنحها الإمام لبعض الغزاة جزاءَ لما قاموا به من عمل دون غيرهم ، أو لتحريضهم على المقاتلة والظفر بالعدو ، فهذا جائز أيضاً ، لما صح في أحاديث متعددة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد فعله في وقائع شتى ، منها : ما روي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُنفلُ بعض من يبعث من السرايا لأنفسهم خاصة سوى قسم عامة الجيش .

وعنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث سرية قِبَلَ نجد فخرجت فيها فبلغت سهامنا اثني عشرة بعيراً ، ونفلنا رسول الله بعيراً بعيراً . متفق عليهما [4] .

وعن عبادة بن الصامت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ينفل في البدأة الربع وفي الرجعة الثلث . رواه أحمد [5] .

وقد تلقت الأمة هذه الأحاديث بالقبول .

---

(١) فتح الباري ، (٦ / ٣٤٩) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢ / ٢٨٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، رقم الحديث (٣٣٥) .

(٤) صحيح البخاري ، باب ومن الدليل على أن الخمس .. ، رقم الحديث (٢٩٠١) . وصحيح مسلم ، باب الأنفال ، رقم الحديث (٣٢٩٠) .

(٥) مسند الإمام أحمد .

وقد نزل فيه ـ فيما يرى بعض العلماء ـ قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [1] ، والمعنى : إن الحكم فيها راجع إلى الله والرسول ، فيحكم فيها النبي .

واتفقت الأمة على مشروعية الأنفال بهذا المعنى أيضاً ، فمنهم من عبر عنها بالجواز [2] ، وبعضهم بالاستحباب [3] لما فيه من التحريض ، وهو مندوب لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ [4] ، وقد شذ قوم وطعنوا في التنفيل ، وادعوا أن فيه توهين البعض وترجيح البعض الآخر ، وقالوا : وتوهين المسلم حرام .. فرد عليهم القائلون بالمشروعية : (إنه ليس بشيء ، وإلا حرم التنفيل لاستلزامه المحرم ، وهو توهين المسلم ، مع أن التنفيل ثابت بالأحاديث الصحيحة) [5] والواقع أن التنفيل يغري الباقين بأن يفعلوا بمثل ما قام به المنفلون لهم ، ويزيدهم شجاعة وحمية ، ثم هو على عمل قام به المنفلون لهم فكان النقل مكافأة لا إيثاراً وانتقاصاً لغيرهم من الجيش ، والحق أنه مشروع وأنه بحسب ما يراه الإمام ، فيكون جائزاً ، ومستحباً ، وقد يكون واجباً متى انحصر التحريض الواجب فيه بقوله تعالى : ﴿ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ [6] .

ثم بعد هذا الاتفاق اختلف الفقهاء فيمَ يكون التنفيل ، وما هو مقداره ؟

---

(١) الأنفال الآية (١) .

(٢) كما في المهذب لأبي إسحاق الشيرازي ، من الشافعية ، راجع : المهذب ، الطبعة الأولى ، دار الفكر لبنان ، (٣ / ٢٩٤) .

(٣) كبعض الأحناف .

(٤) سورة الأنفال ، الآية (٦٥) .

(٥) ينظر : فتح القدير لابن همام (/) .

(٦) سورة الأنفال ، الآية (٦٥) .

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : يجوز للإمام أن ينفل قبل إحرازه الغنيمة أو بعدها ، ويرى أنه ليس للنفل حد لا يتجاوزه الإمام [1] .

ويرى بعض الأحناف أن الإمام لا ينفل بعد إحراز الغنيمة بدار الإسلام ، لأن حق الغير قد تأكد فيه بالإحراز ، إلا من الخمس لأنه لا حق للغانمين فيه [2] .

بينما يرى الإمام مالك وأصحابه أن لا نفل إلا بعد إحراز الغنيمة ، ولا نفل إلا من الخمس ، ويرى الإمام مالك كراهة تحريض الإمام أو نائبه الجيش على القتال قبل لقاء العدو ، وينفلهم أو من شاء منهم ، وكان يقول قتالهم على هذا الوجه إنما يكون للدنيا [3] .

---

(١) ينظر : الاستذكار لابن عبد البر ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، بيروت لبنان ، (٥ / ٤٤) .

(٢) ينظر : الهداية لبرهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ، ط شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر (١ /) .

(٣) ينظر : الاستذكار لابن عبد البر ، (٥ / ٤٢-٤٣) .

الفصل الثاني
الأنفال و دار الحرب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **تعريف الدار**

المبحث الثاني : **وصف القرآن للدارين وتعريفهما عند الفقهاء**

المبحث الثالث : **هل تنقلب دار الإسلام إلى دار حرب**

المبحث الأول
تعريف الدار لغة واصطلاحاً

علمنا مما سبق في مباحث الفصل الأول أن الغنائم والأنفال يحرزها المسلمون من أموال الكفار الحربيين إثر حرب تدور بينهم وبين المسلمين ، وهذا لا يكون إلا في دار الحرب ، إلا إذا هاجم الكفار ديار الإسلام واقتحموها ، فيكون حكم أموالهم التي وقعت في أيدي المسلمين بعد نصرتهم على الكفار حكمَ أموالهم في دار الحرب .

لذا تكون الغنائم والأنفال غالباً في دار الحرب ، أما أموال المسلمين وأعراضهم فهي محرمة ومصانة لاسيما في دار الإسلام ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه وماله ودمه ﴾ [1] وقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ﴾ [2] وأجمع المسلمون على هذا الأمر ، إلا بحق الإسلام .

لذا يجب أن أبين أقوال المسلمين في بيان كل من دار الإسلام ودار الحرب ، ومتى تخرج دار الإسلام من كونها دار إسلام ، ليتبين أن كردستان العراق هي دار إسلام ، وأن أهلها مسلمون ، فأموالهم ودماؤهم وأعراضهم مصانة فيها شرعاً .

المطلب الأول : تعريف الدار لغة :

للدار معانٍ كثيرة من حيث اللغة ، منها :

الأول : المحل ، والموضع ، والبلد ، والوطن .

---

(١) رواه الترمذي ، رقم الحديث (١٩٢٧) .

(٢) جزء من خطبة حجة الوداع ، رواه البخاري (١ / ١١٨) ومسلم (٩ / ٣٢) عن أبي بكرة .

والدار بمعنى المحل يجمع البناء والعرصة أو الساحة [1] ، وبمعنى الموضع الذي يحل به القوم ، أو المحلة التي تسكنها القبيلة [2] ، وكل موضع بدار به شيء يحجزه فهو دارة ، ويقال : ونزلنا في دارة من دارات المعرة وهي أرض سهلة تحيط بها الجبال [3] ، وبمعنى البلد وهو كل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة ، أو المكان المحدود والجزء المخصص كالبصرة والكوفة [4] . حكى سيبويه [5] : هذه الدار نعمت البلد . وبمعنى الوطن أو الموطن وهو مكان الإنسان ومقره حيث أقام من بلد أو دار [6] .

الثاني : بمعنى المنزل المسكون والقبيلة .

أما الدار بمعنى المنزل المسكون فنحو : ﴿ هل ترك لنا عقيل من دار ﴾ ، أي : من منزل [7] .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ط دار صادر ، بيروت (٤ / ٢٩٨) ، وتاج العروس للزبيدي ، ط ١ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (٣ / ٢١٢) ، ومعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وزملائه ، ط ٢ ، (١ / ٣٠٢) ، ومعجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (٢ / ٤٧١) ، والإفصاح في فقه اللغة لحسين يوسف موسى وعبد الفتاح صعيدي ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (١ / ٥٥٤) .

(٢) ينظر : نفس المصادر السابقة .

(٣) ينظر : أساس البلاغة للزمخشري ، ص ١٩٨ ، والإفصاح في فقه اللغة (١ / ٥٥٤) .

(٤) الإفصاح في فقه اللغة (١ / ٥٥٢) .

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر ، لقب بسيبويه (والمعنى : رائحة التفاح) ولد في إحدى قرى شيراز سنة ١٤٠ ، وتوفي سنة ١٨٠ بخراسان ، كان إمام النحاة ، ومن أشهر تلامذة الخليل بن أحمد الفراهيدي . ينظر : البداية والنهاية لابن كثير ، ط مكتبة المعارف في بيروت ، (١٠ / ١٧٦-١٧٧) ، وتاريخ العلماء النحويين للمصري ، ص ٩٠ ، والأعلام للزركلي ٥ / ٢٥٢ .

(٦) ينظر : القواميس والمعاجم السابقة .

(٧) لسان العرب (٤ / ٢٩٨) ، وتاج العروس (٣ / ٢١٢) والمعجم الوسيط (١ / ٣٠٢) ، وهذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في إجابةٍ لما قيل له يوم الفتح : ألا تنزل في دارك ؟ قال الأزرقي : وكان عقيل بن أبي طالب أخذ مسكن رسول الله الذي ولد فيه بمكة ، ينظر :

واستعملت الدار بمعنى القبيلة مجازاً ، فيقال : مرت بنا دار فلان ، وبه فسر الحديث : ﴿ ما بقيت دار إلا بني فيها مسجد ﴾ أي : ما بقيت قبيلة [1] .

الثالث : معانٍ أخرى خاصة ، منها : اسم صنم ، سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب [2] .

ومنها : اسم مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ [3] لأنها محل أهل الإيمان [4] .

ومنها : موضع القبور ، كما في الحديث : ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين ﴾ [5] وسمي موضع القبور داراً تشبيهاً بدار الأحياء لاجتماع الموتى فيها [6] .

المطلب الثاني : تعريف الدار اصطلاحاً :

المقصود بمعنى الدار اصطلاحاً هو المعنى المصطلح عليه في عرف فقهاء الإسلام للدارين : دار إسلام ، ودار كفر ، وهو المبني على المعنى اللغوي ، الذي سبق ذكره في المطلب الأول .

فالدار عبارة عن الموضع أو البلد أو الوطن أو الإقليم أو المنطقة التي تسكن فيها مجموعة من الناس ، ويعيشون تحت قيادة سلطة معينة .

الصارم المسلول لابن تيمية ، ص ١٥٦ ، والمجموع له (١٤ / ٤٤٩) ، والقصة مروية في شرح الزرقاني (٣ / ١٢٠) .

(١) لسان العرب (٤ / ٢٩٨) ، وتاج العروس للزبيدي (٣ / ٢١٢) .

(٢) نفس المصادر السابقة .

(٣) سورة الحشر ، الآية (٩) .

(٤) لسان العرب (٤ / ٢٩٩) ، وتاج العروس للزبيدي (٣ / ٢١٢) .

(٥) رواه مالك في الموطأ عن أبي هريرة باب جامع الوضوء ، ومسلم عنه فب باب استحاباب إطالة الغرة والتحجيل .

(٦) لسان العرب (٤ / ٢٩٨) .

فإن كانت السلطة للإسلام فهي دار إسلام ، وإن كانت للكفر فهي دار حرب [1] ، وهذا المعنى يتفق مع معنى الدولة عند القانونيين والدستوريين المعاصرين . إذ الدولة عندهم هي عبارة عن مجموعة من الناس تقيم على وجه الاستمرار في إقليم معين ، ولها حاكم ونظام تخضع لهما ، وشخصية معنوية واستقلال سياسي [2] .

(١) ينظر : حاشية رد المحتار لابن عابدين ، (٤ / ١٦٦) .

(٢) ينظر : القانون الدولي العام ، للدكتور علي صادق ، ط ١٢ ، منشاة المعارف بالأسكندرية ، ص ١٠٩ ، ومعالم الدولة الإسلامية ، للدكتور محمد سلام مدكور ، ط ١ ، مكتبة الفلاح الكويت ، ص ٥٧ .

المبحث الثاني
وصف القرآن للدارين
وتعريفهما عند الفقهاء

المطلب الأول : وصف القرآن للدارين :

أولاً : دار الحرب :

لقد ذكر سبحانه وتعالى وصف وحال مكة لّما أن كان الشرك تغطيها ، وكانت يومئذ توصف بدار الحرب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [1] قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : نزلت هذه الآية في محمد وأصحابه حيث أخرجوا من مكة [2] .

ومكة تعتبر دار حرب وشرك ، ويستفاد من الآية أن من أهم أوصاف دار الحرب هو الظلم ، والشرك من أبرز خصائص الظلم ، بل ذكر القرآن بأن الشرك ظلم عظيم . وجاء الإسلام ليقلع الشرك والظلم من جذرهما من الوجود .

---

(١) سورة الحج : الآيتان (٣٩ و ٤٠) .

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، (٣ / ٢٢٥) .

وتبين آية أخرى ما يعانيه المسلمون المستضعفون في مكة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ [1] فالآية تخاطب المسلمين حينئذ ليقوموا بنصرة هؤلاء المستضعفين الذين أسلموا بمكة ، وحال المشركون بينهم وبين الهجرة فهذا الدعاء واشتراك النساء والولدان فيه يدل على إفراط الظلم وشدة الأذى [2] . فهنا يعلم أن دار الحرب هي الدار التي يسيطر عليها الشرك والظلم ، فيُحارَب المؤمنون في عقيدتهم ويخرجون من ديارهم بغير حق .

ثانياً : دار الإسلام :

أما دار الإسلام فقد جاء وصفها ووصف أحوال أهلها في آيات منها :

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [4] .

---

(١) سورة النساء : الآية (٧٥) .

(٢) ينظر : تفسير الكشاف للزمخشري (١ / ٥٤٣) ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (٢ / ٧٠٨) .

(٣) سورة الحج : الآية (٤١) .

(٤) سورة النور : الآية (٥٥) .

ومن خلال هاتين الآيتين يفهم أن أهم أوصاف دار الإسلام هي :

١ ـ تمكين دين الله فيها ، وذلك بظهور أحكامه وتطبيق شريعته وإقامة شعائره ، وأهم هذه الشعائر هي :

أ ـ إقامة الصلاة : وهي رمز لطاعة الله وعباداته البدنية ، وقوة الصلة بالله والتوكل عليه .

ب ـ إيتاء الزكاة : وهي رمز السخاء وأداء الحقوق المالية والإحسان إلى مخلوقات الله .

ج ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهما جماع هذا الدين ، فيهما يدخل معنى الجهاد في سبيل الله ، وإحلال الحلال ، وتحريم الحرام ، وهما ركيزتان أساسيتان تقوم عليهما تعاليم الإسلام .

٢ ـ ظهور الأمن فيها للمسلمين .

المطلب الثاني : تعريف الدارين عند الفقهاء :

لقد عرّف الفقهاء الدارين بتعريفات وبضوابط كثيرة ومتعددة يمكن أن تلخص في تعريف واحد وهو : أن دار الإسلام هي الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلامية ، وتحكم بسلطان المسلمين ، وتكون السلطة والقوة للمسلمين ، ودار الحرب بعكس ذلك تماماً إذ هي الدار التي تجري فيها أحكام الكفر ، ويكون فيها السلطان والقوة بيد الكفار .

وفيما يلي أقوال بعض العلماء في ذلك :

يقول أبو يوسف ـ رحمه الله ـ [1] :

---

(١) هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، صاحب أبي حنيفة ، وهو الذي أملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض ، وقيل : لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ، وقال عنه الإمام أحمد وابن معين : ثقة ، وأشهر مؤلفاته كتاب الخراج ، توفي سنة ١٨١ هـ . ينظر : تاج التراجم في طبقات الحنفية للشيخ أبي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا ، رقم (٢٤٩) ، ص ٨١ ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٢ م .

(تعتبر الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها ، وإن كان جل أهلها من الكفار ، وتعتبر الدار دار كفر لظهور أحكام الكفر فيها وإن كان جل أهلها من المسلمين) [1] .

وأكد الكاساني ـ رحمه الله ـ [2] ذلك قائلاً : (لا خلاف بين أصحابنا في أن دار الكفر يصبح دار الإسلام بظهور أحكام الإسلام فيها) [3] .

وقال الإمام الرافعي [4] : (لا يشترط أن يكون سكان دار الإسلام مسلمين ، بل يكفي أن يكون أمامها مسلماً) وهو يرى أن العبرة في ذلك ليست بنوعية السكان وعددهم ، بل العبرة بنوعية الحاكم ودستور الحكم فيها [5] .

---

(١) ينظر : المبسوط للعلامة شمس الأئمة أبي بكر السرخسي الحنفي ، وهو شرح لكتاب الكافي لحاكم الشهيد الذي جمع فيه كتب ظاهر الرواية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٠ / ١٤٤) .

(٢) هو الإمام علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، الملقب بملك العلماء ، مات بحلب سنة ٥٨٧ هـ وله مؤلفات منها : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . ينظر : الأعلام للزركلي (٢ / ٧٠) .

(٣) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ، (٧ / ١٣٠) .

(٤) هو الإمام أبو قاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القزويني الرافعي ، نسبة إلى رافعات بلدة من بلاد قزوين ، وقيل : بل نسبة إلى رافع جد من أجداده ، كان بارعاً في التفسير والحديث والأصول ، وهو عمدة في الفقه الشافعي ، من مؤلفاته : الفتح العزيز في شرح الوجيز ، والشرح الصغير ، والمحرر ، توفي بقزوين سنة ٦٢٣ هـ . ينظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، (٥ / ١١٩) وتهذيب الأسماء واللغات للحافظ النووي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢ / ٢٦٤) .

(٥) ينظر : الفتح العزيز للرافعي ، مطبوع بهامش كتاب المجموع للنووي ، ط المكتبة السلفية (٨ / ١٤) ، وحاشية الأنوار للأردبيلي المتوفى سنة ٧٩٩ ، ط مؤسسة الحسني القاهرة ، سنة ١٣٨١ هـ (٢ / ٥٥٦) .

ويقول ابن حزم الظاهري ـ رحمه الله ـ [1] : (إنما تنسب الدار للغالب عليها ، والحاكم فيها والمالك لها) [2] .

ويقول الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية [3] ناقلاً رأي الجمهور : (دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام ، وما لم تجري عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام وإن لاصقها وجاورها) [4] .

ويقول ابن يحيى المرتضى الزيدي ـ رحمه الله ـ [5] : (دار الإسلام ما ظهرت فيها الشهادتان والصلاة ، ولم تظهر فيها خصلة كفرية ولو تأويلاً ، إلا بالجوار أو

---

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد الشهير بابن حزم ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وهو الفقيه الحافظ الظاهري ، بعد أن كان شافعي المذهب ، وهو صاحب مذهب من مذاهب أهل السنة والجماعة ، وله أصوله وقواعده ، من أشهر كتبه المحلى . ينظر : معجم الفقه ابن حزم الظاهري ، لجنة موسوعة الفقه الإسلامي بجامعة دمشق ، دار الفكر ، (١ / ١٢-٢٤) .

(٢) المحلى لابن حزم ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (١١ / ٣٠٠) .

(٣) هو الإمام السلفي الكبير محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، الشهير بابن قيم الجوزية لأن أباه كان قيماً على مدرسة الجوزية بدمشق ، ولد سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ ، وكان من أبرز تلاميذ الإمام ابن تيمية رحمه الله ، وقد صاحبه ما يقارب أربعين سنة ، له مؤلفات كثيرة منها : زاد المعاد ، وأحكام أهل الذمة ، وإعلام الموقعين وغيرها . ينظر : الدرر الكامنة لابن حجر ، ط المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٣٨٤ هـ ، (٣ / ٤٠٠) .

(٤) ينظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم ، تحقيق د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، (١ / ٢٦٦) .

(٥) هو السيد الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الحسني ، ولد سنة ٧٦٤ هـ وتوفي سنة ٨٤٠ هـ ، له مؤلفات كثيرة منها : الأزهار ، وهو عمدة المذهب الزيدي . ينظر : مقدمة الشيخ صادق موسى في عيون الأزهار (ص ٥) ومقدمة السيل الجرار المتدفق على عيون الأزهار للشوكاني ، تحقيق محمود إبراهيم زايد (ص ١٠-١١) .

بالذمة والأمان من المسلمين . ودار الحرب هي الدار التي شوكتها لأهل الكفر ، ولا ذمة من المسلمين عليهم) [1] .

وقد علق الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ [2] فقال : (الاعتبار بظهور الكلمة ، فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهروا بكفره إلا لكونه مأذوناً بذلك من أهل الإسلام ، فهذه دار إسلام ، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها ، لأنها لم تظهر بقوة الكفار ، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في ديار المسلمين ، وإذا كان الأمر بالعكس فالدار بالعكس) [3] .

والخلاصة من أقوال الفقهاء ـ رحمهم الله ـ إن صحة تسمية الدار بدار الإسلام ودار الحرب تكون عند ثبوت الشرطين وهما : جريان الأحكام ووجود السلطة ، فإن كانت الأحكام فيها للإسلام والسلطة والولاية والمنعة فيها لإمام المسلمين فهي دار إسلام وعلامة ذلك أن يأمن المسلمون فيها مطلقاً ، وإن كانت الأحكام فيها للكفر والسلطة والولاية لهم فهي دار حرب وعلامة ذلك أن لا يأمن فيها المسلمون .

---

(١) ينظر : عيون الأزهار للمرتضى ، تعليق الشيخ صادق موسى ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ م ، ص ٥٢٧ ، وشرح الأزهار (٤ / ٥٥١) و (٥ / ٥٧٧١-٥٧٢) ، والسيل الجرار للشوكاني ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٤ / ٥٧٥) ، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (الزيدية) لابن المرتضى ، الطبعة الأولى ، دار السعادة بمصر ، ١٩٤٧ ، (٦ / ٦٦٨) .

(٢) هو العلامة القاضي محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني ، المجتهد والمفسر ، ولد سنة ١١٧٣ هـ بهجرة الشوكان ، نادى بالاجتهاد وعدم التقليد ، له مؤلفات كثيرة منها : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ، ونيل الأوطار ، وسيل الجرار ، توفي سنة ١٢٥٠ هـ . ينظر : خطبة الروضة الندية للعلامة صديق بن حسن خان القنوجي ، دار المعرفة ، بيروت ، (١ / ٢-٣) ، ومقدمة السيل الجرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) السيل الجرار للشوكاني ، (٤ / ٥٧٥) .

المبحث الثالث
هل تنقلب دار الإسلام إلى دار حرب ؟

عرفنا فيما سبق أن دار الحرب تصير دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها ، وتكون تحت سيادة المسلمين وسلطتهم ، ولكن هذه الدار هل تتغير إلى دار حرب مرة أخرى بسبب من الأسباب أم لا ؟

يمكن حصر آراء الفقهاء في هذه المسألة في أربعة آراء ، وهي :

الرأي الأول :

إن الدار التي أصبحت دار إسلام بغلبة المسلمين عليها وبظهور إحكام الإسلام فيها ، لن تصير بعد ذلك دار حرب .

وإلى هذا ذهب بعض المتأخرين من الشافعية ، حيث قالوا : (إن ما حكم بأنه دار إسلام لا يصير بعد ذلك دار كفر مطلقاً) [1] ، وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (وأما عدّ الأصحاب الضرب الثالث ـ وهو دار كان المسلمون يسكنونها ثم جلوا عنها وغلب عليها الكفار ـ دار إسلام ، فقد يوجد في كلامهم ما يقتضي أن الإسلام القديم يكفي لاستمرار الحكم) [2] ، وإلى هذا ذهب بعض الإمامية [3] .

---

(١) ينظر : تحفة المحتاج لابن حجر (٩ / ٢٦٨) ونهاية المحتاج للرملي (٨ / ٩٩) والأنوار للأردبيلي (٢ / ٥٥٦ حاشيته) .

(٢) روضة الطالبين للنووي (٥ / ٢٣٣) ، وينظر تحفة المحتاج لابن حجر (٩ / ٣٥٠) ومغني المحتاج للشربيني (٢ / ٤٢٢) وحاشية البجيرمي على الخطيب (٤ / ٢٢٠) .

(٣) ينظر : المبسوط في فقه الإمامية لأبي جعفر الطوسي (٣ / ٣٤٣) .

وهكذا يبدو من كلام أصحاب هذا الرأي أن كل دار قد أجريت فيها أحكام الإسلام ، وأصبحت السلطة فيها للمسلمين تعد دار إسلام ، ولن تصير بعد ذلك دار حرب ولو استولى عليها الكفرة ، وتعطل جميع أحكام الإسلام فيها .

قلت : لم يستقر هذا الرأي عند بعض المتأخرين من الشافعية ، كما نص الإمام النووي على ذلك ، فقال : (ورأيت بعض المتأخرين بتنزيل ما ذكروه على ما إذا كانوا لا يمنعون المسلمين فيها ، فإن منعوهم فهي دار كفر) [1] . وأجاب السبكي بأنه يصح أن يقال إنها صارت دار كفر صورة لا حكماً [2] .

وحجة أصحاب هذا الرأي هي : إن هذه الدار قد أصبحت مغتصبة يجب على المسلمين استردادها ، وقد أجمع الفقهاء على أن الجهاد فرض عين على المسلمين لاسترداد هذه الدار ، ولو كانت هذه الدار دار حرب لما كان الجهاد فيها فرض عين [3] .

الرأي الثاني :

إن دار الإسلام تصير دار حرب بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها ، أو بمجرد استيلاء الكفار عليها ، وهذا قول أبي يوسف ومحمد من الحنفية ، والمعتزلة ، والحنابلة ، وهم لا يشترطون سوى ذلك .

فقال أبو يوسف ومحمد ـ رحمهما الله ـ : إنها دار إسلام تصير دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها [4] .

---

(١) روضة الطالبين للنووي (٥ / ٤٣٤) .

(٢) ينظر : تحفة المحتاج (٩ / ٣٥٠) ونهاية المحتاج (٥ / ٤٥٤) .

(٣) ينظر : اللباب في شرح الكتاب للغنيمي (٤ / ١١٥) والقوانين الفقهية لابن جزي (ص ٩٧) والوجيز للغزالي (٢ / ١٨٨) .

(٤) ينظر : بدائع الصنائع (٧ / ١٣٠) .

وقال ابن قدامة الحنبلي ـ رحمه الله ـ [1] : (وأما بلد الكفار فضربان : الأول : بلد كان للمسلمين فغلب الكفار عليه ..) [2] ، وقال أيضاً : (ومتى ارتد أهل بلد وجرت فيه أحكامهم صاروا دار حرب) [3] ، وقال المعتزلة : (بل صارت دار حرب لاستيلائهم عليها) [4] .

وحجة أصحاب هذا الرأي :

أولاً : إن إضافة الدار إلى الإسلام تفيد ظهوره فيها ، وظهوره بظهور أحكامه ، فإذا زالت منها هذه الأحكام ، بإظهار أحكام الكفر محلها ، لم يبقَ دار إسلام [5] .

ثانياً : من المتفق عليه أن دار الحرب صارت دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها من غير شريطة أخرى ، فكذا تصير دار كفر بظهور أحكام الكفر فيها بدون شروط [6] .

ثالثاً : إن البقعة إنما تنسب إلينا أو إليهم باعتبار القوة والغلبة ، فكل موضع ظهر فيه حكم الشرك فالقوة في ذلك الموضع للمشركين ، فكانت دار حرب [7] .

الرأي الثالث :

إن دار الإسلام لا تصير دار حرب بمجرد ظهور أحكام الكفر فيها أو بمجرد استيلاء الكفار عليها ، ما دام سكانها المسلمون يستطيعون البقاء فيها يدافعون عن

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ثم الدمشقي ، موفق الدين ، أبو محمد ، ولد سنة ٥٤٠ بجماعيل من نابلس ، وكان شيخاً للحنابلة ، ثقة ، من مؤلفاته المغني ، توفي سنة ٦٢٠ بدمشق ، ينظر : ترجمته بقلم الشيخ عبد القادر بن بدران في مقدمة المغني .

(٢) المغني لابن قدامة (٥ / ٧٤٨) .

(٣) المغني لابن قدامة (٨ / ١٣٨) .

(٤) البحر الزخار (٣ / ٣٠١) .

(٥) ينظر : بدائع الصنائع (٧ / ١٣٠) وشرح الجرجاني (ص ١٦٤) وشرح الأزهار (٢ / ٥٧٢) .

(٦) ينظر : المراجع السابقة .

(٧) ينظر : المبسوط للسرخسي (١٠ / ١١٤) .

دينهم ، ويقيمون بعض شعائر الإسلام فيها كالأذان والجمع والجماعات والعيد ، وإلى هذا ذهب المالكية [1] ، وبعض المتأخرين من الشافعية [2] ، وكذلك الإباضية [3] .

وحجتهم ما يلي :

أولاً : ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ﴿ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴾ [4] ووجه الاستدلال : فإذا كان حكم من أحكام الشرع يجري فيما بين المسلمين في دار فهي دار إسلام ، لعلو حكم الإسلام على غيره .

ثانياً : لو لزم أن ما استولى عليها الكفار من دار إسلام يصير دار حرب للزم عليه فساداً كبيراً وهو : لأنهم استولوا على دار الإسلام في ملك أهله ثم فتحناها عنوة ملكناها على ملاكها المسلمين ، وهو في غاية البعد [5] .

الرأي الرابع :

إن دار الإسلام لا تصبح دار حرب إلا بثلاثة شروط :

الأول : ظهور أحكام الكفر فيها .

الثاني : أن تكون متصلة بدار حرب ، بحيث لا يكون بينهما بلد من بلاد الإسلام .

الثالث : أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمي آمناً بالأمان الأول الذي مكّن رعية المسلمين من الإقامة فيها ، بحيث حارب الذين سيطروا عليها المسلمين ، ولو أعطَوا أولئك أماناً جديداً .

---

(١) ينظر : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢ / ١٨٨) .

(٢) ينظر : الأنوار لأعمال الأبرار للأردبيلي (٢ / ٥٥٦) وحاشية البجيرمي على الخطيب (٤ / ٢٢٠) .

(٣) ينظر : منهج الطالبين وبلاغ الراغبين لخميس بن سعيد السرستاني الإباضي (٢ / ٧٣) .

(٤) رواه الطبراني في الصغير (ص ١٩٦) ، وينظر : فيض القدير للمناوي رقم (٣٠٦٣) ، (٣ / ١٧٩) وقال الشيخ الألباني : (وجملة القول أن الحديث حسن مرفوعاً بمجموع طريقي عائد ومعاذ وصحيح موقوفاً .

(٥) ينظر : تحفة المحتاج (٩ / ٢٦٨) والأنوار لأعمال الأبرار (٢ / ٥٥٥) .

وهذا مذهب أبي حنيفة [١] ، وبعض الزيدية [٢] .

وحجتهم ما يلي :

أولاً : أساس اختلاف الدارين يبنى على ثبوت الأمان والخوف للمقيمين فيها ، فإذا كان الأمان فيها للمسلمين على الاطلاق فهي دار إسلام ، والأمان الثابت على الاطلاق للمسلمين في دارهم لا يزول إلا بالأمور الثلاثة المذكورة ، فلا تصير الدار دار الكفر إلا بها [٣] .

ثانياً : إنه لا تصير ما به دار الإسلام بيقين دار الكفر بشك والاحتمال ، وذلك بناء على الأصل المعهود بأن الثابت بيقين لا يزول بالشك ، وهذا خلاف دار الكفر بحيث أنها تصير دار إسلام لظهور الأحكام فيها ، ترجيحاً لجانب الإسلام لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴾ [٤] .

ثالثاً : لو سلمت بأن الاعتبار فقط بظهور الأحكام ، فإنه لا تظهر الأحكام إلا عند وجود شرط المتاخمة وزوال الأمان الأول لأنها لا تظهر إلا بالمنعة ، ولا منعة إلا بهما [٥] .

رابعاً : إن الدار محرزة للمسلمين فلا يبطل ذلك الإحراز إلا بتمام القهر من المشركين ، وذلك باستجماع الشروط الثلاثة .

خامساً : إن ما بقي شيء من آثار الأصل فالحكم له دون عارض ، كذلك الدار ، فإنها إذا كانت دار إسلام في الأصل فاستولى عليها الكفار ، وبقي مسلم أو ذمي فيها ، فقد بقي أثر من آثار الأصل فبقي ذلك الحكم [٦] .

---

(١) ينظر : بدائع الصنائع (٧ / ١٣٠) .

(٢) ينظر : البحر الزخار (٣ / ٣٠١) .

(٣) ينظر : بدائع الصنائع (٧ / ١٣١) .

(٤) تقدم تخريج الحديث قريباً .

(٥) ينظر : بدائع الصنائع (٧ / ١٣١) .

(٦) ينظر : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (ص ٢٠-٢١) للدكتور عبد الكريم زيدان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس .

الترجيح :

قد يبدو للمتأمل في آراء العلماء وأدلتهم في هذه المسألة أن الراجح من أقوالهم هو : إن دار الإسلام إذا استولى عليها الكفار ومنعوا المسلمين من الإقامة فيها ، أو ارتدوا عن دينهم كلياً ، صارت الدار دار كفر ، حقيقة وحكماً . أما إذا استولى عليها الكفار أو غلب فيها حكم الكفر بأن تكون السلطة والمنعة فيها بيد الكفار ، والمسلمون يقيمون فيها بعض أحكام الإسلام وشعائره ، فيجوز أن يقال : إنها صارت دار حرب صورة ، لا حكماً ، وأما حكماً فهي دار إسلام ، يجب على المسلمين إجلاء الكفار عنها ، وإجراء حكم الإسلام فيها ، والله أعلم .

الفصل الثالث
كردستان العراق دار إسلام

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **لمحة تاريخية عن الكرد ودخولهم في الإسلام**

المبحث الثاني : **جهود الكرد في خدمة الإسلام**

المبحث الثالث : **كردستان العراق دار إسلام**

المبحث الأول
لمحة تاريخية عن الكرد ودخولهم في الإسلام

المطلب الأول : الكرد قبل الإسلام :

الشعب الكردي من الشعوب الآرية والفروع الإيرانية ، يشتركون مع الفرس والأفغان والأرمن في دوحة واحدة ، وهم عريقون في بلادهم التي تعرف بـ (كردستان ـ أي : موطن الكرد) منذ آلاف السنين ، ولكن التاريخ المعروف اليوم لم يحط بعدُ بمنشئهم ولا بدء ظهورهم على مسرح الوجود ، وموطنهم الذي يقع فيما يعرف اليوم بالشرق الأوسط يمتد من أرضروم وأرزنجان وضفاف بحيرة وان إلى قرب خليج الصرة طولاً ، ومن شرقي مرعش إلى غربي أورمية وأصفهان عرضاً ، فضلاً عن جاليات كردية مبعثرة خارج كردستان في غرب الأناضول واستنبول والشام وأفغانستان وبلاد الغرب وأمريكا حالياً ، ولا يعرف عددهم بشكل محدد لعدم وجود إحصائيات دقيقة ، لكن يقدر المختصون عددهم بأكثر من ثلاثين مليون نسمة . وهم في أغلبيتهم مسلمون سنيون على مذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وهناك أعداد قليلة منهم يعتنقون مذهب الشيعة ، وأقل منهم يعتنقون بعض المذاهب والأديان الخارجة عن الإسلام .

ولهم لغة خاصة تعرف باللغة الكردية وهي لغة آرية تتحد مع الفارسية من حيث كونهما من أصل واحد ، وقد انقسمت على عدة لهجات أوسعها اللهجة الشمالية التي تعرف بالكرمانجية ويتكلم بها أكثر من ثلثي الكرد ، واللهجة الجنوبية التي تعرف بالسورانية ، فضلاً عن لهجات أخرى صغيرة ، وهي ـ أي : اللغة الكردية ـ تكتب

اليوم بالأبجدية العربية وكذلك اللاتينية ، وهي تتميز بثرائها من حيث المفردات والتراث الأدبي المكتوب والشفوي [1] .

أما تاريخ الكرد فهو مليء ـ قديماً وحديثاً ـ بالعديد من الثورات التي كانت ترمي إلى التحرر من حكم الأجانب والتخلص من ظلمهم ، وقد ساعدهم على القيام بسلسلة طويلة من الثورات وعورة وديانهم وحصانة جبالهم .. ثم إن كثرة الخيرات الموجودة في كردستان وخصوبة أراضيها دفعت بالكثير من الطامعين إلى التفكير في فتحها والسيطرة عليها ، فكانت بذلك مسرحاً للحروب والفتن وتنافس الجيوش المتقاتلة ، إلا أن الكرد قاوموا كل هذه الغارات والمناحرات ، وحفظوا على كيانهم القومي ولغتهم وموطنهم ، وكانوا قبل دخولهم في الإسلام كجيرانهم الفرس على العقيدة الزرادشتية ، وكانت القلة منهم على النصرانية .

كانت بلاد الكرد قبل الفتح الإسلامي تابعة للدولة الساسانية الفارسية [2] ، ولكن استطاع الرومان في أواخر القرن الثالث الميلادي بسط نفوذهم على بعض المقاطعات الكردية الغربية (التابعة للدولة الساسانية) بعد انتصارهم سنة ٢٩٧ م ، ونتجية لصلح أبرم بين الساسانيين والرومان ألحقت خمس ولايات كردية بالدولة

---

(١) كتب العديد من الكتب والدراسات حول الكرد وأصلهم من قبل الكرد وغيرهم من المهتمين بهم ولا سيما من المستشرقين ، وهناك نظريات عديدة حول أصل الكرد ، ينظر ـ على سبيل المثال ـ : (شرفنامه) للأمير شرفخان البدليسي ، الطبعة الثانية ، أربيل ، ٢٠٠٣ ، و (الأكراد) لباسيل نيكيتين ، طبعة دار الروائع بيروت ، و (كردستان والكرد) لعبد الرحمن قاسملو ، المؤسسة اللبنانية ، ١٩٧٠ ، و (مع الأكراد) لتوما بوا ، بغداد ١٩٧٥ ، وغيرها .

(٢) تنسب هذه الدولة إلى ساسان الذي كان سادناً لبيت النار الخاص بالآلهة (أناهيتا) وهو جد أردشير الأول (٢٢٤ ـ ٢٤١ م) مؤسس الدولة الساسانية الذي تمكن من قتل آخر ملك فرثي (أشغاني ـ ملوك الطوائف) أردوان الخامس ، وبعدها دخل طيسفون (وهي المدائن جنوبي بغداد حالياً) وتلقب بلقب (شاهنشاه) منذ ذلك التاريخ ، ينظر : تاريخ إيران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستنسن ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٧٦ .

الرومانية ، وكان الرومان قد اشترطوا إقامة دولة في أرمينيا تضم الأقسام الشمالية من مناطق كوروئين (في كردستان تركيا حالياً) وبذلك أصبحت بلاد الكرد خاضعة لثلاث قوى أساسية تحيط بها من كل جانب [1] .

ثم كانت الحرب سجالاً بين الفرس والرومان ، وكانت كردستان بحكم وقوعها بين حجري الرحى الفارسي والروماني تنال القسط الأكبر من الأذى والخراب ، وكان الكرد يجبرون في كثير من الأحوال على تغيير ولائهم حسب تغيير الطرف الغالب .. لكنهم كانوا في الغالب موالين للفرس بسبب الدين والواحد من ناحية ، ولكون أغلبهم مناطقهم واقعة تحت الحكم الساساني .

وهكذا بقيت الأمور حتى انتهى الحكم الساساني بيد المسلمين الفاتحين منتصف القرن السابع الميلادي .

المطلب الثاني : الكرد بعد دخولهم في الإسلام :

مر بنا في المطلب الأول أن الكرد كانوا تابعين للدولة الساسانية الفارسية قبل وصول الفتح الإسلامي لبلادهم ، ولم يكن لهم أي كيان سياسي خاص بهم ، لذلك ارتبط مصيرهم حينئذ بمصير الدولة الساسانية التي سقطت عاصمتها طيسفون (المدائن) وفرّ آخر ملوكها يزدجر الثالث مع أفراد حاشيته ، بعد الهزيمة القاسية التي مني بها الفرس في معركة القادسية سنة ١٦ هـ ٦٣٧ م [2] .

وبعد انهيار الدولة الساسانية تقدمت طلائع الفتح الإسلامي شمالاً نحو البلاد الكردية ، ويبدو من خلال دراسة وتحليل المصادر التاريخية ومقارنة بعضها ببعض أن خطة الفتح الإسلامي للمنطقة الكردية الشرقية كانت منسقة ، وأنها نفذت على محور رئيسي وعدة محاور ثانوية وكالتالي :

---

(١) خلاصة تاريخ كرد وكردستان من أقدم العصور حتى الآن ، لمحمد أمين زكي ، ترجمة محمد علي عوني ، بيروت ، الجمعية الخيرية الكردية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ ، ١ / ١١٤ .

(٢) ينظر : فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، طبعة دار المعارف ـ مصر ، (٤ / ٢٤) .

أما المحور الرئيسي فيبدأ من موقع جلولاء ـ خانقين ـ قصر شيرين ـ حلوان [١] .

وأما المحاور الثانوية فتتضمن عدة فروع :

أ ـ محور جلولاء ـ البندنجين .

ب ـ محور جلولاء ـ الراذانات ـ دقوقا ـ خانيجار ـ سن بارما ـ بوازيج الملك ـ شهرزور [٢] .

ج ـ محور المدائن ـ بهندف ـ ماسبذان [٣] .

وحول تحديد تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد الكرد هناك ثلاث روايات مختلفة وردت في المصادر الإسلامية ، وهي :

١ ـ اعتبار سنة (١٦) من الهجرة تاريخاً للفتح ، ورد ذلك في مصدرين اثنين هما : فتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

٢ ـ اعتبار سنة (١٧) هجرية تاريخاً للفتح ، ورد ذلك في تاريخ خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ .

٣ ـ اعتبار سنة (١٩) هـ سنة للفتح وإليه ذهب اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ في تاريخه .

وبدراسة وتحليل هذه الروايات توصل أحد الباحثين المعاصرين [٤] إلى أن التاريخ الذي اتفق عليه البلاذري والطبري وهو سنة (١٦) هجرية هو التاريخ الصحيح

---

(١) ينظر : فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ و ٢٩٩ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري (٤ / ٢٨) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ و٢٦٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري ، (٤ / ٣٧) .

(٤) ينظر : الكرد مصادر ومعالم تاريخهم في صدر الإسلام ، فرست مرعي ، ص ١١٧ .

للفتح ، لأن تمصير الكوفة كانت سنة (١٧) هجرية ، وقد أجمع المؤرخون على أن تمصيرها جاءت بعد فتوح المدائن وجلولاء وغيرها [١] .

وبعد تمكن المسلمين من فتح حلوان أمر الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قائد الفتح في العراق سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ التوقف عن التوغل في بلاد الجبل (كردستان) إيثاراً لسلامة المسلمين ، ثم رجع فأذن له بذلك بعد أن أخبر بأن الحشود المعادية من الفرد والكرد تتجمع هناك وتشكل خطراً على الجيش الإسلامي المتواجد في منطقة السواد ، فتقدم المسلمون والتقوا هناك بالجيش الفارسي ـ وكان فيهم الكرد ـ فهزموهم ، وتخلصوا من خطرهم [٢] .

هذا بالنسبة إلى المناطق الجنوبية الشرقية لبلاد الكرد ، أما المناطق الغربية والشمالية منها المحاذية للجزيرة الفراتية ، فقد اتفق المؤرخون المسلمون على أنها فتحت على يد الصحابي عياض بن غنم الفهري [٣] سنة (١٩) من الهجرة [٤] ، وقد شجع هذا الانتصار السريع في فتح المناطق الواقعة غربي كردستان الجيش الإسلامي إلى التقدم لفتح مناطق كردية أخرى تقع إلى الشمال وتتاخم أرمينيا [٥] .

أما بخصوص فتح كردستان المركزية ، وأعني بها المناطق التي يسكنها الكرد فقط ولا يزاحمهم فيها أي قوم آخر ، فالروايات بشأن فتحها تكاد تكون نادرة ، ولعل البلاذري هو المؤرخ الوحيد الذي تطرق في رواياته إلى ذكر مناطق الكرد

---

(١) تجارب الأمم ، أبو علي مسكويه ، دار سروش للطباعة ، طهران ، ١٩٨٧ ، (١ / ٢٢٤) ، والمنتظم في أخبار الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (٦ / ٢١٦) .

(٢) تاريخ الطبري ، (٤ / ٢٨-٣٧) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٥٢١-٥٢٥) .

(٣) صحابي قرشي ، أسلم قبل الحديبية وشهدها مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شارك في فتح الشام والعراق ، وكان أحد قادة كراديس الميسرة في اليرموك ، توفي بالشام سنة ٢٠ هـ عن ستين عاماً ، ودفن في حمص . ينظر : طبقات ابن سعد (٧ / ٣٩٨) .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ١٨٠ .

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٥٣٥) .

المركزية (معاقل الأكراد) [1] ، وتحديد الوقت الزمني لعملية الفتح ، مع الإشارة الواضحة إلى أن هذه المناطق فتحت عنوة [2] .

وعلى أية حال يعد الصحابي عياض بن غنم أول صحابي وقائد إسلامي يدخل عمق كردستان ، لاسيما أنه وصل بفتوحاته إلى منطقة قردى (كردى) التابعة لجزيرة بوطان (ابن عمر في المصادر الإسلامية) وجاء على أثرها بطريق الزوزان ، فطلب أهلها الصلح وأبدوا استعدادهم لدفع الجزية نهاية سنة (١٩) هـ ، وتعد منطقة قردى أقدم مناطق استيطان الكرد ، حيث أنهم سكنوا فيها لأكثر من ألف سنة قبل الفتح الإسلامي [3] .

وبعد الفتح الإسلامي لكردستان بدأ الكرد يدخلون في الإسلام رويداً رويداً ، وحسن إسلامهم لتوافقه مع ما جبلوا عليه من الخلال الطيبة ، وكان لهم دور بارز في خدمة الإسلام في أكثر من جانب ـ كما سنذكره في المبحث التالي ـ وشاركوا في مواجهة الصليبيين ، بل كانوا القادة في ذلك يتقدمهم الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كما اشتركوا في أغلب القلاقل والثورات التي نشبت في العهد الأموي والعباسي والبويهي والسلجوقي .

وبعد ظهور الدولة العثمانية السنية وتوسعها نحو الشرق على حساب الدولة الصفوية الشيعية ، انضم أغلب الكرد ـ لدوافع مذهبية وغيرها ـ إلى العثمانيين في بدايات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وأعلن الأمراء الكرد ولاءهم للسلطنة العثمانية على إثر معاهدة وقعوها مع السلطان العثماني الذي تعهد بعدم

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٣٣٧ ، وهو يقصد بمعاقل الكرد المدن والقرى والقلاع الواقعة شمال وشرق الحصن الشرقي (نينوى) أي ما يسمى اليوم محافظة أربيل ودهوك والأجزاء الشرقية من محافظة نينوى بالعراق .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) ينظر : دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، للدكتور جمال رشيد ، طبعة الأمانة العامة للثقافة ، أربيل ١٩٨٦ ، ص ٨٠ و ١١٦-١١٧ .

التدخل في شؤون الإمارات الكردية التي بلغت (٥٥) وحدة إدارية وبقيت شبه مستقلة [١] .

وكانت هناك مناطق كردية تابعة للدولة الصفوية ، ونتيجة لتنافس الدولتين الصفوية والعثمانية المستمر حاول الطرفان كسب ود الأمراء الكرد وجعلوا إماراتهم حاجزاً لهم في وجه العدو ، ولتفرق الأمراء الكرد وعدم اجتماعهم في كيان واحد كانت خارطة بلادهم عموماً وإماراتهم خصوصاً تتبدل من حين لآخر ولا تستقر على صورة واحدة [٢] .

(١) ينظر : شرفنامه للبدليسي ، ترجمة محمد علي عوني ، طبعة القاهرة ، (١ / ٤٢٥-٤٢٦) .

(٢) ينظر : كورد وكوردستان لمحمد أمين زكي (بالكردية) ، ط بغداد ١٩٣١ ، (١ / ١٦٠) .

المبحث الثاني
جهود الكرد في خدمة الإسلام

بعد دخول الكرد في الإسلام في عصر الخلافة الراشدة بدأت مساهماتهم في خدمة الإسلام تتجلى واضحة في العصور الأولى التي تلت العصر الراشدي ، حيث كان مثلهم مثل بقية إخوانهم المسلمين من العرب والفرس والترك إذ خدموا الإسلام في المجالات التي تتطلبها الضرورة الماسة للمجتمع الإسلامي آنذاك ، ومساهماتهم تلك متنوعة وتشمل مجالات عديدة ، لكننا هنا نشير إلى أبرز تلك المجالات والتي بقيت آثارها بعد ذلك قرون عديدة ، ونعني بها :

أولاً : المجال الجهادي (العسكري) في خدمة الإسلام ضد الأعداء الخارجيين .

ثانياً : المجال العلمي وذلك بنشر علوم الشريعة واللغة وغيرها تبصرة للمسلمين بحقيقة دينهم .

وسنتناول هذين المجالين في مطلبين اثنين .

المطلب الأول : المجال الجهادي (العسكري) :

وللضرورة المنهجية نستطيع أن نحدد هذا المجال المهم في ثلاث فقرات :

أولاً : المشاركة في حماية الثغور الإسلامية أو حماية الحدود :

كانت كردستان الواقعة جغرافياً ضمن حدود الدولة الإسلامية منذ عصر الخلافة الراشدة ، وكانت تحادد إقليم أرمينيا الذي كان أهلها على النصرانية منذ سنة ٣١٤ م وهذا يعني أن الحدود الكردية الأرمنية كانت بمثابة مناطق الثغور (الحدود) للدولة الإسلامية ، وكان لا مناص من أن تحدث احتكاكات بين الكرد المسلمين والأرمن النصارى ، وقد حدث أكثر من مرة ـ سواء من العهد الأموي أو العهود التالية ـ وأن

هاجم الأرمن ومعهم إخوانهم في الدين من البيزنطيين والكرجيين [1] على الثغور الإسلامية (في كردستان) فكان الكرد ومن معهم من المسلمين يقومون قومة رجل واحد لنجدة أهل الثغور ، وكانت الدولة الكردية التي تجابه الأرمن في حين من العهد العباسي هي الدولة الشدادية ، فإنه وبعد وفاة محمد بن شداد مؤسس الدولة الشدادية الكردية تولى ابنه فضل الأول الحكم ، وهو المعروف في المصادر الإسلامية بفضلون وفي المصادر الأرمنية ببدلون ، وقد تمكن فضلون هذا من السيطرة على عاصمة أرمينيا وأجزاء كثيرة من جورجيا ، وخلال حكمه الذي دام (٤٧) سنة قام بأعمال جهادية كبيرة من أجل حماية الثغور الإسلامية ، والرد على التهديدات النصرانية للدولة الإسلامية [2] .

وكانت للدولة المروانية الكردية أيضاً في العهد العباسي دور بارز في حماية الثغور الإسلامية في بلاد الكرد وحماية قوافل الحجاج أيضاً ، فقد حدث وأن هاجم الأرمن على قوافل حجاج خراسان وطبرستان سنة ٤٢٧ هـ ١٠٣٥ م فقتلوا الكثير منهم وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، فلما سمع الأمير المرواني نصر الدولة بذلك جمع عساكره وعزم على غزوهم ، فلما علم الأرمن بذلك خافوا منه وأعلنوا استعدادهم لإعادة ما نهبوه وإطلاق من أخذوه من الأسرى والسبي ، فأجابهم الأمير الكردي إلى الصلح ، بعد أن أملى عليهم شروطه [3] .

ومن جهة أخرى جاء في حوادث سنة ٤٢٣ هـ ١٠٣١ م أن نائب الأمير المرواني نصر الدولة في جزيرة ابن عمر قام بتحشيد عدد كبير من المجاهدين قدر عددهم بعشرة آلاف رجل ، وقادهم إلى غزو الأرمن الذين كانوا يهددون الثغور

---

(١) وهم أهل جورجيا الحالية .

(٢) ينظر : لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان ، لجمال رشيد أحمد ، دار آراس للنشر ، أربيل ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٢٠ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، (٦ / ٨٢) .

الشمالية ، وتمكن من الإيقاع بهم وتكبيدهم خسائر فادحة ، فضلاً عن استيلائه على غنائم كثيرة ، ثم عاد من غزوته ظافراً [1] .

ثانياً : التصدي لهجمات الأعداء :

كان للكرد مشاركات واضحة في مجال التصدي لهجمات الأعداء الخارجيين من الروم البيزنطيين والمغول الغزاة وغيرهم ، ولا يتسع المجال لذكر تلك المشاركات ، ولكن أحب أن أشير في هذه الفقرة ـ للتمثيل فقط ـ إلى دور الكرد البارز إحدى المعارك الفاصلة التي واجه المسلمون فيها الروم ، وهي معركة ملازكرد سنة ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م .

فقد تناهى إلى سمع السلطان السلجوقي ألب أرسلان أن الجيش البيزنطي الذي يقوده الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس (١٠٦٧ ـ ١٠٧١ م) قد تحرك نحو البلاد الإسلامية ، فتهيأ السلطان السلجوقي لملاقاته وتقدم بجيشه نحو منطقة دياربكر ، وهناك التحق به الأمير الكردي المرواني حاكم دياربكر نظام الدين بن نصر الدولة ، ولما وصل الإمبراطور الروماني بجيشه الجرار إلى مدينة (خلاط) طلب منه السلطان السلجوقي المهادنة لكنه أبى ذلك وهدده باحتلال عاصمته ، فلم يبقَ أمام السلطان المسلم إلا المواجهة ، ولأنه كان بعيداً عن عاصمته [2] ولم يستطع طلب النجدة فقد أسعفه الأمير الكردي نظام الدين المرواني بقوة كبيرة من المجاهدين الكرد قدر عددهم بعشرة آلاف رجل [3] ، وقد التحم الجيشان بعد ذلك في معركة فاصلة قرب مدينة ملازكرد في شهر ذي القعدة من سنة ٤٦٣ هـ وأسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، (٦ / ٦٧) .

(٢) كانت عاصمته هي مدينة الري التي بنيت العاصمة الإيرانية طهران على أنقاضها .

(٣) تاريخ ابن أبي الهيجاء ، تحقيق د. صبحي عبد المنعم محمد ، دار رياض الصالحين ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م ، ص ١١٨-١١٩ .

ألحقت بالبيزنطيين ، بعد أن تم أسر الإمبراطور رومانوس الرابع ، فضلاً عن وقوع آلاف من القتلى البيزنطيين [1] .

وكان للمشاركة الكردية في هذه المعركة الفضل الكبير في انتصار المسلمين الساحق .

ثالثاً : المشاركة في الحروب الصليبية :

وخدمة الكرد للإسلام من الناحية العسكرية تبدو أكثر وضوحاً من خلال مشاركتهم الفعالة في التصدي للحملات الصليبية المتعددة التي أرادت سلخ أجزاء كبيرة من مصر وبلاد الشام عن جسد الأمة الإسلامية ، وكفاهم فخراً أن البطل الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأقربائه من ملوك بني أيوب وقادتهم الذين تولوا قيادة الجبهة الإسلامية حينئذ كانوا منهم ، والمطلع على التاريخ يعلم أن الأيوبيين وفي مقدمتهم الناصر صلاح الدين نصبوا أنفسهم حماة للدين ضد الأوربيين الإفرنج الذين قصدوا الاستحواذ على بلاد المسلمين باسم استخلاص الأماكن المقدسة في بيت المقدس ، وكان مع الأيوبيين في تلك المواقع كلها أعداد كبيرة من الكرد المجاهدين من بلاد هكاري وشهرزور وآمد وغيرها من بلاد الكرد ، وكم كان لهم من موقعة أذلوا فيها الإفرنج وأرغموا أنوفهم في التراب ، وأوقفوا زحفهم وأرغموهم على التراجع ، ولم يكن دور الكرد مقتصراً حينئذ على الجهاد بالسيف فقط ، بل كان فيهم من أصحاب الأقلام من الخطباء والشعراء الكثير ممن أثاروا حماسة المسلمين بخطبهم وقصائدهم ودفعوهم للجهاد [2] .

وكما كان الكرد جنوداً مخلصين لملوك بني أيوب في جهادهم ضد الصليبيين ، صاروا بعد ذلك جنوداً لسلاطين آل عثمان أيضاً ، وكان لهم دور بارز في كثير من حروبهم سواء ضد الصليبيين في الغرب أم ضد الرافضة في الشرق .. وما كان دافع

---

(١) تاريخ الفارقي ، ص ١٣ ، وتاريخ دولة آل سلجوق ، للبنداري ، ص ٤١ .

(٢) وفي كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية للمقدسي أمثلة كثيرة وأخبار طويلة عن بطولات الكرد في ميدان السيف والقلم .

الكرد في كل هذه المشاركات الجهادية سوى إخلاصهم للدين وحبهم للدفاع عن حياض المسلمين ، ولبساطتهم وإخلاصهم في ذلك كانت الملوك والسلاطين في كثير من الأحيان تستغل بسالتهم وشجاعتهم وتهضم حقوقهم !

المطلب الثاني : المجال العلمي :

شارك الكرد كغيرهم من الشعوب الإسلامية في بناء الحضارة الإسلامية الزاخرة ، وقدموا عبر تاريخهم شهادات حية في مختلف صنوف المعرفة تدل على حبهم للإسلام واعتزازهم بخدمة العلوم الدينية ، وإسهاماتهم في مختلف حقول المعرفة ، ومؤلفاتهم في هذه المجالات ، وكذلك مدارسهم العامرة المبثوثة في عرض كردستان وطولها ، واضحة وضوح الشمس في كبد السماء ، وأود أن أشير هنا باختصار إلى بعض إسهامات الكرد في خدمة الإسلام من خلال رفد المجال العلمي .. وذلك في فقرتين اثنتين :

أولاً : مدارس كردستان :

كانت عملية التربية والتعليم في كردستان تتم في أماكن مختلفة مرتبطة بشكل أو آخر بالمسجد وعلماء الدين ، فكان هناك مثلاً الكتاتيب المخصصة لتعليم الأطفال القرآن الكريم قراءة وحفظاً وكذلك مبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب وبعض العلوم الإسلامية .. وكانت لهذه الكتاتيب مكانة كبيرة في الحياة الاجتماعية للناس ، إذ أنها تعمل على نشر العلم ومحو الأمية ، وكانت الكتاتيب في كردستان كما في غيرها من بلاد الإسلام مؤسسات أهلية خاصة لليس للسلطات دخل في إنشائها أو الإشراف عليها أو دعمها ، بل كان العوام من الأهالي يدعمون تلك الكتاتيب عن طريق دفع أجور نقدية أو عينية للمعلمين لقاء تعليمهم لأبنائهم [1] .

وفضلاً عن تلك الكتاتيب الأهلية المنتشرة في أغلب قرى كردستان ، كانت هناك مؤسسات علمية أخرى أشبه ما تكون بالرسمية وهي المدارس ، وكان ظهورها في المجتمع الكردي في المدن والقرى الكبيرة مظهراً من مظاهر التقدم التربوي والعلمي .. وقلنا بأن هذه المدارس كانت شبه رسمية لأن الأمراء والحكام كانوا يهتمون بها سواء

---

(١) تاريخ التربية في المشرق والمغرب ، محمد منير موسى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥٧ .

ببنائها ، أو صرف النفقات على مدرسيها وطلابها ، أو تهيئة الكتب اللازمة لها ، دون التدخل في مناهجها أو أسلوب التدريس فيها ، وكانت المدارس الكردستانية تحتوي غالباً على قاعة للدرس وغرفة للمدرس ومكتبة ، وغرف لسكن الطلاب ، ومطبخ .

وكانت هذه المدارس في الغالب ملحقة بالمساجد لذلك كانت تعرف أحياناً بالمدارس المسجدية .

ومن مدارس كردستان الدينية نذكر على سبيل المثال :

١ ـ مدرسة قبهان (قوبان) : في مدينة العمادية التي كانت عاصمة للإمارة البادينانية على مدى قرون عديدة ، ويقال بأنها بنيت حوالي القرن الرابع الهجري [١] ، وكانت صغيرة أول أمرها ، ثم قام الأمير العمادية حسين البادينانى المعروف بالسلطان حسين (حكم بين ٩٤٠ ـ ٩٨١ هـ) بترميمها وتوسعتها [٢] ، وقد أدت هذه المدرسة دوراً كبيراً في تخريج العلماء والأدباء .

٢ ـ المدرسة الزاهدية : في العمادية ، نسبة إلى الأميرة زاهدة (ت ٧٢٩ هـ) التي قامت ببنائها ، وكانت فيها خزانة كتب تحتوي على مئات المخطوطات والكتب النادرة [٣] ، وكان أمير العمادية سيدي خان البهدينانى (حكم بين ١٠٠٣ ـ ١٠٢٩ هـ) قد قام بتجديد المدرسة فعرفت فيما بعد باسمه [٤] .

٣ ـ المدرسة المجاهدية : في أربيل ، بناها مجاهد الدين قايماز نائب حاكم أربيل ، وقد درس فيها كثير من العلماء في تلك الآونة [٥] .

---

(١) الأكراد في بادينان ، أنور المائي ، الطبعة الثانية ، دهوك ، ١٩٩٩ ، ص ١٦١ .

(٢) واردات مدرسة قوبا ، عبد الكريم فندي ، مقال منشور في مجلة دهوك ، العدد الخامس الصادر في كانون الأول ١٩٩٨ ، ص ٨٨ .

(٣) قام التياريون المسيحيون بحرق هذه المكتبة أثناء حوادث الشغب التي أعقبت دخول البريطانيين إلى المنطقة في بداية عشرينيات القرن المنصرم .

(٤) إمارة بهدينان العباسية ، محفوظ العباسي ، الطبعة الأولى ، الموصل ، سنة ١٩٦٩ ، ص ١٥٧ .

(٥) تاريخ إربل لابن المستوفي ، تحقيق سامي الصفار ، بغداد ، ١٩٨٠ ، (١ / ٤٩٥) .

٤ ـ مدرسة مير حسن ولي : في مدينة مكس شمال كردستان ، بناها أمير مكس حسن ولي (حكم بين ٩٢٠ ـ ٩٥٠ هـ) ، وقد تخرج فيها علماء كبار ، وكانت عامرة حتى قيام الدولة التركية الحديثة بإلغاء المدارس الدينية سنة ١٩٢٤ م [١] .

٥ ـ المدرسة الحمراء (سور) : سميت بذلك لأنها بنيت بالطوب الأحمر ، وهي تقع في مدينة جزيرة ابن عمر ، وقد بناها أمير الجزيرة شرفخان بن أبدال الآزيزاني حوالي سنة ١٠٠٥ هـ ، وقد درس فيها كبار علماء الجزيرة ، ويذكر أن اسم هذه المدرسة قد ارتبط باسم الشاعر الكردي الكبير الملا أحمد الجزري [٢] الذي كان من أوائل من درّس في هذه المدرسة [٣] .

ثانياً : علماء كردستان :

أما بالنسبة للعلماء والأدباء الكرد الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم القيمة ، فكتب التراجم طافحة بذكر أسمائهم ، وهناك كتب كثيرة ألفت في ذكر تراجم العلماء الكرد ومشاهيرهم [٤] ، وسنذكر هنا بعض تلك الأسماء اللامعة في مختلف المجالات العلمية :

١ ـ في مجال التفسير :

---

(١) مدرسة مير حسن ولي ، تحسين إبراهيم الدوسكي ، مقال منشور في مجلة متين ، العدد ٨٤ ، الصادر في كانون الثاني ١٩٩٩ ، ص ١١٩ ، وقد ذكر أن العلامة سعيد النورسي كان هو الآخر قد درس في هذه المدرسة .

(٢) هو أشهر شاعر كردي ، ولد سنة ٩٧٥ هـ ومات سنة ١٠٥٠ هـ ، وقد دفن في قبو بالمدرسة الحمراء بالجزيرة ، له ديوان شهير بالكردية ، طبع أكثر من مرة ، ووضع عليه أكثر من شرح ، ينظر : شرح ديوان الشيخ الجزري تأليف الملا عبد السلام الجزري ، تحقيق تحسين إبراهيم الدوسكي ، الطبعة الأولى ، دهوك ، ٢٠٠٤ ، (١ / ٩-١٤) .

(٣) المدرسة الحمراء ، تحسين إبراهيم الدوسكي ، مقال نشر في مجلة متين ، العدد ٨٥ ، الصادر في شباط ١٩٩٩ ، ص ١١٧ .

(٤) منها مثلاً : مشاهير الكرد وكردستان لمحمد أمين زكي ، وعلماؤنا في خدمة العلم والدين لعبد الكريم المدرس ، وغيرهما .

ومن هؤلاء : العلامة المفسر عز الدين عبد الرازق الرسعني (٥٨٩ ـ ٦٦٠ هـ) له تفسير اسمه رموز الكنوز في ثماني مجلدات [١] .

والعلامة أحمد بن يوسف الكواشي (٥٩٠ ـ ٦٨٠ هـ) له أكثر من تفسير منها : تذكرة المتبصر في تفسير القرآن ، وتلخيص التفسير ، وكشف الحقائق في التفسير [٢] .

والعلامة أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٣ ـ ٨٩٣) له تفسير (غاية الأماني في تفسير السبع المثاني) [٣] .

٢ ـ في مجال الحديث :

وأشهرهم على الإطلاق الحافظ أبو عمر عثمان الكردي المشهور بابن الصلاح الشهرزوري (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ) وهو علم شهير ومحدث كبير ، له مؤلفات عديدة ومصنفات فريدة ، لعل أشهرها كتابه المشهور في علم الحديث المعروف عند المحدثين بالمقدمة أو مقدمة ابن الصلاح ، وله سوى ذلك مؤلفات قيمة في الحديث والفقه [٤] .

وكذلك الحافظ الشهير الإمام زين الدين العراقي (٧٢٥ ـ ٨٠٦ هـ) الذي تتلمذ عليه كبار المحدثين في عصره كالحافظ ابن حجر العسقلاني ، والهيثمي ، وغيرهما ، من أشهر مؤلفاته في مجال الحديث : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في

---

(١) ينظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ / ٢٤١) ، والإمام الرسعني وتفسيره رموز الكنوز ، للدكتور محمد صفاء إبراهيم حقي ، الرياض ، مكتبة الإمام الشافعي ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .

(٢) هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٨٢ ، (١ / ٩٨ و ٢٨٨) .

(٣) الأعلام ، خير الدين الزركلي ، (١ / ٩٧) .

(٤) ينظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (٣ / ٣٤٣) .

تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، والألفية الحديثية المسماة التبصرة والتذكرة ، والتقييد والإصلاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح ، وغيرها [١] .

٣ ـ في مجال الفقه :

ظهر بين الكرد فقهاء كبار نذكر منهم : الشيخ العلامة إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ، نزيل المدينة (١٠٢٥ ـ ١١٠١ هـ) ، كان مجتهدي الشافعية ومن المحدثين كذلك ، له مؤلفات تربو على الثمانين ، منها : اتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف ، والنبراس لكشف الإلتباس الواقع في الأساس ، وجواب العتيد لمسألة أول واجب ومسألة التقليد ، وغيرها [٢] .

والعلامة يحيى المزوري (١١٨٥ ـ ١٢٥٥ هـ) كان من كبار فقهاء الشافعية ، لقب بشيخ مشايخ العراق وأشتاذ الكل في الكل ، درّس في العمادية وبغداد ، وتخرج على يديه كبار العلماء منهم العلامة المفسر أبو الثناء الآلوسي ، له حواشٍ ومؤلفات نافعة [٣] .

٤ ـ في مجال الدراسات اللغوية :

أما في مجال الدراسات اللغوية والأدبية فهناك الكثير من نوابغ الكرد نذكر منهم : العلامة إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي علي القالي (٢٨٠ ـ ٣٥٦ هـ) وله كتاب (المقصور والمدود) وكتاب (الإبل) وكتاب (الخيل) و (البارع في اللغة) في بضعة عشر مجلداً لكنه ما تممه [٤] .

---

(١) ينظر : إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (٥ / ١٧٠–١٧٦) ، والحافظ العراقي وأثره في علم الحديث لتحسين إبراهيم الدوسكي ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، ١٤١٣ .

(٢) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، تأليف السيد محمد خليل المرادي ، (١ / ٥–٦) .

(٣) عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد ، لإبراهيم فصيح الحيدري ، طبعة دار الحكمة ١٩٩٨ ، ص ١٣٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (١٦ / ٤٥–٤٧) .

والعلامة عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب (٥٧٠ ـ ٦٤٦ هـ) وله الكافية في النحو والشافية في الصرف ، وشرح المفصل ، والأمالي في العربية ، وله عروض على وزن الشاطبية ، وغيرها [١] .

وبرز من المعاصرين كثير كآل تيمور ومن الشعراء أحمد شوقي والرصافي والزهاوي وغيرهم [٢] .

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ٢٤٨-٢٥٠) .

(٢) وتجد تراجم هؤلاء وغيرهم في كتاب مشاهير الكرد وكردستان لمحمد أمين زكي .

المبحث الثالث
كردستان العراق دار إسلام

الإسلام ليس مجرد مجموعة من الأفكار والشعائر وإنما هو إلى جانب ذلك نظام له حاكمية على مظاهر النشاط الإنساني في الفكر والاعتقاد ، والتصرف والسلوك ، والحكم والسياسة ، والتربية والاجتماع ، وإن كل ذلك يحكم الصلة والارتباط بين الدين والدولة ، وبين الحاكم والرعية ارتباط القاعدة بالبناء ، ولا حياة ولا بقاء لأي وجود منظم ولا استمرار للقيم والعقيدة والفضائل بدون وجود سلطة عادلة ، تحكم بالعدل والمساواة بين جميع أفراد الرعية بغض النظر عن دينهم أو معتقداتهم ، وأكد سبحانه وتعالى هذا الأمر في كتابه العزيز حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [1] وأمر سبحانه وتعالى نبيه أن يعدل في الأمر كله ولو كان مع الكفار فقال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ ﴾ [2] وكذلك أمر سائر المسلمين بالعدل فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا

---

(١) سورة النساء ، من الآية (٥٨) .

(٢) سورة الشورى ، من الآية (١٥) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٨) .

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [3] .

والآيات القرآنية مستفيضة في هذا الصدد كيف لا ، والإسلام هو دين العدل والإحسان والرحمة في الأمور كلها ، وبالحق والعدل قامت السموات والأرض ، والعدل هو الركيزة الأولى التي يتعلق بها دوام الحكم ، والظلم هو نذير فناء وزوال الملك ، ولو كان مالكه وملكه مسلماً .

ولما كانت الدولة الإسلامية لم تشمل العالم بأسره ، وظل خارج سلطتها شعوب ودول تقودها السلطات الكافرة ، أدى ذلك إلى انقسام العالم إلى قسمين : قسم يسمى بدار الإسلام ، والآخر يسمى بدار الحرب ، ولا شك أن الحكم الشرعي تجاه الدارين يختلف ، وكذلك يختلف الحكم بالنسبة لمن سكن إحدى هاتين الدارين من المؤمنين والكفار ، ولا شك في أن الحكم الشرعي تجاه هذه المسألة مذكورة في الكتاب والسنة ، وفقهاء الأمة من جميع المذاهب الإسلامية تطرقوا إلى هذه المسائل وحددوا حدوداً لكلتا الدارين ، وبينوا أحكامها من جميع النواحي ، وخصوصاً فيما يتعلق في حالتي السلم والحرب ، وفيما يتعلق بالعهود والمواثيق ، وقد ذكرت جانباً من هذه الحدود مما يتعلق بهذه الرسالة نقلاً عن هؤلاء الأعلام من فقهاء المسلمين وبينت آراءهم ، وقد اتضح لنا أن العراق بكامل أجزائه بما فيه إقليم كردستان هو دار إسلام ، منذ أن وصل إليه الفتح الإسلامي وحتى يومنا هذا ، وسيبقى دار إسلام بإذن الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، مع وجود طوائف من غير المسلمين يعيشون في العراق وفي

---

(١) سورة النساء الآية (١٣٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

(٣) سورة الحجرات ، من الآية (٩) .

إقليم كردستان منه في ذمة المسلمين ، بغض النظر عن كون العراق قد احتل من قبل قوى كافرة عام سنة ٢٠٠٢ م ، وهذا القدر لا يخرج العراق من كونه دار إسلام ، حيث لا يزال متمسكين بدينهم ويؤدون شعائر الإسلام بكل حرية ، بل وأكثر من ذي قبل ، وكلنا أمل بأن المحتل سيغادر العراق بإذن الله بعد أن يتكاتف الشعب ويجتمعوا على مبدأ مبني على العدل والمساواة ، وبعد إيجاد سلطة وفية ومخلصة تحب الخير للعباد والبلاد ، وعسى أن يكون ذلك قريباً .

وكون العراق عموماً أو إقليم كردستان منه خصوصاً دار إسلام مسألة لا تستدعي الجدال ولا الاستدلال ، ولكن قيام الحكومة العراقية إبان حكم صدام حسين ـ وللأسف الشديد ـ بممارسة أعمال عسكرية ضد الكرد ، وخاصة في العام ١٩٨٨ م ، حينما قررت مهاجمة المناطق الكردية الموزعة على المحافظات الأربعة : كركوك ، السليمانية ، أربيل ، دهوك ، وتسمية الحكومة هذه العمليات باسم عمليات الأنفال [١] ، وعدم اكتفاء الحكومة بإطلاق هذا الاسم على عملياتها ، بل قيامها فعلياً باستباحة دماء الكرد حتى الأسرى منهم والذين سلموا أنفسهم طوعاً واستباحة ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة .. كل ذلك يدعو الباحث إلى تخصيص مبحث يقرر فيه أن كردستان العراق دار إسلام ، لا يجوز شرعاً أن يستباح تلك الاستباحة التي شاهدناها .

ومهما كانت الدوافع والأسباب التي احتجت بها الحكومة لقيامها بتلك العمليات العسكرية ، ما كان ينبغي لها أن تصل في عملياتها إلى هذا الحد ، أو أن تسمي عملياتها أنفالاً ، تلك التسمية التي تشعر المستمع وكأنها جرت مع الكفار في دار حرب !

ولقد حاول كثير من الكتاب والباحثين من الكرد وغيرهم بيان بشاعة تلك العمليات ، وإدانتها من خلال وجهة نظر القوانين الدولية وحقوق الإنسان ، لكننا لم نجد من تعرض للمسألة من الناحية الشرعية وبيان حكم الإسلام فيها ، مع أنه كان الواجب على العلماء المسلمين أن يبحثوا هذه المسألة ويبينوا بطلان هذه التسمية ،

---

(١) تسمية العمليات هذه باسم الأنفال سجلت بحسب بيانات عسكرية رسمية .

إحقاقاً للحق ـ على الأقل ـ وبياناً لبراءة الإسلام من مثل هذه التسميات الجائرة ، كيف لا والعمليات كانت موجهة لشعب مسلم يعيش في دار إسلام ؟!

ولما كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد كان الواجب التركيز على أن كردستان العراق هو دار إسلام ، وبيان ذلك على ضوء القواعد والشروط التي حددها فقهاء الإسلام ، وقد ذكرت في المبحث السابق من هذا الفصل بعض قواعد وأوصاف دار الإسلام المستنبطة من الكتاب والسنة خلال أقوال الفقهاء لنعلم من ثم هل كردستان العراق دار إسلام أم دار كفر ؟ وهل يستحق أبناؤها ما جرى بحقهم ؟

وقد رأينا أن من أهم أوصاف دار الإسلام هو تمكين دين الله فيها ، وكردستان العراق كان الإسلام ولا يزال ـ بحمد الله ـ فيه ممكناً ، منذ أن وصل الإسلام إليه وحتى الآن ، وذلك بظهور أحكامه فيه ، وتطبيق شعائره ، من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر أركان الإسلام .

ومن أوصاف دار الإسلام ظهور الأمن فيها للمسلمين ، وكان الكرد المسلمين في بلادهم الأمان التام ، ولم يغلب عليهم قط كافر يمنعهم أو يصدهم عن الإسلام ، ولم تظهر في كردستان خصلة كفرية ولو تأويلاً إلا بالجوار والأمان من الكرد عليهم .

وخلاصة القول هي أن كردستان العراق كان ولا يزال دار إسلام ، وذلك باستقرار الشرطين فيها اللتين عليهما دار أقوال الفقهاء ، واللتان بهما يصح تسمية الار بدار الإسلام ، وهما : جريان أحكام الإسلام ، ووجود السلطة فيها [1] .

وعليه يكون كردستان دار إسلام لتوفر شروط وأوصاف دار الإسلام فيه ، وأهله مسلمون ، ويجب أن يعاملوا معاملة المسلمين في حالتي السلم والحرب ، وما جرى في كردستان خلال عقود كثيرة إنما هي فتن شأنها شأن سائر الفتن التي وقعت في البلاد الإسلامية ، وفيما بين المسلمين [2] .

---

(١) يراجع المبحث الأول والثاني من هذا الفصل للإطلاع على أقوال وآراء الفقهاء حول تعريف دار الإسلام وضوابطها .

(٢) ينظر المبحث الخامس من الفصل الرابع للباب الأول من هذا البحث .

الفصل الرابع
عمليات الأنفال في كردستان العراق
كانت من الفتن والهرج

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الفتن والهرج

المبحث الثاني : أنواع الفتن

المبحث الثالث : موقف الصحابة من الفتن التي وقعت في عهدهم

المبحث الرابع : موقف المسلمين من الفتن

المبحث الخامس : حكم المشاركة في الفتن

المبحث السادس : عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج

المبحث الأول
تعريف الفتن والهرج

المطلب الأول : تعريف الفتن لغة :

الفتن جمع ، مفردها : الفتنة ، وهي الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار [١] .

قال الزمخشري : (الفتن أصله الابتلاء والاختبار ، ومنه فتن الفضة ، إذا أدخلها النار ليعرف جيّدها من رديئها ، وكما قيل في شدة النازلة : بلاء ومحنة ، قيل : فتنة ، وفتن فلان بفلانة ، أي : بلي بهواها ونكب) [٢] .

وقال الفخر الرازي : (الفتنة في اللغة : الاستهتار بالشيء ، والغلو فيه ، يقال : فلان مفتون بطلب الدنيا ، أي : قد غلا في طلبها ، وتجاوز القدر) [٣] .

المطلب الثاني : تعريف الفتن اصطلاحاً :

ورد في اصطلاح اللغويين إطلاقات كثيرة لكلمة الفتنة حتى أخرجت بها عن أصل وضعها اللغوي ، فقالوا : الفتنة : الاختبار ، والمحنة ، والمال ، والأولاد ، والكفر ، واختلاف الناس بالآراء ، والإحراق بالنار ، والميلة عن الحق ، والعذاب ، والاقتتال الواقع بين الناس [٤] .

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور (٣ / ٣١٧) ، وغريب القرآن للسجستاني ، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، دار طرابلس ، دمشق ، ص ٢٨٥ .

(٢) ينظر : الفائق لغريب الحديث ، تحقيق محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، (٣ / ٨٧) .

(٣) التفسير الكبير للرازي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، (٤ / ١٥٢) .

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٣ / ٣١٧) .

أما لفظ الفتنة في القرآن فقد ورد في أربع وثلاثين موضعاً ، ما عدا اشتقاقاته اللغوية ، وبالإمكان جمع معاني الفتنة في القرآن فيما يلي :

أولاً : الامتحان والاختبار والبلاء والتمحيص :

وهذا هو أصل وضع الكلمة في اللغة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ (٦) .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٠٢) ، وينظر تفسير هذه الآية بهذا المعنى في تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٤٦٢) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٢٨) ، وينظر : ابن جرير (٩ / ٢٢٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (١١١) ، وينظر : تفسير فتح القدير للشوكاني (٣ / ٣٤١) .

(٤) سورة الحج ، الآية (٥٣) ، وينظر : ابن جرير (١٧ / ١٩١) .

(٥) سورة الفرقان ، الآية (٢٠) ، وينظر : ابن جرير (٨ / ١٩٤-١٩٥) .

(٦) سورة الصافات ، الآية (٦٣) ، وينظر : ابن جرير (٢٣ / ٦٣) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٨] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٤٩) ، وينظر : ابن جرير (٢٤ / ١٢) .

(٢) سورة القمر ، الآية (٢٧) ، وينظر : ابن جرير (٢٤ / ١٢) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٣٥) ، وينظر : ابن جرير (١٧ / ٢٤-٢٥) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٧١) ، وينظر : ابن جرير (٦ / ٣١٢) .

(٥) سورة الأنفال ، الآية (٢٥) ، وينظر : ابن جرير (٩ / ٢١٧) .

(٦) سورة الإسراء ، الآية (٦٠) .

(٧) سورة التغابن ، الآية (١٥) ، وينظر : ابن جرير (٢٨ / ١٢٦) .

(٨) سورة المدثر ، الآية (٣١) ، وينظر : ابن جرير (٢٩ / ١٦٠) .

ثانياً : الشرك : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (٥) .

ثالثاً : العقوبة : وهذا نحو قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦) .

رابعاً : العذاب : وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٩٣) ، وينظر : .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩١) ، وينظر : .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (١ / ٢٠) .

(٤) سورة النساء ، الآية (٩١) ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي (٢ / ٩٦) وتفسير البغوي (٢ / ٢٦٢) .

(٥) سورة الأنفال ، الآية (٣٩) ، وينظر : ابن جرير (٩ / ٢٤٨) .

(٦) سورة النور ، الآية (٦٣) ، وينظر : فتح القدير للشوكاني (٤ / ٥٨) وهو يقول : والفتنة هنا غير مقيد بنوع من أنواع الفتن ، وقيل : هي القتل ، وقيل : الزلازل ، وقيل : تسلط سلطان جائر ، وقيل : الطبع على قلوبهم ، ولا يخفى أن كل ما قيل في تفسير الآية هو نوع من أنواع العقوبة في الدنيا ، والله أعلم .

خامساً : التسليط ، أو الافتتان والإعجاب : وهذا نحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

سادساً : المصيبة وضيق العيش : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (٤) .

سابعاً : الضلال وإرادة الشبهات واللبس : وهذا في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (٥) .

ثامناً : الضلالة عن طريق الحق : وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ (٦) .

تاسعاً : المعذرة : ومنه قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (١٠) ، وينظر : ابن جرير (٢٠ / ١٢٣) .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية (٥) ، وينظر : ابن جرير (٢٨ / ٦٤) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٨٥) ، وينظر : ابن جرير (١١ / ١٥٢) .

(٤) سورة الحج ، الآية (١١) ، وينظر : ابن جرير (١٧ / ١٢٢-١٢٣) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية (٧) ، وينظر : ابن جرير (٣ / ١٨٠) .

(٦) سورة المائدة ، الآية (٤١) ، وينظر : ابن جرير (٦ / ٣٣٨) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (٢٣) ، وينظر : ابن جرير (٦ / ٣٣٨) .

عاشراً : المشيئة والقضاء : وهذا في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ (١) .

حادي عشر : الإثم : وهذا في قوله تعالى : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ (٢) .

ثاني عشر : الإحراق بالنار : ومنه قوله تعالى : ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٣) .

ثالث عشر : الفساد والمعاصي : وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٤) .

رابع عشر : الشر : وهذا في قوله تعالى : ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٥) .

خامس عشر : القتال في العصبية : وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾ (٦) .

سادس عشر : تفريق الجماعة وتشتيت الكلمة : وهذا في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٥٥) ، وينظر : فتح القدير (٢ / ٢٥٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٤٩) ، وينظر : ابن جرير (١٠ / ١٤٩) .

(٣) سورة الذاريات ، الآية (١٤) ، وينظر : ابن جرير (٢٦ / ١٩٣-١٩٤) .

(٤) سورة الأنفال ، الآية (٧٣) ، وينظر : ابن جرير (١٠ / ٥٥) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (٤٨) ، وينظر : فتح القدير (٢ / ٤١٩) .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية (١٤) ، وينظر : فتح القدير (٤ / ٣٠٧) .

(٧) سورة التوبة ، الآية (٤٧) .

المطلب الثالث : تعريف الهرج لغةً :

أصل الهرج في لغة العرب : الاختلاط ، يقال : هرج الناس يهرِجون ـ بالكسر ـ هرجاً ، أي : اختلطوا ، ومنه : هرّج الرجل في حديثه : خلط ، ويقاس على هذا فيقال للقتل : هرج ، والهرج : عدو الفرس بسرعة [1] .

وأصل الهرج أيضاً : الكثرة في كل شيء ، فالهرج الكثرة في المشي والاتساع ، والشدة في القتل وكثرته ، والكثرة في النكاح ، والكثرة في النوم ، والكثرة في الكذب [2] .

ومنه أيضاً : الهُرْجُ جمع هروج ، وهو الكثير النكاح ، الكثير الإسراع .

وهناك لفظة أخرى في اللغة لها نفس معنى الهرج ، وهي المرج ، وهي بمعنى ذهاب ومجيء واضطراب ، والمرج أصله أرض ذات نبات تمرح فيها الدواب [3] .

وقالوا أيضاً : أصل المرج القلق ، وأمر مريج أي : مختلط ، ومرج الدين والأمر : اختلط واضطرب ، ومنه الهرج والمرج ، والمرج الفتنة المشكلة ، والمرج الفساد [4] .

المطلب الرابع : تعريف الهرج اصطلاحاً :

عرف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهرج بأنه القتل ، وذلك في الحديث الذي جاء فيه : ﴿ يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج ﴾ قالوا : وما الهرج ؟ قال : ﴿ القتل القتل ﴾ [5] .

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ٤٩) ، ولسان العرب لابن منظور (٢ / ٣٨٩) .

(٢) ينظر : إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك (٢ / ٧٣٦) ، والمشوف المعلم للعكبري ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ (٢ / ٨٠٥).

(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة (٥ / ٣١٥) .

(٤) لسان العرب لابن منظور (٢ / ٣٦٥) .

(٥) رواه البخاري في باب ظهور الفتن ، تحت رقم (٥٦٩٠) ، ومسلم في باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن ، تحت رقم (١٥٧) ، كلاهما عن أبي هريرة .

وعلى هذا لا فرق بين معنى الفتنة ومعنى الهرج ، ولكن لما كان أصل لفظ الهرج يدل على الاختلاط والكثرة في كل شيء ، وكان هذا الاختلاط يؤدي غالباً إلى القتل ، أطلق لفظ الهرج إلى سببه الذي هو القتل ، قال ابن الأثير [1] : (الهرج الاختلاف والقتل ، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه القتل ، والقتل إنما سببه الفتن والاختلاف) [2] .

والهرج وإن كان معناه الاختلاط والكثرة في كل شيء ، إلا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرف معناه إلى القتل كما مر في حديثه السابق .

قلت لفظ الفتنة إذا ورد مطلقاً في الأحاديث النبوية احتمل معانيَ كثيرة ، فإذا أضيف إلى الهرج احتمل معنى واحداً وهو القتل ، وقد فرق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض أحاديثه بين الفتنة والهرج كما في قوله : ﴿ ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ﴾ [3] ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد فرق بين لفظي الفتنة والهرج عند افتراق لفظيهما ، وإذا أضيفت لفظ الفتنة إلى لفظ الهرج يكون المقصود منها تلك الصراعات والنزاعات والقتال الذي يقع بين المسلمين نتيجة لاختلافاتهم لسبب من الأسباب ، فيبيحون دماءهم وانتهاك حرماتهم .

---

(١) هو أبو السعادات مجد الدين محمد بن محمد الشيباني الجزري الموصلي ، المتوفى بالموصل سنة (٦٠٦ هـ) ، كانت ولادته بجزيرة ابن عمر ، وقرأ الحديث والعلم والأدب ، كان ورعاً عاقلاً ذا بهاء ، وله مؤلفات منها : جامع الأصول ، والمصطفى المختار في الأدعية والآثار ، وغيرها ، ينظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١ / ٤٩٠) .

(٢) ينظر : جامع الأصول لابن الأثير (١٠ / ١٣) .

(٣) رواه البخاري في باب إذا هبت الريح تحت رقم (٦٦٥٢) ، ومسلم في باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن تحت رقم (١٥٧) ، كلاهما عن أبي هريرة .

المبحث الثاني
أنـواع الـفـتـن

مما يعلم من الدين بالضرورة ، ومما اتفقت عليه كلمة المسلمين أنه لا ينبغي للمسلم أن يحمل السلاح ليقاتل أخاه المسلم بسبب خلاف في الرأي ، أو حصول شبهة في إيمانه ، وبين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمته أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم مصانة لا يحل العبث بها إلا بحق أوجبه الشرع .

وكل قتل دون ما أوجبه الشرع ظلم وتجاوز على شرع الله عز وجل ، ولكن مع هذا أباح الشرع الحكيم أنواعاً من القتال ـ وهي من الفتن ـ قد يكون الطرفان فيها من المسلمين ، ومن تلك الأنواع :

النوع الأول : قتال المحاربين وقطاع الطرق .

النوع الثاني : دفع الصائل .

النوع الثالث : قتال الطائفة الباغية .

النوع الرابع : قتال البغاة .

النوع الخامس : قتال الفتنة .

وتفاصيل أحكام هذه الأنواع من القتال مذكورة في كتب الفروع لجميع المذاهب الفقهية ، وليست هذه الرسالة موضع سردها ، ولكن لا بد لنا من ذكر شيء منها حتى تتضح أمامنا الصورة ، وسنشير هنا باختصار إلى تلك الأنواع من الفتن .

النوع الأول : قتال المحاربين وقطاع الطرق :

وهم الذين يتعرضون للمسلمين لأخذ أموالهم وأمتعتهم أو اختطاف أفراد منهم لطلب أموال مقابل إطلاق سراحهم ، معتمدين في ذلك على القوة ، وسواء أن يكون عملهم هذا داخل المدن والأرياف أو في الطرق البعيدة .

قال ابن حجر الهيتمي : (سمي بذلك ـ يعني قاطع الطريق ـ لمنعه المرور فيها ببروزه لأخذ مال أو قتل ، أو إرهاب مكابرة ، اعتماداً على القوة مع عدم الغوث) [1] . والأصل فيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] .

النوع الثاني : دفع الصائل :

الصيّال هو الاستطالة والوثوب على الغير [3] ، وسواء كان الصيال على المسلم أو الذمي فكله في عرف الشرع صيّال .

واختلف أهل العلم من الفقهاء في حكم دفع الصائل هل هو واجب أو مندوب أو مباح ؟

أما الدفاع عن النفس فجمهور الفقهاء ذهبوا إلى وجوبه في حق نفسه وفي حق غيره ، بينما يرى الشافعية أنه من باب الندب ، إلا إذا كان الصائل كافراً ـ أو بهيمة ، أو مسلماً غير محقون الدم ، كالمسلم المحصن الزاني ، وتارك الصلاة ، وقاطع الطريق

---

(١) ينظر : تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، لابن حجر الهيتمي ، وحواشي الشيرواني وابن قاسم العبادي على التحفة (٩ / ١٥٧) ، وكذلك : منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه ، ط دار الفكر ، بيروت ، ص (٣٠١) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٣٣) .

(٣) ينظر : حواشي الشيرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي ، والتحفة (٩ / ١٨١-١٨٢) .

القاتل [1] ، ويرى المالكية وجوب دفع الصائل لكن بعد الإنذار ، وذهب الحنابلة إلى جواز الدفاع دون الوجوب [2] .

وأما الدفاع عن المال ، فجمهور العلماء على جوازه ، لا وجوبه ، سواء كان المال قليلاً أو كثيراً وقد استثني من هذا العموم في الجواز دفع الحاكم الظالم والإمام الجائر إذا أراد أخذ ماله ، فليس له أن يدفعه بل يصبر على ذلك لما ثبت من الأدلة في عدم الخروج عن طاعة الإمام ولو كان جائراً .

وقال ابن حزم : (الدفاع عن المال واجب ولو كان المعتدي هو السلطان) [3] .

وأما الدفاع عن العرض ، فهو واجب بالاتفاق سواء كان من قبل المرأة التي تراود على نفسها ، أو من قبل من حضر ذلك ، سواء كان قريباً منها نسباً أو بعيداً عنها ، واستدلوا على هذا بفعل عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو أن رجلاً أضاف إنساناً من هذيل ، فذهبت جارية منهم تحطب ، فأرادها على نفسها ، فرمته بفهر ـ يعني حجراً ـ فقتلته ، فرفع إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه فقال : فذلك قتيل الله ، لا يودي أبداً) [4] .

وخلاصة القول في المسألة : إنه يشرع للمسلم جوازاً أو وجوباً أن يدفع عن نفسه ، أو عن غيره سواء كان هذا الغير مسلماً أو ذمياً ممن أراد الاعتداء والوثوب عليه لقتله ، أو الاعتداء على عرضه أو ماله ، فإن لم يندفع إلا بالقتل جاز قتله ، وإن قتله فلا ضمان عليه ، وإن قتل فهو شهيد ، للحديث الصحيح : ﴿ من قتل دون ماله

---

(١) ينظر : الفقه الإسلامي وأدلته ، د. وهبة الزحيلي ، (٥ / ٧٥٥-٧٥٩) .

(٢) ينظر : نفس المصدر السابق ، (٥ / ٧٥٥) .

(٣) ينظر : المحلى لابن حزم ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٢ / ٢٨٥) .

(٤) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ، ضبط وتعليف سعيد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، رقم الحديث (٧٨٤٢) ، (٩ / ٣٧١) .

فهو شهيد ﴾ [1] وفي رواية أخرى : ﴿ من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ﴾ [2] ، ولا يجوز استعمال أغلظ الوسائل لدفع الصائل أول الأمر إلا إذا غلب على ظن المعتدى عليه أن الصائل لا ينزجر إلا بالأغلظ ، فيبدأ بالكلام الزاجر ، ثم الاستغاثة ، ثم إلى الضرب الشديد ، أو قطع عضو منه ، فإن لم يمكنه ذلك وأمكنه الهرب وجب عليه الهرب ، وإلا جاز له قتاله وقتله [3] ، وأما إذا اشتد الأمر والتحم القتال بينهما سقط مراعات الترتيب [4] .

النوع الثالث : قتال الطائفة الباغية :

قد يحدث خلاف بين طوائف من المسلمين لسبب أو آخر ، فيؤدي ذلك الخلاف إلى نشوب القتال بينهم وإراقة الدماء ، فحينئذ يجب على أهل الحل والعقد من المسلمين أن يدعوهم إلى الصلح ، وحقن دماء المسلمين ، والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإن حصل الصلح وتركوا القتال كان في ذلك الخير كله ، وإن أبت إحدى الطائفتين الصلح ، واستمرت على الخلاف والقتال ، أصبحت هي الطائفة الباغية ، ووجب قتالها من قبل المسلمين ، بحكم قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [5] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم ، باب من قتل دون ماله (٣ / ١٠٨) ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره .. (١ / ١٢٥) .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١ / ١٨٧) والقضاعي في الشهاب (١ / ٢٢٤) .

(٣) المجموع للنووي (٢١ / ٩٣-٩٥) .

(٤) ينظر : إعانة الطالبين للسيد البكري (٤ / ١٧٢) .

(٥) سورة الحجرات ، الآية (٩) .

وكذلك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا إلى الأخذ على يد الظالم ومنعه عن ظلمه ، ونصرة المظلوم والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

ومن حديثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الشأن قوله : ﴿ أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ﴾ قالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : ﴿ تأخذ فوق يده ﴾ [1] .

النوع الرابع : قتال البغاة :

اختلفت تعاريف البغاة عند الفقهاء ، فيعتبر فريق منهم البغي بأنه الخروج على الإمام العادل مع وجود الشوكة والمنعة ، والتأويل بينما يعتبر فريق آخر منهم بأن البغي هو الخروج على الإمام العادل أو غير العادل اشتراط الشوكة والتأويل [2] . أما بعض الشافعية فإنهم يرون أن الباغي هو المخالف لإمام العدل الخارج عن طاعته بامتناعه من أداء واجب عليه ، وأنهم يرونه أنه لا يكفر ولا يفسق ، لكنه مخطئ [3] وحملوا التشديدات التي وردت في الأحاديث الكثيرة [4] على من خرج عن طاعة الإمام على من خرج بلا عذر ولا تأويل ، وعلى من لا أهلية فيه للاجتهاد ، أو له تأويل قطعي البطلان [5] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ، تحت رقم (٢٤٤٣) ، وفي رواية أخرى تحت رقم (٢٤٤٤) .

(٢) ينظر : أحكام البغاة والمحاربين ، للدكتور خالد رشيد الجميلي ، الذي استوفى هذه المسألة بكثير من التفصيل .

(٣) ينظر : روضة الطالبين للإمام النووي (٧ / ٢٧٠) .

(٤) كحديث : ﴿ من حمل علينا السلاح فليس منا ﴾ ، وحديث : ﴿ من فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾ ، وحديث : ﴿ من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية ﴾ .

(٥) ينظر : حواشي الشيرواني وابن القاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي (٩ / ٦٥) .

وعرف الحنابلة البغاةَ بأنهم الذين يخرجون على الإمام بتأويل سائغ ، سواء كان الإمام عادلاً أو لا ، ولهم المنعة والشوكة ، وقد جوّز بعضهم الخروج على الإمام الجائر ، وذكروا خروج الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ على يزيد لإقامة الحق ، وهذا القول مخالف لنصوص الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ حيث يقول : إنه لا يحل ، وإنه بدعة مخالف للسنة ، ويقول : إن السيف إذا وقع عمت الفتنة ، فتسفك الدماء وتستباح الأموال ، وتنتهك المحارم [1] .

وعرف المالكية البغي بأنه الامتناع عن طاعة من ثبتت إمامته في غير معصية ، أما إذا كان خروج الباغي لأجل ظلم الإمام ومعصيته ، فلا يوصف الخارج عليه بالباغي ، ويرى البعض الآخر من المالكية أن معصية الإمام وجوره لا يجيز عزله ولا الخروج عليه ، فالخارج عليه يوصف بالبغي ، ويجرى عليه أحكام البغاة [2] .

ومن خلال تلك التعاريف التي وضعها العلماء للبغي والبغاة ، تتضح لنا مسألتان :

الأولى : إن البغي لا يخرج بأهله عن مسمى الإيمان والإسلام والعدالة ، بل إن الباغي هو مسلم مؤمن خرج على الإمام بتأويل سائغ وامتنع بقوة وشوكة ، فجاز للإمام مناجزته ، وقتاله ، لكن بعد صرف جميع وسائل الإصلاح وإقامة الحجة عليهم ، وتلبيته طلباتهم المشروعة ، إن كانت في مقدوره .

الثانية : إن اصطلاح البغي أو البغاة قد يخطأ الكثير في استعمالها ويطلقون لفظ البغي على كل من يحمل السلاح على إمامه ، دون أن يميز بين البغاة وقطاع الطرق وأصحاب الحق الخارجين على الإمام أو الحاكم الظالم الجائر أو الفاسق ، علماً أن هناك

---

(١) ينظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، تحقيق وتصحيح محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٥ م ، (١٠ / ٣١١) .

(٢) ينظر : شرح حدود ابن عرفة للرماح ، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٣ م ، (٢ / ٦٣٣) .

من العلماء من لا يرى أن البغي اسم ذم ، لأن البغاة ما خالفوا الإمام ولم يخرجوا عليه إلا بتأويل وجائز في اعتقادهم ، فكيف إذا كان هذا التأويل سائغاً وصحيحاً في الواقع ونفس الأمر ؟ [1] ولذلك عاب شيخ الإسلام ابن تيمية على من صنف من الفقهاء كتباً في قتال البغاة ، إذ سوّوا بين قتال أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لمانعي الزكاة ، وقتال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ للخوارج ، وقتاله لأصحاب معركة الجمل وصفين ، وغير ذلك فاعتبروا كل ذلك من قتال البغي . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن جمهور أهل العلم يفرقون بين الخوارج وبين أهل الجمل وصفين ، ممن يعد من البغاة المتأولين ، ثم قال : وهذا هو المعروف عن الصحابة ، وعليه عامة أهل الحديث والفقه والمتكلمين ، وعليه نصوص أكثر الأئمة وأتباعهم من أصحاب مالك وأحمد والشافعي ، رحمهم الله أجمعين [2] .

وابن تيمية ـ رحمه الله ـ يرى أن الفقهاء يذكرون قتال البغاة والخوارج جميعاً ، ولم يصح فيه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديث ، وأما كتب الحديث المصنفة مثل صحيح البخاري والسنن ، فليس فيها إلا قتال أهل الردة والخوارج ، وهم أهل الأهواء ، ويقول ـ رحمه الله ـ : وهذا هو الأصل الثابت بكتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهذا هو الفرق بين القتال لمن خرج عن الشريعة والسنة ، فهذا هو الذي أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتاله ، وأما القتال لمن لم يخرج إلا عن طاعة إمام معين ، فليس في النص أمر بذلك [3] .

وأما قتال البغاة : فقد ورد عن الإمام أحمد أن الذي سنّه وأحكامه هو الإمام علي بن أبي طالب ، وقال : ولم يرد سنة عن النبي في ذلك [4] .

---

(١) ينظر : حواشي الشيرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج (٩ / ٦٥) .

(٢) ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ٥٤) .

(٣) ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤ / ٤٥١) .

(٤) ينظر : مناقب الشافعي للبيهقي (١ / ٤٥٠-٤٥١) .

النوع الخامس : قتال الفتنة :

الكلام في هذا النوع من القتال ليس كالكلام عن الأنواع السابقة من القتال حين رأينا أقوال العلماء فيها أنهم اتفقوا على وجوب أو جواز القتال فيها ، باستثناء رأي شيخ الإسلام في قتال البغاة الخارجين عن طاعة الإمام حيث رأى أنه لم يثبت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيء يجيز قتالهم .

أما قتال الفتنة فالذي يظهر من النصوص الواردة في النهي عن الدخول فيه أنه ليس له صورة واحدة بل إنه يختلف باختلاف الناس وأوضاعهم ، وسأبين هنا صور قتال الفتنة باختصار :

١ ـ إذا اشتبه على الرجل الحق والباطل ، فلم يدرِ أين الحق وأين الباطل ، يكون القتال حينئذ قتال فتنة ، بغض النظر عن كون أحد الطرفين على حق والآخر على باطل ، ولو اتبع الطرف المحق وهو لا يعلم أنه محق كان قتاله قتال فتنة المأمور بعدم الدخول فيه ، ويصدق عليه قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيمَ قتل ، ولا المقتول فيمَ قتل .. الحديث ﴾ [(١)] ، وقد اعتبر كثير من الصحابة أن ما وقع في عصرهم فيما بينهم من الفتن وأنه قتال فتنة ، المنهي عن الخوض فيه ، لذلك اعتزلوه [(٢)] .

٢ ـ ويكون القتال قتال فتنة إذا حدث قتال بين طائفتين من المسلمين ظالمتين ، وليس لأي منهما تأويل فيما تفعل من قتال الأخرى .

٣ ـ ويكون القتال قتال فتنة إذا لم يكن للمسلمين إمام يرجع إليه ، لأن القتال في هذه الحالة لا يمكن ضبطه ، ويصدق على هذا حديث حذيفة ـ رضي الله عنه المشهور :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، تحت رقم (٥١٧٦) .

(٢) كما سيأتي قريباً ـ إن شاء الله ـ بيان موقف الصحابة من الفتن .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : ﴿ فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ﴾ [1] .

٤ ـ ويكون القتال قتال فتنة إذا تحقق أنه من أجل الدنيا والتنازع على الحكم والسلطان .

هذه هي الصور التي يكون القتال فيها قتال فتنة الذي ورد الشرع بالنهي عنه ، وعلى بعض هذه الصور تنزل كثير من النصوص التي وردت عن اعتزال بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو التابعين للقتال يومها .

أما إذا ظهر للمسلم بمقتضى اجتهاده أين هو الحق مع من هو ؟ فيجب عليه حينئذ مناصرة أهل الحق على المبطلين ، ولأجل هذا خاض جمع غفير من الصحابة والتابعين المعارك التي دارت في عصرهم سواء تلك التي دارت بين أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ وبين طلحة والزبير وعائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ، أو بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ .

وسيأتي تفصيل ذلك قريباً إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه البخاري في باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة .

المبحث الثالث
موقف الصحابة من الفتن
التي وقعت في عهدهم

لقد أخبر النبـي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إجمالاً وتفصيلاً بأن هذه الأمـة سـتبتلى بفتن لا بد من وقوعها ، وأنها ستتقاتل ، ويكفّر بعضها بعضاً ، ويفسّق بعضها بعضـاً ، وتـنـوعـت أساليب الأخبار عـن ذلـك ، مـن ذكـر الأسـباب أو النتـائج ، أو لـبعض أحداثها ووقائعها ، محذراً أمته لينجوَ من كتب الله له السلامة .

وفي عصر الصحابة بدأت طائفة من تلك الفتن التي أشار إليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أولها قتل خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عثمان بن عفـان ـ رضي الله عنه ـ وما ترتب على استشهاده من الفتن التي وقعت بـين علـي ـ رضـي الله عنه ـ من جهة وبين عائشة والزبير وطلحة ـ رضي الله عنهم ـ من جهة ، وكذلك بينـه وبين معاوية ـ رضي الله عنهما ـ بعد ذلك .

وقد اعتبر حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أن قتل عثمـان ـ رضـي الله عنـه ـ أول فتنة في الإسلام فقال : (أول الفتن قتـل عثمـان وآخـر الفـتن الـدجال) ، وقـد أنجمت تلك الفتنة عن قتل كثير من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسفك دمائهم .

ولقد أدرك كثير من الصحابة ما يمكن أن يحصـل مـن مفاسـد وفـتن إذا مـا قتـل الخليفة عثمان ـ رضي الله عنهم ـ ولـذلك حـذروا مـن مغبـة ذلـك العمـل وعواقبـه الوخيمة ، وبـذلـوا جهوداً عظيمة للحيلولـة دون وقوعـه ، خشـية مـن تلـك الفـتن والمفاسد ، وأولهم الإمام عثمان نفسه ، فقال : (يا قوم ! لا تقتلوني ، فـإني والٍ وأخ

مسلم ، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت ، أصبت أو أخطأت ، وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعاً أبداً ، ولا تغزوا جميعاً أبداً ، ولا قسم فيئكم بينكم [1] .

قال الحسن البصري : (فوالله إن صلى القوم جميعاً ، إن قلوبهم مختلفة) [2] ، فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لم يقفوا عند مجرد التحذير بالقول ، بل بذلوا قصارى جهدهم للذود عن الإمام عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكانوا مستعدين للدفاع عنه ، وإن كان ثمن ذلك موتهم دونه ، والنصوص في بيان هذه الحقيقة كثيرة ، فالحسن والحسين وابن عمر وابن الزبير وغيرهم من الصحابة انطلقوا ودخلوا على عثمان ـ رضي الله عنه ـ للذود عنه ، فقال لهم الخليفة : (أعزم عليكم لمار رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمتم بيوتكم) [3] ، ولذلك أرسل الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ إلى عثمان قائلاً : (إن معي خمسمائة دارع ، فأذن لي فأمنعك من القوم ، فإنك لم تحدث شيئاً يستحل به دمك) فقال : (جزيت خيراً ، ما أحب أن يراق دم بسببي) [4] ، فكان عثمان ـ رضي الله عنه ـ أحرص الناس على مصلحة الإسلام والمسلمين ، وحقن دماء الناس ، وقد آثر أن يضحي بنفسه ويحفظ دماء المسلمين ، والصحابة بحكم بيعتهم له التزموا السمع والطاعة ولم يقوموا بما من شأنه أن يفرق بين المسلمين أمام هذه الفتنة العظيمة التي تطيش أمامها العقول .

يقول ابن تيمية : (ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكفّ الناس عن الدماء ، وأصبر الناس على ما ناله من عرضه ، وعلى من سعى في دمه ، فحاصروه وسعوا في قتله ، وقد عرف إرادتهم لقتله ، وهو يأمر الناس بالكفّ عن القتال ، ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم .. وقيل له : تذهب إلى مكة ، فقال : لا أكون ممن ألحد في الحرم ، فقيل له : تذهب إلى الشام ، فقال : لا أفارق دار هجرتي ، فقيل له :

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣ / ٧٦) وابن حجر في المطالب العالية (٤ / ٥١-٥٢) .

(٢) تاريخ الخليفة للخليفة بن خياط (ص ١٧١) .

(٣) تاريخ الخليفة للخليفة بن خياط (ص ١٧٤) .

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (/ ٤٠٣) .

فقاتلهم ، فقال : لا أكون أول من خلف محمداً في أمته بالسيف ، فكان صبر عثمان حتى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين) [1] .

ثم بويع الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بالخلافة ، فأصبح إماماً للمسلمين حقاً ، فنشأ الخلاف بين الصحابة إثر تلك الفتنة العظيمة بين علي ـ رضي الله عنه ـ من جهة ، وكل من طلحة والزبير وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ من جهة أخرى ، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ ، ولم يكن الخلاف بينهم لأجل خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ وعدم قبول خلافته وإمامته ، أو إعلاناً لخلافة جديدة ، ولكن خلافهم كان في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان الذين كان جزء منهم في جيش الإمام علي ، ومنهم من هرب إلى البصرة ، أو احتمى بقبيلته وعشيرته .

ثم إن هذا الخلاف لم يكن في أصل المسألة ، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها ، إذ كان الإمام علي موافقاً بل حريصاً على وجوب القصاص من قتلة عثمان ، وكان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع ، ولم ينكر معاوية فضل علي واستحقاقه الخلافة ، لكن اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم القصاص من قتلة عثمان على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان ، فأخطأ في اجتهاده ـ رضي الله عنه ـ فله أجر الاجتهاد ، ولا إثم عليه ـ إن شاء الله ـ [2] .

وبسبب اختلافهم في كيفية معالجتهم لهذه القضية تفرق المسلمون يومها إلى ثلاث فرق :

الفرقة الأولى : الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ومن معه .

الفرقة الثانية : الزبير وطلحة وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ ومن معهم ، ثم معاوية ـ رضي الله عنه ـ ومن معه .

الفرقة الثالثة : من اعتزل القضية ، واعتبرها فتنة يجب اعتزالها شرعاً .

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣ / ٢٠٢-٢٠٣) .

(٢) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤ / ١٦٠) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ٧٢) .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضية كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم ، وصاروا ثلاثة أقسام : قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغٍ ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده ، وقسم عكس هؤلاء : ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه ، وقسم ثالث : اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين ، فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه) [1] .

ولم يكن خروج الزبير وطلحة وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ إلا لأجل الإسراع في الاقتصاص من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وعدم تأخره حجة أو ذريعة ، إذ كانوا يرون أن المصلحة الشرعية في حسم هذا الأمر حتى لا يتطور ، ويفتح أبواب الشر .

وهذا يظهر جلياً من كلام الزبير ـ رضي الله عنه ـ عندما وصلوا إلى البصرة وخطب في الناس ، وذكر ما كان من قتل عثمان ، ودعا إلى المطالبة بدمه ، وعلّل ذلك بقوله : (إن في ذلك إعزازاً لدين الله ، والمطالبة بدم الإمام حدّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أجبتم وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام) [2] .

وهكذا أجاب طلحة والزبير القعقاعَ حين أرسله الإمام علي إلى البصرة ليسأل عن سبب خروجهم ، فقالا : (قتلة عثمان ، فإن هذا الأمر إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن) [3] ، ثم بعد المناقشة والمداولة بينهم وبين القعقاع ، بين لهم القعقاع خطورة أمر الفرقة والاختلاف ، وأن قضية الاقتصاص تحتاج

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ / ١٤٩) .

(٢) ينظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري ، (٤ / ٤٦٤) .

(٣) نفس المصدر السابق (٤ / ٤٨٨-٤٨٩) .

إلى تسكين الأوضاع والأناة ، وبين لهم أنهم إن استجابوا لطلبه ففي ذلك تباشير الخير ، وقال لهم : إن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر كانت علامة شر ، فكونوا مفاتيح الخير كما كنتم ، فقالوا له : أصبت وأحسنت فارجع ، فرجع القعقاع إلى علي وأخبره بما جرى ، ففرح المسلمون بذلك ، وأشرفوا على الصلح ، كره ذلك من كرهه ، ورضيه من رضيه [1] .

وهكذا اتفق الجانبان على حسم القضية ، وأن المسألة تحتاج إلى أناة ، إلا أن الواشين والمغرضين استطاعوا خرق صفوف الجانبين وإشعال نار الفتنة ثانية بين الجانبين ، فحدث ما حدث ، ولله الأمر من قبل ومن بعد !

وتبين لنا من خلال هذا العرض السريع موقف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الفتن التي حدثت في أيامهم ، وأنهم كانوا على موقفين : موقف المشاركين مع أحد الطرفين ، كل على حسب اجتهاده الذي بدا له ، وموقف المعتزلين عن الطرفين ، وذلك أيضاً حسب اجتهادهم في المسألة ، فرأوا أن هذه قتال فتنة ، فلم يروا الدخول فيه ، واشتبه عليهم الحق بالباطل ، والصواب بالخطأ ، فآثروا السلامة لدينهم .

---

(١) ينظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤ / ٤٨٩) والبداية والنهاية لابن كثير (٧ / ٢٣٨) .

المبحث الرابع
موقف المسلمين من الفتن

أولاً : موقفهم مما وقع بين الصحابة من الفتن :

وسأبين ذلك في الفقرات التالية :

أ ـ موقفهم من مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ :

أجمع أهل السنة على أن عثمان كان إماماً حقاً ، وكان مستقيماً ، إلى أن قتل ، وأجمعوا على أن قاتليه قتلوه ظلماً ، فإن كان فيهم من استحل دمه فقد كفر ، ومن تعمد قتله من غير استحلال كان فاسقاً غير كافر ، وانعقد إجماع المسلمين من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فلا يحل قتله ، ولا يجوز عزله ، لجملة مسائل اجتهد فيها ، بعضها تعد من مآثره وفضائله ، كجمعه للقرآن ، وقد أثنى الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ على عمله هذا وقال : (لو لم يصنعه عثمان لصنعته) [1] .

ب ـ موقفهم مما وقع بين علي وبين من خرج عليه :

أما موقف المسلمين مما وقع بين علي ـ رضي الله عنه ـ وبين من خرج عليه فقد اتفق أهل السنة على تصويب الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ في خلافه مع طلحة والزبير وعائشة ، ثم مع معاوية ، وما كان هذا الاتفاق إلا لكون الإمام على الحق ، وأن مخالفيه اجتهدوا في الخروج عليه فأخطأوا فلهم أجر الاجتهاد فقط ، ولا ينبغي لمسلم أن يطعن في أحدهم أو يذكرهم بسوء .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن أثير ، (٤ / ١١٢) ، حوادث سنة (٣٠) .

قال الحافظ ابن حجر : (واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف المحق منهم ، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين) [1] .

وقد يستدل على تصويب الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ بنحو ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : ﴿ يكون في أمتي فرقتان ، فيخرج من بينهما مارقة ، يلي قتلهم أوْلاهم بالحق ﴾ [2] ، وما أخرجه مسلم وأبو داود من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً مرفوعاً : ﴿ تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتله أولى الطائفتين بالحق ﴾ [3] . قال النووي : (هذه الروايات صريحة في أن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان هو المصيب المحق ، والطائفة الأخرى ـ أصحاب معاوية ـ كانوا بغاة متأولين ، وفيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون ، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ، ولا يفسقون ، وهذا مذهبنا ، ومذهب موافقينا) [4] .

والمخالفون لأمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ كانوا طلاب دم ، ولا يصح لطالب الدم أن يحكم ، وتهمة طالب الدم للقاضي لا توجب أن يخرج عليه ، بل يطلب الحق عنده فحسب ، فإن ظهر له فقضاء ، وإلا سكت وصبر [5] .

هذا هو موقف أهل السنة في تصويب الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ في خلافه مع مخالفيه ، أما قتاله مع مخالفيه فقد صوّبه جمهور أهل السنة ، إلا أن الخلاف هنا قوي ، وقد تطرق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة في مواضع من كتبه ، فقد ذكر بأن كثيراً

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٣٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، (٧ / ١٦٧) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، (٧ / ١٦٧) ، وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب : ما يدل على ترك الكلام في الفتنة ، برقم (٤٦٦٧) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، (٧ / ١٦٧) .

(٥) ينظر : العواصم من القواصم لابن العربي ، (١٦٤) .

من الفقهاء يرون بأن ترك القتال كان خيراً من فعله ، وذكر بأنهم يستدلون على ما ذهبوا إليه بجملة أمور ، منها :

١ ـ حديث الحسن ـ رضي الله عنه ـ المشهور ، حيث أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدح الحسن وقال في مدحه : إن الله يصلح به بين المسلمين ، ويستفاد منه بأن القتال الذي جرى بين المسلمين كان الأولى تركه ، وأنه لم يكن واجباً ولا مستحباً [١] .

٢ ـ إن شرط الفئة الباغية لم يتحقق ، وحتى لو تحقق فإن الواجب أن لا يبدأهم بقتال .

٣ ـ لم يحصل من ذلك القتال أية مصلحة للمسلمين ، والأمور بعواقبها ، وكان يمكن للإمام علي أن يتخذ وسيلة أخرى لحل النزاع ، كأن يبقي معاوية أميراً على إمارته في الشام ، ولم يكن في ذلك من الشر أعظم مما حصل بالاقتتال ، وكان هذا رأي ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ .

٤ ـ إن أغلب الصحابة اعتزلوا هذا القتال ، فلم يكونوا في هذا الجانب ، أو في هذا الجانب ، وهذا لاعتقادهم بأنه قتال فتنة ، وقد ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ النهي عن الدخول فيه [٢] .

٥ ـ واستدلوا أيضاً بأن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ لم يكن مطمئناً في قتاله مع هؤلاء كما كان مطمئناً في قتاله مع الخوارج ، وهذا يدل على أنه لم يكن عنده في المسألة شيء من الأدلة الشرعية ، بل كان هذا مجرد اجتهاد ورأي منه ـ رضي الله عنه ـ [٣] .

---

(١) ينظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، (٤ / ٣٩١-٣٩٢) .

(٢) ينظر : منهاج السنة النبوية (٤ / ٤٦٢-٤٦٣) و (٨ / ٥٢٦) و (٥ / ١٥٣) ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥ / ٧٧) .

(٣) ينظر : منهاج السنة لابن تيمية ، (٨ / ٥٢٦) .

٦ ـ إن كل من شارك في هذا القتال ندم فيما بعد ، بما فيهم الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ [١] وكذلك ندمت عائشة على مسيرها إلى البصرة ، وكانت إذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها ، وندم الزبير أيضاً على مسيره يوم الجمل [٢] .

وهكذا يرجح ابن تيمية بأن ما دار بين علي ومخالفيه من المعارك كانت قتال فتنة ، وكان تركه أولى من الخوض فيه .

ولبعض أهل السنة موقف آخر وهو عدم الخوض في هذه المسألة ، حيث اعتبروا القتال الذي وقع بين الصحابة فيه شبهة لكل طرف فلم يتبين لهم الأمر بوضوح ، ففوضوا الأمر كله لله ، مع الترضي على جميع الصحابة ، واعتقدوا أنهم مجتهدون مأجورون ، فعندما سئل عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ عن قتال يوم الجمل ويوم صفين : لو قلت برأيك فيه ؟ قال : (دماء لم أغمس فيها يدي ، أغمس فيها لساني !) [٣] .

ولما سئل الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ عن ذلك قال : (أقول ما قال الله : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [٤] .

وقال عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ : (السيف الذي وقع بين الصحابة فتنة ، ولا أقول لأحد منهم : مفتون) [٥] .

أنا موقف الفرق الأخرى سوى أهل السنة والجماعة في المسألة ، كالخوارج والمعتزلة ، فقد كفّر الخوارج كل من قاتل علياً كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية

---

(١) وكان رضي الله عنه يقول : (لله در سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ، كان براً ، إن أجره لعظيم ، وإن كان آثماً إن خطأه ليسير !) أورد الذهبي هذا الخبر في : سير أعلام النبلاء (١ / ١١٩) وتاريخ الإسلام (/ ٢٢٠) .

(٢) ينظر : مجموع الفتاوى ، (٤ / ٤٤٠) .

(٣) الحجة في بيان المحجة ، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ، ص (٥١٢) و (٥١٣) و (٥٢١) .

(٤) سورة طه ، الآية (٥٢) ، وينظر : الإنصاف للباقلاني ، ص (٦٩) .

(٥) ينظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، (٨ / ٤٠٥) .

وغيرهم ، ثم كفّروا علياً عندما قبل التحكيم وكفّروا كل من رضي بالتحكيم ، بل وكفّروا كل من فعد عن نصرتهم [1] .

أما المعتزلة فأجازوا أن تكون إحدى الطائفتين من المتقاتلين فاسقة ، لا بأعيانهم ، وأنه لا يعرف الفسقة منهم ، فيجوز أن يكون الفسقة هم علي ومن معه ، ويجوز أن يكون طلحة والزبير وعائشة ، وعلى هذا فشهادتهم مردودة ، بحيث لو شهدوا على باقة بقل ، فلا تقبل شهادتهم [2] .

ويرى بعض المعتزلة تفسيق كلتا الفريقين المتقاتلين [3] .

أما الشيعة فهم بفسقون أو يكفّرون كل من حارب الإمام علياً أو قاتله [4] .

ثانياً : موقف المسلمين مما وقع بعد الصحابة من الفتن :

لقد حفلت العهود التي بعد عهد الصحابة بكثير من الفتن بدءاً بخروج الحسين ـ رضي الله عنه ـ وما كان من قتله في كربلاء ، ثم خروج عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ الذي انتهى بقتله بالكعبة محاصراً ، وغيرهما ، ممن لم تنقص بعضهم النية الحسنة في تغيير ما يرونه منكراً ، ولقد وقف أغلب أهل السنة من تلك الثورات والفتن موقفاً واحداً ، إذ منعوا الخروج على الإمام الحاكم وإن كان جائراً ظالماً ، لأن أكثر الفتن التي حلت بالمجتمع الإسلامي يومها كان ناتجاً عن سل السيوف والخروج على الحكام ، ولئن كان أهل السنة قد تأولوا الخلاف والقتال الذي وقع بين الصحابة ، ورأوا فيه اجتهاداً منهم ، وصوّبوا من صوّبوا ، وخطّأوا من خطّأوا ، فلا غرابة من أن يقفوا من الخلاف بين التابعين ومن بعدهم الموقفَ نفسه ، بغض النظر عن النية التي كانت وراء خروج كثير من الخارجين .

---

(١) ينظر : التبصير في الدين للأسفراييني ص (٤٦) ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، ص (٥٥) .

(٢) ينظر : التبصير في الدين للأسفراييني ص (٤٦) ، والفرق بين الفرق للبغدادي ، ص (٥٥) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور النشار ، (١ / ٤١٩) .

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، (١ / ٨٧) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد استمر فكر الخوارج ، وسجّل خروج كثير منهم على أمراء الدولة الأموية ، وأرهقوا الأمة وكلفوها من أمرها عنتاً ، فبادر العلماء إلى إنكار فكرهم وتخطئتهم ، والأمر بقتالهم ، ولم يكن جواز قتال الخوارج محل خلاف بين أهل السنة ، ولكن الخلاف كان في موقف من خرج عل الحاكم أمثال الحسين وابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ وغيرهما ممن كانوا أهل اجتهاد ونظر ، ولكن اجتهادهم في هذا المسألة لم يكن موفقاً ، فنتج عن خروجهم كثير من الفتن المهلكة ، دعت كثيراً من العلماء إلى الحكم بعدم جواز الخروج على الحكام والأمراء الظلمة ، وقد أوضح ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ مذهبه في هذه المسألة فقال عندما بويع يزيد بن معاوية : (إن كان خيراً رضينا ، وإن كان بلاء صبرنا) [1] .

قال ابن كثير : (وقالوا : إنه ـ يعني يزيداً ـ مع ذلك كان إماماً فاسقاً ، والإمام الفاسق لا يعزل بمجرد فسقه ، على أصح قولي العلماء ، بل ولا يجوز الخروج عليه لما في ذلك من إثارة الفتنة ، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام ، ونهب الأموال ، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن ، وغير ذلك مما كل واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه ، كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا [2] .

وقال البربهاري [3] : (ولا يحل قتال السلطان ، ولا الخروج عليه وإن جار ، وذلك لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبي ذر الغفاري : ﴿ اصبروا وإن كان

---

(١) تاريخ خليفة ، ص (١٦٤) ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، عهد معاوية ، ص (١٣٩) ، والتمهيد لابن عبد البر ، (٢٣ / ٢٧٨) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨ / ٢٥٥) .

(٣) البربهاري

عبداً حبشياً ﴾ [1] ، وقوله للأنصار : ﴿ اصبروا حتى تلقوني على الحوض ﴾ [2] ، وليس في السنة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدنيا والدين) [3] .

وقال ابن تيمية : (وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان ، إلا كان ما تولّد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير ، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة ، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق ، وكابن المهلب الذي خرج على أبيه بخراسان أيضاً ، وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة) [4] .

وقال ابن تيمية بعد أن ذكر خروج هؤلاء وغيرهم على السلطان : (فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا ، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ..) [5] .

ولهذا استقر رأي أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وذكروا هذا في كتب العقائد ، وأمروا بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم ، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين ، وربما يشتبه بقتال الفتنة قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن خلال فهم كلام العلماء في هذه المسألة وهي : عدم جواز الخروج على الأئمة ، يظهر أن هذا لا يعتبر موقفاً نهائياً ، بل يفهم من كلامهم حين منعوا الخروج بالسيف ، أنهم لم يقولوا : إن الواجب هو السكوت دائماً ، بل إن معالجة انحراف الحاكم مطلوب في كل الأحوال ، ولكن نوع هذه المعالجة وكيفيتها تحددها المصلحة الشرعية ، فقد تكون الكيفية هي النصح والتعريف ، أو التعنيف والاعتزال ، أو إسقاط حقوقه في الطاعة والنصرة ، وغير ذلك من الوسائل التي لا تبلغ حد الخروج

---

(١) رواه ابن ماجة في باب طاعة الإمام .

(٢) رواه البخاري باب ما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين ..

(٣) كتاب شرح السنة للبربهاري ، ص (٢٩) .

(٤) منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، (٤ / ٥٢٧-٥٢٨) .

(٥) نفس المصدر السابق .

عليه ، لكن إذا بلغ انحراف الحاكم حداً لم تنفع معه كل هذه الوسائل لمعالجته ، وتحقق للأمة أن لديها من الإمكانيات والقدرات ما يجعلها على أغلب الظن في تحقيق المصلحة الشرعية من الخروج على الحاكم جاز لها ذلك وإلا امتنع الخروج .

والنظر في كلام أئمة المذاهب الفقهية والمجتهدين من العلماء يبيّن لنا أن كلامهم يدور حول هذه التعليلات ، يعني : مراعات المصالح والمفاسد في هذه المسألة .

فمن المالكية يقول الدسوقي : (لا يجوز الخروج عليه ـ أي : الحاكم الظالم ـ تقديماً لأخف المفسدتين ، إلا أن يقوم عليه إمام عادل ، فيجوز الخروج عليه وإعانة ذلك القائم) [1] .

ويفهم من كلامه هذا جواز الخروج إذا ترجحت المصلحة في الخروج .

ومذهب الأحناف لا يختلف عن مذهب المالكية في عدم جواز الخروج على الحاكم الجائر ، ولكنهم أيضاً علقوا الحكم بين ترجيح المصلحة والمفسدة [2] .

ومذهب الشافعي أيضاً يتفق مع المذهب المالكي والحنفي في نظرته في هذه المسألة حين يقرر من حيث المبدأ عدم الخروج على أئمة الجور والظلم ، ويلتقي أيضاً مع المذاهب الأخرى في تعليل النهي ، وهو رعاية المصالح وتقديمها على المفاسد .

والإمام أحمد أيضاً يرى عدم جواز الخروج على الأئمة ، وأنكر ذلك إنكاراً شديداً ، قال عنه المروزي : (سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء ، وينكر إنكاراً شديداً) [3] .

والذي حمل الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على هذا الرأي كسائر الأئمة هو ما شاهده من نتائج وخيمة لحمل السلاح ، فقد ورد عنه أنه قال : (ابن عمر وسعد ومن كفّ

---

(١) شرح الدسوقي ، (٤ / ٢٩٩) ، وينظر : الاستذكار لابن عبد البر ، (١٤ / ٤٠) .

(٢) ينظر : تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة ، تحقيق ودراسة وتعليق فؤاد عبد المنعم أحمد ، الطبعة الأولى ، قطر رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، سنة ١٤٠٥ هـ ، ص ٧٢ .

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لابن مفلح ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، (١ / ٧٥) .

عن تلك الفتنة ، أليس هو عند بعض الناس أحمد ؟ هذا علي لم يضبط الناس ، فكيف اليوم ، والناس على هذا الحال ونحوه ، السيف لا يعجبني أصلاً [1] .

لكن هذا لايعني أن الإمام أحمد لا يرى جواز الخروج على أئمة الجور مطلقاً ، فقد ورد عنه أنه قال عنهم : (من دعا منهم إلى بدعة فلا تجيبوه و كرامة ، وإن قدرتم على خلعه فافعلوا) [2] .

وعلى هذا اتفق كلام جمهور علماء السنة ، وهم قد بنوا مذاهبهم على عدم جواز الخروج على أئمة الجور ، ولكن علة ذلك واضحة في كلام الجميع وهي : رعاية المصالح ودرء المفاسد ، وارتكاب أخف الضررين ، والرضا بأهون الشرين .

ولا شك أن للفسق والظلم حدوداً معلومة ، وبعدها يجوز الخروج لتغيير المنكر مشروطاً بتحقق شرطين آخرين هما :

أولاً : إجماع العلماء من أهل الحل والعقد الذين تعتبر الأمة تبعاً لهم على ذلك ، وأي خلاف بين هؤلاء سيعرض الأمة إلى مزيد من الفرقة التي تفتح باباً كبيراً للشر ، فلا يحصل عندها شرط استيفاء العدة واستكمالها .

ثانياً : إعداد العدة ، ويجب أن يكون هذا على أعلى مستويات الإعداد ، ويمكن أن يحمل كلام من قال بعدم الخروج على الإمام مهما بلغ ظلمه على الظلم الذي لا يترتب عليه ضياع أحكام الإسلام وتغيير شرع الله ، وإفساد عقائد الناس .

وكذلك يمكن أن يحمل كلام من قال بعدم جواز الخروج على أئمة الظلم والجور إذا لم يكن ظلمه مما يترتب عليه ضياع الدين وتغيير شرع الله ، ويترتب على الخروج مفاسد أكبر من مصلحة تغييره ، أو قد لا يتغير أصلاً .

---

(١) مسائل الإمام أحمد (٢ / ١٦٩) .

(٢) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢ / ٣٠٥) .

المبحث الخامس
حكم المشاركة في الفتن

اختلف أهل العلم في حكم المشاركة في الفتن على أقوال [1] تلك كلها في أصلها إلى قولين هما :

القول الأول : لا تجوز المشاركة والدخول في الفتن والقتال بين المسلمين والدعوة إلى ذلك مطلقاً . واستدل القائلون بهذا القول بعدد من الأحاديث المرفوعة كما استدلوا بفعل بعض الصحابة .

فمن الأحاديث : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ﴾ [2] ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم : ﴿ ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرّف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به ﴾ [3] ، وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ﴾ [4] .

أما استدلالهم بفعل الصحابة ، فقد صح أن كثيراً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد اعتزلوا من تلك الفتن التي وقعت فيما بينهم ، ودَعَوا الناس إلى الاعتزال ، ومن هؤلاء الصحابة : سعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأبي موسى الأشعري ، وأسامة

---

(١) ينظر : تفصيل ذلك في فتح الباري لابن حجر ، (١٣ / ٣١) .

(٢) رواه البخاري ، في باب وإن طائفتان من المؤمنين ، ومسلم في باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما .

(٣) رواه البخاري في باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم في باب نزول الفتن كمواقع القطر .

(٤) رواه البخاري في باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ، ومسلم في باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم ..

بن زيد ، وأبي سعيد الخدري ، وغيرهم ، من الذين ورد أنهم اعتزلوا القتال ، ولم يشاركوا فيه حتى توفوا .

القول الثاني : إنه يجب القتال والمشاركة فيه لإحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وسواء كان هذا القتال بين طائفتين من المسلمين أو بين الإمام وبين من خرج عليه ـ وهم البغاة ـ ، واستدل أصحاب هذا القول بالكتاب ، والسنة ، وأقوال الصحابة ، والعقل .

فمن الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [1] ففي الآية أمر واضح بقتال الفئة المسلمة التي بغت على الإمام أو على مجموع المسلمين ، وهذا القتال يجب أن يتواصل حتى ترجع هذه الفئة وتدخل في طاعة الإمام ، أو طاعة جماعة المسلمين ، وقالوا : الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية ، ودليل على فساد قول من قال بعدم جواز ذلك القتال [2] .

وأما من السنة : فقد استدلوا بأحاديث منها :

١ ـ ﴿ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .. ﴾ الحديث [3] .

٢ ـ حديث حذيفة : كان الناس يسألون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الخير وكنت أسأله عن الشر .. الحديث ، وفي آخره : قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : ﴿ تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ﴾ قلت : فإن لم يكن جماعة ولا إمام ؟

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (٩) .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (١٦ / ٣١٧-٣١٨) ، وأحكام القرآن لابن العربي (٤ / ١٤٩-١٥٠) ، وتفسير الشوكاني (٥ / ٧٥-٧٧) .

(٣) رواه البخاري في باب أعن أخاك ، والترمذي في باب ما جاء في النهي عن سب الريح .

قال : ﴿ فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ﴾ [1] .

٣ ـ حديث عرفجة : ﴿ من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم ، أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه ﴾ [2] .

وأما من فعل الصحابة فقد استدلوا بما يلي :

١ ـ قتال الإمام علي للخوارج أكثر من مرة ، مع اعتبارهم مسلمين .

٢ ـ قتال طلحة والزبير وعائشة مع قتلة عثمان بالبصرة ، مع اعتقادهم بأنهم مسلمون ، إذ لم ينقل عن أحد منهم تكفير من قتل عثمان .

٣ ـ قتال علي لمعاوية وأهل الشام ، مع اعتقاد جمع من الصحابة أنهم من الفئة الباغية ، إلا أنهم فعلوا ذلك عن اجتهاد أخطأوا فيه .

وأما استدلالهم بالعقل ، فقالوا : إن عدم الأخذ على يد الظالم والباغي الذي يخرج على الإمام ، أو على جماعة المسلمين ، يؤدي إلى ضعف أهل الحق عن حقهم ، ويؤدي إلى تمكن أهل الباطل والتأويل الفاسد ، وأهل الفسوق والمعاصي . لذلك لما رأى علي ـ رضي الله عنه ـ تأخير الاقتصاص من قتلة عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى حين هدوء الأوضاع واستقرار الأمر عارضه طلحة في ذلك قائلاً : (إذا لم يفطم الناس عن أمثالها ، لم يبقَ إمام إلا قتله هذا الضرب) [3] . وقالوا أيضاً : لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل ، وكسر السيوف ، لما أقيم حد ، ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال ، وسفك الدماء ، وسبي الحريم [4] .

---

(١) رواه البخاري كما مر سابقاً .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ، تحت رقم (٤٧٧٤) ، (١٢ / ٤٤٤) .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ، (٣ / ١٣) .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ / ٣١٧) وفتح القدير للشوكاني (٥ / ٧٥) .

وقد أجاب أصحاب الرأي الثاني على أدلة أصحاب الرأي الأول بأجوبة منها :

١ ـ إن النهي الوارد في تلك الأحاديث محمول على من قاتل بغير تأويل سائغ ، بل لمجرد طلب الملك .

٢ ـ وأما حديث القاتل والمقتول في النار ، فقد وردت في رواية البزار زيادة تبين مرادها وهي : ﴿ إذا اقتتلتم على الدنيا ، فالقاتل والمقتول في النار ﴾ [١] ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : ﴿ والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيمَ قتل ، ولا المقتول فيمَ قتل ﴾ فقيل : فكيف يكون ذلك ؟ قال : ﴿ الهرج ، والمقتول في النار ﴾ [٢] ، فبين الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا ، أو إتباع الهوى ، فهو الذي أريد بقوله : ﴿ القاتل والمقتول في النار ﴾ [٣] .

٣ ـ أما اعتزال من اعتزل من الصحابة ، فالجواب عنه بما يلي :

أ ـ إن هؤلاء الذين اعتزلوا القتال إنما وقع منهم ذلك عن اجتهاد في فهم النصوص الواردة في هذا المسألة ، فمن فهم أن هذا القتال من قتال الفتنة التزم بالنصوص الكثيرة التي تنهى عن المشاركة في هذا النوع من القتال .

ب ـ إن البعض من هؤلاء لم يترجح لديهم المصيب من المخطئ ، فامتنعوا احتياطاً لأنفسهم ولمن نصحوه بذلك .

الترجيح :

إن الرأي الذي يخرج بالمقارنة بين هذين القولين إنه يجب التفريق بين أمور ثلاث :

١ ـ قتال البغاة ، أو الفئة الباغية .

٢ ـ قتال الفتنة .

---

(١) فتح الباري لابن حجر ، (١٣ / ٣٤) في شرحه للحديث رقم (٧٠٣٨) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفتن ، باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ، من حديث أبي هريرة ، (١٨ / ٢٤٢) .

(٣) ينظر : فتح الباري (١٣ / ٣٤) .

٣ ـ قتال اشتبه بين قتال البغاة وقتال الفتنة .

فأما الأول : فالواجب على المسلم الامتثال لأمر الله في قتال البغاة ، أو الفئة الباغية ، إذا رفضت أن تنصاع للحق ، وتقبل الصلح ، وهذا لا يعلم فيه خلاف بين علماء الأمة [١] .

وأما الثاني : وهو قتال الفتنة فهو الذي وردت النصوص الكثيرة في النهي عن الدخول فيه ، وما فعله كثير من الصحابة من عدم مشاركتهم في القتال مع أحد الطرفين هو تطبيق لتلك النصوص ، فقد اعتبروا تلك الحروب من قتال الفتنة ، وإن كان الإمام علي على الحق ، إلا أن مخالفيه مجتهدون في رأيهم وكان معهم نوع حق ، أو شبهة فيما يدعون ، ولم يكونوا يعتقدون أنهم بغاة ، بل أصحاب حق ، حيث إنهم لم يبايعوا أصلاً .

وأما الثالث : وهو ما اشتبه على المسلم ، فلم يدر هل هو من قبيل القتال المشروع ، أو من قبيل قتال الفتنة ، فإن الواجب تركه خوفاً من أن يكون من النوع الثاني ، ويكون المسلم قد وقع في قتال الفتنة المنهي عنه .

---

(١) ينظر : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ، (٤ / ٥٥٦) .

المبحث السادس
عمليات الأنفال في كردستان العراق
كانت من الفتن والهرج

لقد أشار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كثير من أحاديثه إلى الفتن التي يتعرض لها المسلمون ، وبيّنها ، وبيّن أساليبها وآثارها [1] ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن من يتوقف على تاريخ المسلمين ليأخذه العجب حينما يقرأ هذه الفتن العظيمة التي ألمت بالأمة الإسلامية ، من صدر تاريخها وإلى يومنا هذا ، فلم تكد سنة من السنوات تخلو من فتنة عامة أو خاصة ، تترك آثاراً سلبية تعاني منها الأمة فيما بعد .

ففي عصر الصحابة ومباشرة بعد استشهاد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ظهر قسم من تلك الفتن التي أشار إليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعجز خيرة الصحابة من إخماد تلك الفتنة ، ووصل دخانها إلى أبناء الصحابة ومن يليهم من التابعين ، وكان من آثار تلك الفتن المتلاحقة ظهور الخلافات الفكرية والعقدية ، ولا شك إن آثار تلك الفتن لم تقتصر على الزمن الذي وقعت فيه ، بل تعدت إلى العصور التالية ، بل يمكننا القول : إن معظم الفتن التي تعرض لها المسلمون بعد ذلك ـ حتى يومنا هذا ـ إنما هي أثر من آثار الفتنة الأولى .. وهكذا تلاحقت الفتن بعد ذلك كقطع الليل المظلم على الأمة الإسلامية ، وبعد أن استطاع أعداء الأمة من غزونا فكرياً حيث نشروا أفكاراً هدامة لتكون بديلة للإسلام ولاسيما

---

(١) للوقوف على أحاديث وآثار الفتن يراجع أبواب الفتن من خلال كتب الصحاح والسنن ومن جميع طبقاتها ، كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي ، وغيرها .

فكرة القومية العنصرية ونادى كل قوم بقوميته وسعى لها سعيها ، وجعلوا الوحدة الوطنية والقومية بديلاً للوحدة الإسلامية ، ثم تحزب كل قوم إلى أحزاب شتى ، استطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى أهدافهم ومقاصدهم التي طالما سعوا إليها بقوة النار والحديد ، فدعا الترك إلى قوميتهم الطورانية ، وعمل الفرس من أجل قوميتهم الفارسية ، ونادى العرب بالقومية العربية ، وناضل كل منهم في إطار قوميته الضيقة بل وتعصب لها ، فما كان من الكرد في خضم هذه الظروف سوى الدعوة إلى قوميتهم [1] والمطالبة بحقوقهم المسلوبة من قبل إخوانهم في الدين من الترك والفرس والعرب ، الذين حرّموا على الكرد ما أحلوه لأنفسهم ، ولا ريب أن الصراع القومي والتعصب الممقوت لا يزالان يشكلان خطراً عظيماً على الأمة ، ولا يزال الأعداء يبذلون كل جهودهم لزرع الفتنة بين المسلمين ، في وقت تعيش الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها في سبات عميق يعمهم الجهل بمقاصد الشرع وأصوله ، فحل بهم ما حل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ويبدو أن الشعب الكردي لم ينجُ من تلك الفتن التي أشار إليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بل ناله الحظ الأوفر منها على يد السلطات الحاكمة التي لم تقم له وزناً لا بالميزان الإسلامي ولا بالمعيار القانوني المتعارف عليه دولياً ، وكل ذلك بدعم وتحريض من دول استعمارية كبرى في مقدمتها بريطانيا ، ولعل مرد ذلك حب تلك الدول في الانتقام من الشعب الذي ينتسب إليه البطل الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي أذاق أجدادهم الصليبيين الأمرّين !

قامت تلك الدول الاستعمارية بزعامة بريطانيا في بدايات القرن الميلادي المنصرم بتقسيم كردستان على عدة أقسام على أثر الحرب العالمية الأولى وذلك بموجب اتفاقية سايكس بيكو (البريطانية الفرنسية) الشهيرة سنة ١٩١٦ ، حيث ألحق كل قسم منها

---

(١) تؤكد الدراسات الحديثة أن دعوة الكرد إلى قوميتهم ومطالبتهم بتأسيس كيان قومي خاص لهم جاءت بعد الدعوا ت القومية لكل من الترك والعرب والفرس ، ولعلهم أرادوا بذلك إنقاذ جنسهم من الذوبان في القوالب العنصرية المحيطة بهم .

بـدولـة قومية تعمل في سبيل مصـالح عنصـرها ولـو علـى حسـاب العناصـر الأخـرى كالكرد .

وفتنة عمليات الأنفال في كردستان العراق لم تكن هي أول فتنة أصابت الكرد في العصر الحديث ، فالمطلع على تاريخ الكرد يعلم أن هذا الشـعب المسـلم والمسـالم قـد ابتلي في تاريخه بمصائب وفتن عديدة لاسيما بعـد أن حكـم مـن قبـل أنظمـة قـوميـة وعنصرية كنظام البعث الذي حكم العراق أكثر من ثلاثة عقـود ، وعمليـات الأنفـال التي قامت بها حكومة البعث كانت بحق فتنة عمياء تولاها حكومـة ظالمـة ضـد شـعب مسلم له عمقه الإسلامي وتمييز بجهوده الكبيرة في خدمـة الإسـلام والعلـوم العربيـة ، وكانت لهذه العمليات أسباب ودوافع كما هو شأن كل فتنة أصـابت المسـلمين بغـض النظر عن نوعية الأسباب الموجبة هل هي حق أم باطل ، وتسـمية العمليـات مـن قبـل الحكومة العراقية بالأنفال ظلم وتجاوز على الشرع ، لأن الأنفال اسم سورة مـن سـور القرآن الكريم كما لا يخفى ، وهو اسم جملة من الأحكام المتعلقة بأموال مسـلوبة مـن الكفار نتيجة لمعارك تقع بين المسلمين والكفار .

والكرد لم يرتكبوا ما هو مخرج عن الملة حتى يستحقوا أن يعاقبوا بعمليات تسمى بالأنفال ، وكل ما فعلوه هو أنهم طلبوا حقوقاً مشروعة ضمن عـراق موحـد ، وكـان من الممكن استجابة تلك الحقوق من قبل الحكومة العراقية دون أن تمس وحدة البلد أو مبادئ الدين ، وكان الكرد يشعرون دوماً أنهم يعيشون تحت الظلم والجور وعليه فقد رأوا أن الواجب عليهم هو دفع هذا الظلم وإن دفعهم هذا إلى الخروج على السلطان ، بل كانوا يرون أن دفعهم للظلم هو واجب شرعي عليهم ، كيف لا ، وقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وحرموا من أبسط حقوقهم الشرعية التي يقرها الإسلام ؟

ويلاحظ أن جميع الزعماء الذين قـادوا الكـرد إلى عهـد قريـب في سـبيل نيلـهم لحقوقهم المسلوبة كانوا من علماء الـدين الـذين درسـوا في المسـاجد وتتلمـذوا علـى المشايخ ، وهؤلاء أحسوا بواقع شعبهم الأليم ، وعلموا بسبب ثقـافتهم الدينيـة حكـم السكوت على الظلم فانتفضوا وقاموا بثورات عديدة ، وكان آخرهم الزعيم المعروف

(الملا مصطفى البارزاني [1]) الذي ظل يناشد العالم الإسلامي والمنظمات الدولية والحكومات العربية [2] والعراقية منها خصوصاً من أجل معالجة القضية الكردية بطريقة سلمية وعادلة والحيلولة دون إراقة دماء المسلمين من الطرفين ، دون أن يجد أدناً صاغية !

وعمليات الأنفال تلك وقعت بعد حروب ومعارك طاحنة دامت عدة سنوات ابتداءً من أيلول عام ١٩٦١ عندما رفضت الحكومة العراقية تلبية مطالب الكرد وآثرت اللجوء إلى القوة ، فبدأت بحملة اعتقالات واسعة في صفوف أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان يقود الحركة التحررية الكردية برئاسة الملا مصطفى البارزاني ، ولأن البارزاني كان يشعر بخطورة اللجوء إلى العمليات العسكرية التي ستؤدي إلى إراقة الدماء من الطرفين فقد وجه مذكرة إلى الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم في (٣٠ / ٧ / ١٩٦١) أي قبل اندلاع الثورة الكردية بحوالي شهر أطلعه فيها على خطورة الوضع في كردستان العراق وذكره بضرورة تداركه قبل استفحال الأمر . وقد ظل يناشد العالم عموماً والعربي منه خصوصاً طوال سنوات الثورة المسلحة (من ١٩٦١ ـ ١٩٧٥) ليقوموا بدور الوساطة والصلح بين الطرفين المتنازعين عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ . [3]

---

(١) ويبدو واضحاً من لقبه (ملا) أنه كان عالماً دينياً ، حيث أن كلمة (ملا) تطلق من قبل الكرد على المتخصص في العلوم الشرعية .

(٢) ينظر ـ على سبيل المثال ـ الملحق رقم ( ) نص كتاب رئاسة الديوان الملكي الهاشمي المؤرخ في (٦ / ٤ / ١٩٦٧) جواباً لرسالتين وجههما الملا مصطفى البارزاني إلى العاهل الأردني الملك حسين بن طلال ، وينظر كذلك الملحق رقم ( ) للإطلاع على صورة رسالة الملك حسين الجوابية لرسالة الملا مصطفى البارزاني والمؤرخة في (١٥ / ٣ / ١٩٧٢) .

(٣) دون السيد مسعود البارزاني جملة من المراسلات والوثائق في هذا المجال في كتابه (البارزاني والحركة التحررية الكردية) على شكل ملاحق ، وهي تؤكد أن الكرد وقادتهم كانوا دوماً طلاب الحق لا دعاة شر ، فلتراجع .

وبعد انتهاء عهد عبد الكريم قاسم ومجيء خلفه (عبد السلام عارف) ثم (عبد الرحمن عارف) إلى الحكم ودخول البارزاني معهما في مفاوضات متتالية تبين أن الحكومة لم تكن جادة في حل المسألة الكردية حلاً سلمياً ، ومما يروى في هذا الصدد أن الرئيس عبد الرحمن عارف سأل البارزاني مرة : ماذا تريد منا يا أبا إدريس ؟ وكان الرئيس قد أهدي للبارزاني قبيل ذلك مصحفاً شريفاً ، فتناول البارزاني المصحف فقبّله ووضعه على رأسه وقال له : لا أريد منكم شيئاً سوى أن تحكموا بهذا القرآن وتجعلونه دستوراً للعراق ، فقال الرئيس : هذا شيء صعب ولا نقدر عليه لأن العراق مزيج من ديانات ومذاهب متعددة ، فقال البارزاني : إذن ما دام الأمر كذلك فنحن نريد ما تريدونه لأنفسكم [1] .

وبعد وصول حومة البعث إلى الحكم سنة ١٩٦٨ برئاسة أحمد حسن البكر دخل الطرف الكردي معها في مفاوضات نتجت عن إصدار بيان آذار سنة ١٩٧١ ، ولكن الحكومة نكثت عهودها ، وأسفرت عن سوء نيتها حيث دبّرت عملية استهدفت حياة الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني ، وذلك عندما خدعت عدداً من علماء الدين وأوهمتهم أنها تريد إيفادهم إلى البارزاني لإجراء مباحثات معه حقناً لدماء المسلمين ، وأرسلت معهم عدداً من ضباط المخابرات الذين قدموا إلى الوفد الزائر في اللحظة الأخيرة قبل دخولهم على البارزاني آلة تسجيل تحتوي على مواد متفجرة ، ولما كان البارزاني يقدّر علماء الدين فقد دخلوا عليه دون تفتيش ، وقد فجرت آلة التسجيل فعلاً في الداخل وقتل جميع أعضاء الوفد الزائر البالغ (١١) شخصاً مع اثنين من حراس البارزاني الذي قدّر له النجاة بأعجوبة .

كل ذلك دل على أن الحكومات العراقية المتعاقبة ولاسيما حكومة البعث لم تكن جادة في نواياها مع الكرد ، وكانت تهدف إلى كسب الوقت لضرب الكرد فيما بعد ، ومن ثم صهرهم في القالب الذي وضعته الحكومة لهم .. وعندما كانت الأمور تسير

---

(١) ينظر : البارزاني والحركة التحررية الكردية ، لمسعود البارزاني ، الجزء الثالث ، الملحق السابع ، ص (٥٥٥-٥٥٩) .

نحو التوتر واحتمالات العودة إلى الاقتتال كانت تلوح في الأفق فاتح البارزاني المؤتمر الإسلامي المنعقد في شباط سنة ١٩٧٤ ورجا من أعضاء المؤتمر بذل مساعيهم لدى الحكومة العراقية كي تنفذ وعودها المقطوعة للشعب الكردي ، وختم البارزاني رسالته الموجهة إلى المؤتمر بالآية الكريمة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١] .

ولكن رجاء الكرد لم يلقَ هذه المرة أيضاً أذناً صاغية فاندلعت المعارك سنة كاملة انتهت بالنكسة التي أصابت الكرد بعد أن تكالبت عليهم قوى عالمية وإقليمة ، وبعد اندلا ع الحرب العراقية الإيرانية على خلفية اتفاقية الجزائر التي أنهت الثورة الكردية المسلحة نشط الكرد مرة أخرى للمطالبة بحقوقهم والقيام بعمليات عسكرية [٢] ، الشيء الذي دفع الحكومة العراقية إلى اتهامهم بالخيانة والعزم على اجتثاث الحركة الكردية من جزورها ، فكان أن بدأت بالقيام بعمليات إبادية سمتها بالأنفال ، واستعملت فيها أسلحة محرمة دينياً ودولياً ، دون أن تفرق بين المقاتلين أو المدنيين ، وأسفرت هذه العمليات التي انتهت في (٦ / ٩ / ١٩٨٨ م) عن تدمير (٤٥٠٠) قرية ومسحها عن الوجود ، وتركت هذه الفتنة وراءها نتائج وآثاراً وخيمة على الشعب العراقي عموماً والكردي منه خصوصاً ، تلك الآثار التي تحتاج إزالتها إلى وقت طويل وجهود عظيمة ، لأن هذه الفتنة فتحت جروحاً عميقة في الجسم الكردي لا بد من معالجتها من قبل الساسة العراقيين من جهة ومن قبل علماء الدين المصلحين من جهة أخرى ، وإلا فمن المتوقع أن تعشعش آثار تلك الفتنة في أذهان الشعب الكردي وتنتج فتناً وخلافات أخرى لا تحمد عقباها ، لأنه لا يمكن قصر تلك الآثار على زمن وقوعها أو الزمن الذي يعقبه ، كما هو ملاحظ في تاريخ الفتن التي وقعت في التاريخ ،

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٠) .

(٢) في الحقيقة بدأ الكرد بعملياتهم العسكرية بعد نكسة ١٩٧٥ بأقل من سنة وذلك في أيار ١٩٧٦ ، ولكن العمليات نشطت أكثر بعد اندلا ع الحرب العراقية الإيرانية .

ولا بد من مصالحة وطنية شاملة تعم جميع أطياف الشعب العراقي ، وكما ناشدها السيد مسعود البارزاني رئيس إقليم كردستان العراق مرات عديدة وفي مناسبات مختلفة .

ومما سبق تبين لنا الحقائق التالية :

١ ـ إن الفتن يجلب بعضها بعضاً وخصوصاً إذا لم تعالج في حينها ، وإن آثار الفتن لا تنحصر في زمن وقوعها ، بل تسري وتتعدى إلى أجيال متعاقبة .

٢ ـ إن القيادة الكردية في كردستان العراق خلال ثورتها المسلحة بدءاً من سنة ١٩٦١ وحتى سقوط حكومة البعث بيد القوات المتحالفة سنة ٢٠٠٣ ، كانت جادة في الحصول على حقوقها بطرق سلمية وعن طريق الحوار المباشر ، وكانت ترجح السلام واللجوء إلى المفاوضات كلما أعلنت الحكومة استعدادها لذلك .

٣ ـ كانت الحكومة العراقية تقر مبدئياً حقوق الكرد وتعترف بها ، لاسيما في الأوقات الحرجة التي كانت تمر بها ، ولكنها كانت تعود لتتهاون في تطبيق تلك الحقوق وتتباطأ ، وتغير ما تشاء ، كما حدث مع اتفاقية (١١ آذار ١٩٧١) .

٤ ـ بما أن القيادة الكردية كانت تقبل بمبدأ المفاوضات ، وكانت الحكومة تقر مبدئياً بمطاليب تلك القيادة كان لزاماً على الحكومة تطبيق تلك المطاليب حقناً لدماء المسلمين واستجابة للحق .

٥ ـ إن تسمية الإبادة الجماعية للكرد عام (١٩٨٨) بالأنفال ظلم وتعدٍ على الإسلام وعلى الشعب الكردي كذلك ، لأن إقليم كردستان هو دار الإسلام وأهله مسلمون ، والأنفال لا تقام إلا على الكفار ، وكثيراً ما كانت حكومة البعث تستعمل مثل هذه التسميات في حروبها وعملياتها ، كتسميتها لحربها مع إيران بالقادسية الثانية أو قادسية صدام ، وتسميتها لبعض عملياتها ضد الكرد بعملية توكلنا على الله أو محمد رسول الله ، كما كانت تسمي معتقلاتها التي يزج فيها الأبرياء بأسماء بعض الصحابة كخالد بن الوليد أو سعد بن أبي وقاص وغيرهما ، ويبدو أنه كانت للحكومة غاية سيئة وراء هذه التسميات إذ كانت تدفع بالعامة إلى التنفير من تلك الأسماء المباركة من

جهة ، ومن جهة أخرى كانت تريد التمويه على المسلمين خارج العراق بأنها حكومة مجاهدة ومؤمنة تقدر الصحابة وتجاهد في سبيل الدين !

٦ ـ كانت عمليات الأنفال التي قامت بها الحكومة العراقية ضد الكرد سنة ١٩٨٨ ، والتي استعملت فيها أسلحة محرمة ، وأهلك فيها الحرث والنسل ، كانت من الفتن العظيمة لأنها أدت إلى إهدار دم المسلمين واستحلال أموالهم بدون وجه حق .

وللوقوف على عظم وخطورة فتنة الأنفال ، وبيان واقعها الأليم الذي خفي على السواد الأعظم من المسلمين خارج العراق بسبب التعتيم الكبير الذي لفّت الحكومة العراقية العمليات بها حينها ، خصصت الباب الثاني من هذه الرسالة لذكر تفاصيل تلك العمليات وبيان نتائجها وآثارها السلبية المتعدد .

الباب الثاني
حملات الأنفال في كردستان العراق

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : **الكرد وتشكيل الدولة العراقية**

الفصل الثاني : **حملات الأنفال في كردستان العراق**

الفصل الثالث : **مرحلة ما بعد الأنفال**

الفصل الرابع : **نتائج وآثار عمليات الأنفال**

الفصل الأول
الكرد وتشكيل الدولة العراقية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة العراقية

المبحث الثاني : نشأة الدولة العراقية وإلحاق جنوب كردستان بها

المبحث الثالث : القضية الكردية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٦٨

المبحث الرابع : حزب البعث والمسألة الكردية ١٩٦٨ ـ ١٩٨٨

المبحث الأول
الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة العراقية

يعد الشعب الكردي رابع أكبر شعب من شعوب الشرق الأوسط من ناحية العدد بعد العرب والفرس والترك ، وأحد الشعوب القليلة غير الممثلة في هيئة الأمم المتحدة ، والمحرومة من وجود كيان سياسي مستقل لها ، رغم قيام الكرد بمحاولات عديدة من أجل تثبيت هذا الحق لهم في المعاهدات والمواثيق الدولية .

وهناك اختلاف كبير في تقدير عدد الكرد مرده المواقف المتشددة للحكومات التي تقتسم بلادهم ، حيث أنها تقوم بإجراء إحصاءات سكانية غير دقيقة ، بل إنها تحاول عادة إخفاء العدد الصحيح وتمويهه وإعلان الأرقام غير الصحيحة مما دعا ـ من جانب آخر ـ البعض إلى ذكر أرقام تقديرية فيها شيء من المبالغة .

كانت كردستان في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي محكومة من قبل حكومة (الآق قويونلية) التركمانية التي كانت شيعية المذهب ، بخلاف الكرد الذين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة ، لذلك كان الكرد يتعضون من هذه التبعية ، وكان الأمراء الكرد يفكرون بجمع قواتهم لغرض استعادة حكمهم على إماراتهم المتعددة الذي جردهم منه التركمان ، وبعدما بدأ الضعف يدب في أوصال الحكومة (الآق قويونلية) التركمانية وجد الأمراء الكرد فرصتهم في تحقيق هدفهم ، فتم لهم ذلك بعد أن استغلوا فرصة انشغال التركمان بأمر الشاه إسماعيل الصفوي [1] الذي ظهر في إيران سنة ٩٠٧ هـ .

---

(١) هو الشاه إسماعيل بن حيدر بن الشيخ جنيد ، وينتسب إلى الشيخ صفي الدين مؤسس الطريقة الصفوية الذي كان يدعي الانتساب إلى الإمام موسى الكاظم ، ولد سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) وتزعم أتباع والده و هو لا يزال شاباً يافعاً وانتصر على الآق قويونليين التركمان ودخل تبريز

وبعدما صفى الأمر للشاه الصفوي الذي أعلن اعتناقه لمذهب الشيعة فكر في الاستيلاء على كردستان وضمها إلى مملكته ، وخطا نحو ذلك خطوات عملية ، لكن الكرد لم يرضوا بذلك لدواعي مذهبية وقومية وإن كان أمراؤهم قد اتبعوا سياسة المداراة معه اتقاء لشره ، مما دعا أن يدعي الصفويون امتلاكهم لكردستان حتى ظهور السلطان العثماني سليم بن بايزيد [1] الذي يعد أول سلطان عثماني يقف في وجه التوسع الصفوي .

وجه السلطان سليم قواته شرقاً نحو كردستان بهدف دحر الصفويين واستطاع بسهولة كسب ود أمراء الكرد الذي امتعضوا من سياسة الصفويين الطائفية ، فعقدوا بجهود العالم الكردي إدريس البدليسي [2] اتفاقاً مع السلطان العثماني الذي تعهد

وتوج ملكاً لبلاد فارس ، تشيع وأجبر الناس على اعتناق مذهب الشيعة وقتل من رفض هذا الأمر ، وسع حدود دولته وتوجه نحو كردستان فاصطدم بالعثمانيين وانهزم أمامهم ، وبقي في الحكم حتى سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م) حيث خلفه طهماسب الأول (ينظر : تركة الشاه إسماعيل الصفوي للعالم الإسلامي ، للدكتور بكر صديق شريفاتي ، بحث منشور في العدد العاشر من مجلة ڤژين الفصلية الصادرة في دهوك في شتاء ١٩٩٨) .

(١) السلطان سليم هو ابن السلطان بايزيد الثاني ، حكم سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) بعد أن تنازل له والده ، وكان الجيش يدعمه ويرى فيه أمل الدولة ، وكان رغم قسوته يميل إلى صحبة رجال العلم ، وكان يحب الأدب وينظم الشعر بالفارسية ، توسعت الدولة في عهده توسعاً كبيراً ، وحارب الصفويين وانتصر عليهم في وقعة جالديران ، وضم دولة المماليك في مصر إلى سلطنته ، مات سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وهو في الرابعة والخمسين من عمره (ينظر : الدولة العثمانية للدكتور علي محمد الصلابي ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص٢١٧-٢٤٣) .

(٢) هو إدريس بن حسام الدين بن علي ، البدليسي ، العالم ، الفاضل ، المعروف بمولانا إدريس البدليسي وإدريس الحكيم ، أكمل دراسته ببلاد فارس ، ودخل في المناصب الحكومية لأول مرة ككاتب خاص للسلطان يعقوب بن حسن الطويل الآق قويونلي ، ثم تدرج في الترقي حتى تسنم كرسي الوزارة ، ولما ظهر الشاه إسماعيل الصفوي تولى منصب التوقيعي لديه ، ولما حدثت فتنة ابن أردبيل ارتحل إلى بلاد الروم ، فأكرمه السلطان بايزيد غاية الإكرام ، فلازمه ثم لازم

بعدم التدخل في شؤون الإمارات الكردية والحفاظ على استقلاليتها مقابل إعلان أولئك الأمراء ولاءهم للدولة العثمانية ، ومساعدتهم إياها من الناحية العسكرية ضد التهديدات الخارجية .. وبالفعل ساعد الأمراء الكرد السلطان العثماني في صراعه مع الصفويين وشاركوا معه في معركة (جالديران) الشهيرة سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) التي أسفرت عن انتصار العثمانيين وفرار الشاه الصفوي تاركاً عاصمته في أيدي المهاجمين من الكرد والعثمانيين [١] .

وبعد وقعة جالديران دخل القسم الأعظم من كردستان تحت الحكم العثماني ، وبقي جزء من شرقي كردستان تحت الحكم الصفوي ، وأعلنت الإمارات الكردية (العثمانية) ـ التي بلغت خمساً وخمسين وحدة إدارية ـ ولاءها للدولة العثمانية ، التي التزمت باتفاقيتها مع الأمراء الكرد حيناً من الزمن ، ثم ما لبثت أن نقضت الاتفاقية وتدخلت في كثير من الأوقات في الشؤون الداخلية للإمارات الكردية ، ومع ذلك فقد اتسمت السياسة العثمانية حينئذ تجاه الكرد بالتسامح ، خلافاً لسياسة الصفويين التي قامت على أساس طائفي مذهبي .

وبعد أن استرد الصفويون قوتهم بعد هزيمة جالديران القاسية فكروا في الثأر من العثمانيين وأعوانهم الكرد ، وبدءوا بشن غارات على كردستان التي قدر لها أن تدفع القسط الأوفر من ضريبة صراع الطرفين [٢] .. ونتيجة لتنافس الطرفين في كسب ود الأمراء الكرد لتكون إماراتهم حاجزاً منيعاً في وجه العدو ، ثم بسبب تفرق الأمراء

ابنه السلطان سليم ورافقه في غزواته ، مات سنة ٩٢٦ (١٥٢٠ م) ، ومن آثاره : (هشت بهشت ـ الجنان الثمانية) في تاريخ ثمانية من سلاطين آل عثمان ، كتبه بالفارسية ، ورسالة الإباء عن مواقع الوباء ، في جواز الفرار من الطاعون ، رسالة في النفس ، الحق اليقين في الحق المبين ، في الكلام . (الشقائق النعمانية ، ص ١٩٠–١٩١ ، وشرفنامه للأمير شرفخان البدليسي ترجمة محمد جميل الروزبياني ط ٢ ص ٢٨٦) .

(١) شرفخان البدليسي : شرفنامه ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) محمد أمين زكي : تاريخ الكرد وكردستان ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٨٤–١٨٩ .

الكرد وسرعة تقلب بعضهم في ولائه كانت خريطة كردستان السياسية تتبدل من حين لآخر ، ولا تستقر على صورة واحدة لفترة طويلة .. وازداد الوضع تعقيداً بعد ذلك على أثر التدخل الروسي ، ثم البريطاني في المنطقة لتنفيذ سياساتها الاستعمارية .

وبدءاً من القرن التاسع عشر الميلادي قام الكرد بانتفاضات وثورات عديدة كان هدفها التحرر من تبعية الدول والإمبراطوريات الكبرى التي تتدخل في شؤون الكرد بشكل تعسفي ، لاسيما بعد أن قرر العثمانيون في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي القضاء على الإمارات الكردية التي كانت شبه مستقلة وضم كردستان تحت الحكم العثماني المركزي المباشر ، ضاربين عرض الحائط الاتفاقية التي عقدها الأمراء الكرد قبل قرون من ذلك التاريخ مع السلطان العثماني .

وبعد أن خطت الدولة العثمانية خطوات سريعة نحو الأفول في بدايات القرن العشرين الميلادي حاول بعض الساسيين والمثقفين الكرد الذين كانوا مجتمعين في العاصمة استنبول التوجه نحو دعاة الإصلاح من الأتراك ، هذا بالنسبة للمنضوين تحت الحكم العثماني ، وفي الجانب الآخر الإيراني تعاون القادة الكرد من الدستوريين الفرس آملين الحصول على حقوقهم القومية ، ولو في كيان أشبه ما يكون بالحكم المحلي ، لكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ، وتأكد لهم أن دعاة الحرية والإصلاح يحملون في رؤوسهم وقلوبهم أضعاف ما كان العثمانيون والصفويون يحملونه من الحقد والكراهية ، مع أن بعض كبار هؤلاء الدعاة كانوا كرداً في أصولهم .

وبعد إعلان الدستور العثماني نشط الزعماء السياسيون الكرد والطبقة الكردية المثقفة في سبيل الدعوة إلى إنشاء كردستان مستقلة ، وأصدروا صحفاً ومجلات ، وأنشئوا جمعيات ومنتديات سياسية داخل كردستان وخارجها ، لكن القوميين الترك واجهوا تحت الحركات بقوة ، وعملوا في المحافل الدولية لأجل إجهاض جهود الكرد في هذا المجال ، وجهودهم هذه تبدو جلية في نجاحهم في إلغاء معاهدة سيفر الدولية التي عقدت في (١٠ آب ١٩٢٠ م) ونصت على إقامة كيان كردي مستقل ، لكن الجهود التركية المعارضة لهذا الأمر والتي لقت هوى في نفوس الدول الاستعمارية

وتشجيعاً أسفرت عن وأد هذه المعاهدة واستبدالها بمعاهدة لوزان التي عقدت في (٢٣ تـموز ١٩٢٣ م) والتي أهملت تماماً حق الكـرد في إنشـاء كيـان مسـتقل لهـم علـى أرضهم .

المبحث الثاني
نشأة الدولة العراقية
وإلحاق جنوب كردستان بها

ظهرت القضية الكردية جلية في العصر الحديث نتيجة لتقسيم كردستان من قبل الدول الاستعمارية وبموجب اتفاقية سايكس بيكو البريطانية الفرنسية المشؤومة سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٦ م على عدة أقسام ألحق كل قسم منها بدولة لها آيدلوجيتها القومية وتتبع استراتيجية معينة ومعسكراً خاصاً ولا تعمل إلا في سبيل عنصرها وتحقيق آيدلوجياتها وإن اقتضى ذلك سحق من يقف في طريقها كالكرد مثلاً ..

ومع أن الشعب الكردي لم يرضَ بهذا التقسيم ولم يستسلم له ، بل قام بانتفاضات عديدة وثورات عارمة في جميع تلك الأجزاء المقسمة ، لكن الدول الاستعمارية التي تتحمل المسؤولية العظمى في تقسيم كردستان ومنع إقامة كيان كردي مستقل لعبت دوراً خبيثاً في إجهاض تلك الانتفاضات والثورات الكردية وذلك بمد يد العون لأعداء الكرد والسكوت طويلاً عما اقترفوه من ظلم وقتل وتشريد في حق الكرد .

والدولة العراقية التي ضمت جزءاً غير صغير من كردستان هي دولة حديثة التكوين ، ولدت في أعقاب الحرب العالمية الأولى بموجب قرار بريطاني صدر في مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ ونص على إنشاء دولة ملكية برئاسة الأمير فيصل بن الحسين ، وقد تم فعلياً نصبه ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ بعد استفتاء لم يرحب به أغلب الكرد المقرر ضمهم إلى الكيان العربي الوليد .

وبريطانيا التي عملت على تشكيل المملكة العراقية إنما خطت هذه الخطوة ـ المرفوضة من قبل الكرد أساساً كما سبق ـ بدافع مصالحها البحتة ، منها : تقليل

النفقات الباهضة لوجودها في المنطقة والتي أثقلت كاهل دافعي الضرائب البريطانيين ، وجعلت الحكومة البريطانية في موقف حرج أمام البرلمان [١] ، كما أرادت بريطانيا الحيلولة دون وقوع انتفاضات شعبية جديدة كالتي حدثت سنتي (١٩١٩ و ١٩٢٠) ، وكان ذلك لا يتم إلا عن طريق حكم هذه البلاد بشكل غير مباشر [٢] .

واجه الكيان الجديد منذ نشأته مشاكل عديدة أهمها أن الولايات الثلاث : (الموصل وبغداد والبصرة) التي شكلت الدولة العراقية منها ، لم تكوّن كياناً سياسياً واجتماعياً متماسكاً [٣] إذ تميز سكانها بخصائص قومية وطائفية مختلفة ، فهناك يوجد العرب وهم على قسمين : سنة وشيعة ، يعيشون منفصلين حتى في أحياء المدينة الواحدة [٤] ، كما يوجد الكرد الذين شكلوا غالبية السكان في ولاية الموصل ، وهم وإن كانوا مسلمين سنيين إلا أنهم يختلفون عن العرب من الناحية القومية ، فضلاً عن أنهم كانوا ينشدون كياناً سياسياً مستقلاً لهم يضم بلادهم الشاسعة ، مما ساءتهم فكرة الانضمام إلى الدولة العراقية ذات الأغلبية العربية ، بل نشط عدد كبير من زعماء الكرد للعمل من أجل إنشاء دولة كردية مستقلة ففي تموز من سنة ١٩٢٠ بعث (٦٢) زعيماً كردياً في المناطق الملحقة بالعراق الجديد رسالة إلى المندوب السامي البريطاني في العراق طالبوا فيها بإنشاء دولة كردية مستقلة تحت انتداب الحكومة البريطانية [٥] .

---

(١) م . س لازاريف : المسألة الكردية (١٩١٧ ـ ١٩٢٣) ، ترجمة د. عبدي حاجي ، بيروت ، دار الرازي ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ص ٢١٨ .

(٢) العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، عبد الرحمن البزاز ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ١١٤ .

(٣) العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ ـ ١٩٢١ ، تأليف غسان العطية ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، طبعة لندن ١٩٨٨ ، ص ١١١ .

(٤) العراق ، الكتاب الأول ، الطبقات الاجتماعية ، لحنا بطاطو ، ص ٢٦ .

(٥) كردستان في عهد السلام ، أحمد عثمان أبو بكر ، السليمانية ١٩٩٨ ، ص ١١٥-١١٦ .

وفي ولاية البصرة عارض الوجهاء الانضمام إلى الدولة العراقية وقاموا بإرسال عريضة إلى المندوب السامي البريطاني في حزيران ١٩٢١ طالبوا فيها بإنشاء إدارة سياسية مستقلة في البصرة [١] .

عليه يمكن القول بأن الكيان العراقي كان كياناً مصطنعاً منذ أول قيامه ، وقد لخص أحد الكتاب القول في هذا الكيان تلخيصاً جيداً عندما قال : (لقد كان العراق من صنع تشرشل ـ وزير المستعمرات البريطانية يومئذ ـ الذي خطرت له فكرة جنونية وهي الجمع بين حقلي نفط متباعدين .. وذلك بدمج ثلاث فئات من الناس وهم الكرد والسنة والشيعة) [٢] .

وقد أدرك ملك العراق فيصل بن الحسين هذه الحقيقة بعد أن عجز عن مقاومة التجزئة والانقسام وذلك بعد جلوسه على العرش بعشر سنوات ، فقد كتب سنة ١٩٣١ في مذكرة جاء فيها : ((إن البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها أهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ذلك هو الوحدة الفكرية والملية والدينية فهي والحالة هذه مبعثرة القوى منقسمة على بعضها ، يحتاج ساستها إلى أن يكونوا حكماء مدبرين .. وفي هذا الصدد وبالاختصار أقول وقلبي ملآن أسى أنه في اعتقادي لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد ، بل توجد كتلات بشرية خالية من أي فكرة وطنية .. لا تجمع بينهم جامعة .. هذا هو الشعب الذي أخذت مهمة تكوينه على عاتقي)) [٣] .

---

(١) ينظر : نص المذكرة في مذكرات سليمان فيضي : سليمان فيضي من رواد النهضة العربية ، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي ، ط ٤ ، بغداد ٢٠٠٠ ، ص ٣٠٨-٣١٠ .

(٢) المفكرة الخفية لحرب الخليج ، بيارسا لنجرد وأريك لوران ، رؤية على العدد العكسي للأزمة ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣) ينظر : نص المذكرة في كتاب (مشكلة الحكم في العراق) لعبد الكريم الأزري ، لندن ١٩٩١ ، ص ٢٦١-٣٦٧ .

ومهما يكن من أمر فقد تم ضم الجزء الجنوبي من كردستان إلى الكيان الجديد المسمى بالدولة العراقية سنة ١٩٢٥ ، ومنذ تلك السنة أصبحت القضية الكردية إحدى أكثر المسائل إلحاحاً التي واجهت الحكومات العراقية المتعاقبة ، والأمر الذي زاد من حدتها هو الفشل المتواصل لتلك الحكومات في وضع حل مرضٍ لها ، وهذا الاستعصاء في إدراك الخصوصية الكردية دفع برئيس وزراء العراق سابقاً وهو الدكتور عبد الرحمن البزاز إلى القول : ((إن المشكلة الكردية بحق كانت ولا تزال من أهم مشكلات العراق الداخلية وأكثرها خطورة)) [١] .

لقد كانت سياسة بريطانيا تجاه القضية الكردية متذبذبة حتى عقد معاهدة لوزان في تموز ١٩٢٣ حيث أفصحت بريطانيا عن رغبتها في إلحاق جنوب كردستان بالعراق والابتعاد عن الترويج لفكرة (الدولة الكردية) [٢] ، وعلى أرض الواقع ساعد البريطانيون الحكومة العراقية في قمع الحركات الكردية التي ناهضت فكرة إلحاق جنوب كردستان بالدولة العراقية أو طالبت بحصول الكرد على حقوقهم ، ولكن نظراً لعدم وجود تكافؤ في ميزان القوى بين الكرد من جهة والحكومتين العراقية والبريطانية من جهة أخرى فقد منيت الحركة التحررية الكردية بضربات قاسية وموجعة ، ونال الكرد في العراق بشكل عام مآسي كثيرة بدءاً من السنوات الأولى من تأسيس الدولة العراقية وحتى السنوات القليلة الماضية ، وقد استطاعت القوات العراقية المدعومة من القوات البريطانية مد نفوذها والسيطرة على الجزء الملحق بالعراق من إقليم كردستان ، فقد دخلت في شهر تموز من سنة ١٩٢٤ إلى مدينة السليمانية ، وفي كانون الأول من السنة ذاتها دخلت مدينتي أربيل وكركوك [٣] .

---

(١) العراق من الاحتلال إلى الاستقلال ، لعبد الرحمن البزاز ، ص ٢٨٣ .

(٢) تاريخ العراق السياسي الحديث ، عبد الرزاق الحسني ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٩ ، ٢ / ٣٠٧ .

(٣) تاريخ الوزارات العراقية ، لعبد الرزاق الحسني ، مكتبة اليقظة العربية ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٣ ، ٣ / ٢٧٦ .

وبالنسبة لما عرفت بمشكلة الموصل فقد تم رفعها سنة ١٩٢٤ إلى مجلس عصبة الأمم للنظر في حلها ، فشكل المجلس في شهر أيلول من السنة نفسها لجنة تحقيق دولية لدراسة المشكلة وتقديم التوصيات اللازمة حولها إلى المجلس ، وبعد قيام اللجنة بمهمتها ودراسة الموضوع أيدت اللجنة ضم ولاية الموصل إلى العراق بشرطين :

الأول : أن تبقى هذه الأراضي تحت الانتداب لمدة ٢٥ سنة .

الثاني : أن تؤخذ بنظر الاعتبار رغبات الكرد بتعيين موظفين أكراد في المحاكم والمدارس ، وبأن تكون اللغة الكردية لغة رسمية فيها .

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة عصبة الأمم اقترحت إيجاد دولة كردية مستقلة في ولاية الموصل في حالة الاستناد على الحجج العنصرية باعتبار أن الكرد كانوا يشكلون غالبية السكان في تلك الولاية [١] .

وقد قرر مجلس العصبة في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥ بعد دراسة تقرير اللجنة إلحاق ولاية الموصل بدولة العراق ، مع التأكيد على تطبيق توصيات اللجنة الخاصة بالكرد ، وبذلك أغلق ملف مشكلة الموصل ، وأصبح الكرد رسمياً تابعين للدولة العراقية [٢] .

---

(١) مشكلة الموصل ، فاضل حسين ، ص ٥٩-٦٠ .

(٢) الأسس القانونية لحق الشعب الكردي في تقرير المصير ، فؤاد ساكو ، مطبعة الهدف ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٨٧ ، ص ١٤٧ .

المبحث الثالث
القضية الكردية في العراق
١٩٢١ ـ ١٩٦٨

بعد إلحاق جزء كبير من جنوب كردستان بالعراق عملت كل من الحكومتين العراقية والبريطانية لوضع حد للتوتر الحاصل في كردستان جراء هذا الوضع الذي فرض على الكرد دون رغبة منه ، ولكن معاهدة الثلاثين من حزيران من سنة ١٩٣٠ التي عقدت بين العراق وبريطانيا جاءت لتوتر الوضع أكثر ، وذلك عندما شرع في المفاوضات التي أسفرت عن تلك المعاهدة ، إذ كان هدف الحكومة العراقية والبريطانية الأول في تلك المرحلة هو الضغط على الكرد لضمان بقائهم في الدولة العراقية ، ولكن المعاهدة المذكورة أعلاه أثارت القلق بين صفوف الكرد ، لأنها خلت من أي إشارة إلى الكرد وامتيازاتهم الخاصة [١] .

أرسل عدد من الزعماء الكرد برقيات وعرائض إلى الملك فيصل الأول وإلى المندوب السامي البريطاني يحتجون فيها على عقد اتفاقية الثلاثين من حزيران ، كما أرسلوا عدة مضابط إلى سكرتارية عصبة الأمم يطالبون فيها بتحقيق ما جاء في قرارات العصبة .. لذلك قرر رئيس الوزراء العراقي والمندوب السامي البريطاني التوجة إلى الألوية الكردية في الثامن من آب سنة ١٩٣٠ حيث أكدا أن الجانبين يرفضان منح الكرد حكماً ذاتياً ، مما أدى إلى مواجهة هذه الزيارة بمظاهرات احتجاج خاصة في السليمانية [٢] .

---

(١) كرد العراق منذ الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حتى سقوط الملكية في العراق ١٩٥٨ ، محسن محمد المتولي ، الدار العربية للمؤسسات ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص ٢٦٥ .

(٢) كردستان والحركة القومية الكردية ، جلال الطالباني ، دار الطليعة ، بيروت ، ص ١١٢ .

وزاد التوتر عندما قررت الحكومة العراقية إجراء الانتخابات البرلمانية في صيف العام نفسه ليعقد البرلمان جلسته في أيلول ١٩٣٠ ، إذ قرر أكراد السليمانية مقاطعتها ، فدعت الحكومة حوالي ثلاثين وجيهاً من وجهاء السليمانية إلى الاجتماع في سراي الحكومة للتباحث في الموضوع واختيار هيئة التفتيش للانتخابات ، فتجمعت الجماهير حول السراي ورشقت المجتمعين بالحجارة فأطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين والمحتجين فتحولت المظاهرة إلى حركة شعبية عارمة ، وقامت الجماهير بإضراب شامل وتوقفت الأعمال تماماً في المدينة ، وقامت الجماهير الساخطة برشق الشرطة بالحجارة [١] ، وكانت انتفاضة السادس من أيلول أول حركة جماهيرية تحدث في كردستان (العراق) فاعتبرت بذلك نقطة انعطاف في الحركة الكردية [٢] .

وفي العامين التاليين (١٩٣١ و ١٩٣٢) جاءت انتفاضة بارزان تأكيداً على رفض الكرد للسيطرة العراقية المباشرة على مناطقهم ، فقد كانت هذه الانتفاضة رداً على قرار الحكومة العراقية بناء مخافر وقلاع للشرطة في المنطقة ، وجلب قوات وبناء معسكرات دائمة لهم هناك بهدف السيطرة على منطقة بارزان التي تقع في أقصى الشمال العراقي .. ولأجل قمع هذه الانتفاضة انضمت القوة الملكية البريطانية إلى القوات العراقية ، ونتيجة لعدم تكافؤ القوتين تراجع البارزانيون نحو الحدود العراقية التركية وسلموا أنفسهم للأتراك حتى صدر العفو عنهم فقام كل من الشيخ أحمد البارزاني زعيم الانتفاضة وأخوه الملا مصطفى البارزاني قائد الانتفاضة بتسليم نفسيهما للحكومة العراقية التي حددت إقامتهما في جنوب العراق [٣] .

---

(١) كردستان والحركة القومية الكردية ، جلال الطالباني ، المصدر السابق ، ص ١١١

(٢) كرد العراق ، محسن محمد المتولي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .

(٣) البارزاني والحركة التحررية الكردية ، انتفاضة بارزان الأولى ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ ، مسعود البارزاني ، كردستان ١٩٨٦ ، صفحات متعددة ، ومأساة بارزان المظلومة ، معروف جياووك ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ١٣٧–١٣٨ .

وبعد عشر سنوات تسلل الملا مصطفى البارزاني من السليمانية ـ والتي كانت حينئذ محل إقامته الجبرية ـ إلى بارزان بهدف تجديد نضاله ضد الحكومة ، وما أن جاء عام ١٩٤٥ حتى استطاع بسط نفوذه على رقعة واسعة من كردستان ، لكن الحكومة لم تسكت عنه بل حاربته وتمكنت من شد الخناق عليه بمساعدة بعض القبائل المعادية له ، واشتدت هجمات الجيش العراقي المدعوم من السلاح الجوي البريطاني ، فاضطر البارزاني إلى التسلل إلى إيران والانضمام إلى الثورة الكردية هناك التي تمكنت في عام ١٩٤٦ من إعلان جمهورية كردستان ، فتولى البارزاني منصب القائد العام لقوات الجمهورية ، وبعد القضاء على الجمهورية الكردية لجأ البارزاني مع أتباعه إلى الاتحاد السوفيتي وبقي هناك حتى سقوط الملكية في العراق سنة ١٩٥٨ [١] .

ويمكن القول أن الدولة العراقية خلال فترة الحكم الملكي انتهجت نهجاً يمتاز بالتنكر للحقوق القومية على الصعيد القانوني والسياسي ، ونكثت بتعهداتها تجاه الكرد ، تلك التعهدات التي قطعتها على نفسها والتي جعلتها عصبة الأمم شرطاً لدخول العراق عضواً في العصبة ، بل كانت تلجأ إلى العنف كوسيلة لفض النزاع عندما كانت ترى بوادر الاحتجاج أو المقاومة أو المطالبة بحق ، ومن جانب آخر لم ينجح الكرد من جانبهم ـ رغم تعاظم نشاطهم وحركاتهم ـ في إقامة كيان خاص لهم ، وكان الزعماء الكرد يضطرون في أغلب الأوقات إلى ترك البلاد واللجوء إلى خارجها بسبب التنكيل والأعمال العسكرية التي كانت الحكومات تقوم بها .

وبعد الانقلاب العسكري الذي شهده العراق في ١٤ من تموز سنة ١٩٥٨ تحول العراق من الملكية إلى الجمهورية ، وسمح للزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني بالعودة إلى العراق ليشارك فعلياً في النشاط السياسي في البلاد ، وكانت علاقات زعيم الانقلاب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم في البداية طيبة مع البارزاني ، لكن تنكر الزعيم فيما بعد للحقوق الكردية وقيام حكومته باعتقالات واسعة شملت بعض قيادي وكوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان البارزاني يتزعمه دفع بالزعيم

---

(١) البارزاني والحركة التحررية الكردية ، مسعود البارزاني ، المصدر السابق١٩٨٦ ، ص .

الكردي إلى مغادرة بغداد وإعلان الثورة الكردية المسلحة في جبال كردستان في أيلول سنة ١٩٦١ ، وبالرغم من محاولات الرئيس العراقي في دق أسفين بين الكرد أنفسهم وتحريض بعضهم ضد بعض ، وتشجيع قسم منهم للوقوف ضد زعامة البارزاني إلا أن الثورة الكردية توسعت على أرض الواقع ، ونالت مكاسب عسكرية ملموسة ، فاتخذت الحكومة العراقية سلسلة إجراءات تعسفية بحق الكرد أبرزها تحريك قطعات الجيش العراقي نحو كردستان وإرسال سلاح الطيران الحربي للقيام بقصف مناطق محددة منها منطقة بارزان وكانت الضحايا من المدنيين كثيرة [١] .

وبعد قيام ثورة أيلول الكردية بأقل من سنتين ، ونتيجة لغرق قاسم في حمأة الحرب على الكرد ، وتصاعد السخط السياسي على الحكم الفردي الذي يمارسه وابتعاد حلفائه من اليسار العراقي عنه وخصوصاً الحزب الشيوعي العراقي ، تمت إزاحة الزعيم عن الحكم بانقلاب عسكري قاده حزب البعث العربي الاشتراكي بالتعاون مع فريق من الضباط القوميين في الجيش العراقي وذلك في شهر شباط سنة ١٩٦٣ ، وقد حاول قادة الانقلاب الجديد في البداية الاتصال بالزعامة الكردية ، وجرت اتصالات بين القوميين والبعثيين من جهة وقيادة الثورة الكردية من جهة أخرى ، واعترف الانقلابيون شفوياً بحقوق الكرد المتمثلة في إعطاء الحكم الذاتي لهم ، لكنها بقيت في إطار الدعاوى ولم تترجم إلى الواقع الفعلي .

استقبل الكرد الانقلاب أولاً باستبشار وعقدوا عليه آمالاً عريضة ، وشاركوا في الحكومة بوزيرين اثنين [٢] ، لكن الآمال سرعان ما تبددت حينما بدأ الهجوم العسكري العراقي على المناطق الكردية بعد نجاح الانقلاب بأقل من أربعة أشهر وذلك في حزيران

---

(١) القضية الكردية في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٧٥ ، ماجد عبد الرضا ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٩٦–٩٨ .

(٢) وهما العميد فؤاد عارف والشيخ بابا علي البرزنجي ، ومع أنهما لم يكونا منتسبين إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان يقود الثورة المسلحة ، إلا أن تكليفهما بحمل الحقيبة الوزارية كان بموافقة من قيادة الثورة الكردية .

١٩٦٣ ، الشيء الذي أكد بوضوح أن النظام الجديد لم يكن جدياً في تنفيذ العهود التي قطعها على نفسه ، فاستؤنف القتال من جديد وبشكل أقوى من ذي قبل تحت شعار (القضاء التام على عصابة المتمردين الشقاة) وقد صرح وزير الدفاع العراقي آنذاك أن الجيش العراقي في طريقه إلى نزهة ، مشيراً بذلك إلى سهولة القضاء على (التمرد الكردي) لكن خاب فأله إذ استمر الصراع المسلح ، حتى جاء اليوم الذي استثمر فيه عبد السلام محمد عارف اختلاط الأوراق وانحلال العلاقة المصلحية بين (القوميين والبعثيين) فقاد انقلاباً عسكرياً في تشرين الثاني من سنة ١٩٦٣ سماه (الحركة التصحيحية) وذلك بالتعاون مع بعض العسكريين الساخطين على حكم البعثيين .

وبعد أن صفى الأمر لعارف الذي أصبح رئيساً للعراق عرض وقف إطلاق النار على الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني ، ومع تشكيك الأخير في صفاء نية الحاكم الجديد في بغداد إلا أنه قبل بالعرض ودخل في مفاوضات .. وبعد مرور ما يقارب السنة بدى واضحاً أن حكومة عبد السلام عارف لا تنوي التقدم خطوة نحو حل القضية الكردية ، بل كانت هذه الحكومة كسابقاتها تريد كسب الوقت ، قطعت المفاوضات واستؤنف القتال مجدداً في نيسان ١٩٦٥ واستمر لما يزيد على عام كامل وانتهى بهزيمة عسكرية للجيش العراقي غير مسبوقة في تاريخه ، وذلك على إثر معركة هندرين التي تم فيها تدمير اللواء الرابع التابع للفرقة الثانية بعد أن نجا آمر اللواء بصعوبة ولاذ بالفرار [١] .

وبعد هذه الهزيمة القاسية للجيش العراقي بدأت الحكومة العراقية تتقرب من القيادة الكردية بغية الوصول إلى اتفاق لإنهاء حالة الحرب ، وفي ٢٩ حزيران ١٩٦٦ أصدر رئيس الوزراء العراقي الدكتور عبد الرحمن البزاز بياناً عرف بتصريح (٢٩ حزيران) اعترف فيه بالحقوق القومية للكرد ، لكن هذا التصريح أثار امتعاضاً لدى

---

(١) كردستان أو الموت ، رينيه موريس ، ترجمة جرجيس فتح الله ، كردولوجيا ١٩٨٦ ، ص ١٠٧-١٢٩ .

قادة الجيش العراقي فأرغم البزاز على الاستقالة ، بالرغم من أن صيغة بيان ٢٩ حزيران استمرت باعتبارها قاعدة للعلاقة بين الحكومة العراقية والحركة الكردية حتى عام ١٩٦٨ عندما أطاح البعثيون بنظام الرئيس عبد الرحمن محمد عارف [١] .

(١) للتفاصيل ينظر : زيارة للماضي القريب ، جرجيس فتح الله ، استوكهولم ، ١٩٩٧ ، صفحات متعددة .

المبحث الرابع
حزب البعث والمسألة الكردية
١٩٦٨ ـ ١٩٨٨

تسلم رجال حزب البعث مقاليد الحكم في العراق ثانية في ١٧ ـ ٣٠ من تموز سنة ١٩٦٨ بعد انقلاب عسكري قاموا به بالتعاون مع مدير الاستخبارات العسكرية العام عبد الرزاق النايف ، وإبراهيم الداود ، وقد بات الانقلابيون الجدد يدركون قصر النظر لدى منتهجي سياسة القتال مع الكرد عند عدم وجود ضمان التغلب عليهم [١] ووجدوا أنه من الحصافة والحكمة مهادنة الثورة الكردية المسلحة فترة من الوقت يستغلونها لتثبيت أركان حكمهم ، ولهذه الغاية عرضوا فكرة تطبيق بيان (٢٩ حزيران) ، غير أن الجانب الكردي ـ بسبب التجارب السابقة ـ لم يكن واثقاً من العرض مدركاً أن المسألة لا تعدو من كونها كسب المزيد من الوقت ، ومع ذلك لم يكن أمام الجانب الكردي خيار آخر عدا قبول العرض الحكومي سوى مواصلة القتال ، فكانت هناك هدنة هشة تقطعها بين حين وآخر اشتباكات جانبية متباعدة محكومة بشبه اتفاق ضمني لتحاشي توسيع رقعة العمليات التي كان يخشاها حزب البعث الحاكم خوفاً من تكرار تجارب الحكم السابقة ، في حين لم يكن الكرد مستعدين لقتال طويل بسبب النقص الحاد في السلاح وتحسباً من أن تلجأ الحكومة إلى أساليب وحشية ضد الكرد جميعاً مسلحين كانوا أو مدنيين [٢] .

---

(١) السألة القومية الكردية في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٧٥ ، ماجد عبد الرضا ، بيروت ، ص ١٤٢–١٤٥ .

(٢) كردستان ودوامة الحرب ، محمد إحسان ، دار الحكمة لندن ، ص ٦١–٦٢ .

وبعد أن قام البعثيون بتصفية من ساعدوهم في انقلابهم عام ١٩٦٨ بدأت اتصالات غير رسمية بينهم وبين قيادة الثورة الكردية بغية الوصول إلى اتفاق ، شارك فيها الاتحاد السوفيتي [١] ، وقد تقدمت الحكومة خطوات إيجابية بصدد المسألة الكردية ـ أثبتت الأيام القادمة أنها كانت مناورات سياسية ! ـ فاعترفت ببعض الحقوق القومية للكرد ، ووافقت على إنشاء مديرية الثقافة الكردية ، وجامعة كردية في محافظة السليمانية ، وصدر قرار جمهوري يعترف بـ (نوروز) كعيد قومي للشعب الكردي ، وأعلن مجلس قيادة الثورة عن تشكيل محافظة كردية مركزها مدينة دهوك ، وألحق بها بعض الألوية الكردية التي كانت تابعة للموصل [٢] .

ومع ذلك واصل البعثيون نداءاتهم لتشكيل جبهة وطنية ، واتخذ الحزب الشيوعي موقفاً إيجابياً من ذلك ، ودخل في حوار مع الحزب الحاكم ، لكن تبين أنه كان حواراً عقيماً لأن البعثيين وضعوا شروطاً تعجيزية أمام الشيوعيين ، وسعى الشيوعيون إلى توفير الظروف لإقامة مفاوضات بين حزب البعث الحاكم والحزب الديمقراطي الكردستاني الذي كان يتزعم الحركة الكردية المسلحة ، لكن ظل التريث والتسويف سيد الساحة لمدة عام كامل ، أوقفت الحكومة بعدها المفاوضات ، فتجددت العمليات العسكرية في كردستان ولجأت حكومة البعث إلى استخدام سلاحها المتطور من طائرات ودبابات بشكل واسع ، واستخدمت قنابل النابالم ـ المحرمة دولياً ـ ضد الكرد خلال توسيع العمليات العسكرية في ربيع ١٩٦٩ [٣] .

وفي هذه العمليات قامت القوات الحكومية بارتكاب الفظائع والمجازر أشهرها مجزرتا (داكا) و (صوريا) في آب وأيلول سنة ١٩٦٩ ، حيث قامت

---

(١) كردستان ودوامة الحرب ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٤ .

(٢) الحزب الديمقراطي الكردستاني حركة التحرر القومي الكردية في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٧٥ ، د. شيركو فتح الله عمر ، السليمانية ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(٣) الحزب الديمقراطي الكردستاني حركة التحرر القومي الكردية في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٧٥ ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

بإحراق مجموعة من الأهالي الذين فروا من القتال ولجئوا إلى إحدى الكهوف ، وذلك بعد أن قام بعض أفراد الجيش بجمع الحطب وتكديسها في فم الكهف وإشعال النار فيها ، هذا في قرية (داكا) الواقعة في منطقة الشيخان شرقي مدينة الموصل ، وفي قرية (صوريا) المسيحية الواقعة قرب مدينة زاخو دخلت قوة من الجيش إلى القرية ـ التي انفجر لغم قربها تحت سيارة عسكرية ـ وفتحت النار على الأهالي دون تمييز فقتلت العشرات من النساء والأطفال والشيوخ [1] .

وفي الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٦٩ سعت الحكومة العراقية إلى إجراء مفاوضات مع القيادة الكردية فأعربت القيادة الكردية عن استعدادها للمفاوضات إيماناً منها بضرورة الحلول السلمية ، وإنقاذاً للكرد من العمليات الوحشية التي بات الجيش يقوم بها ضد المدنيين ، وبدأت جولات عديدة من المفاوضات أثمرت عقد اتفاق يقضي بمنح الكرد في العراق حكماً ذاتياً في إطار الجمهورية العراقية .

وكان هذا الاتفاق مرحلة فاصلة في تاريخ العلاقات بين الحركة الكردية والحكومة العراقية ، إذ وضع الأسس المبدئية والرئيسية للحكم الذاتي ، وقام بتعديل على الدستور الجديد الذي نص على أن (الشعب العراقي يتألف من قوميتين : العربية والكردية) [2] .

وبمقتضى هذا الاتفاق أصبح من حق الكرد أن يكون لهم سلطات تشريعية تتناسب وعددهم ، كما استحدث منصب نائب ثانٍ لرئيس الجمهورية الذي يعيين من الكرد ، وتمديد نطاق الحكم الذاتي إلى المناطق التي يؤلف الكرد فيها أغلبية السكان ، كما جعل اللغة الكردية لغة رسمية ثانية إلى جانب العربية وغيرها .

ولكن هذه الاتفاقية كانت في الحقيقة بمثابة حقنة مقوية في ذراع الحكومة التي أمنت بها على نفسها وهيأت الوقت الكافي لتثبيت دعائمها ، بدليل أنه لم يمر غير أشهر قلائل حتى بدأت الحكومة بالتجاوزات والانتهاكات ، فمن جهة نقضت الحكومة

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٢) كردستان ودوامة الحرب ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

تعهدها بإقامة المجلس الوطني كما وعدت ، ومن جهة أخرى قامت من خلال أجهزتها المخابراتية بمحاولات اغتيال بعض قادة الكرد ، ثم ثار نزاع حاد حول (كركوك وخانقين وسنجار والشيخان) وهي مناطق نزاع حساسة بين الكرد والحكومات العراقية المتتابعة ، فمن جهة كانت الحركة الكردية تتمسك بها باعتبارها جزء من كردستان ، وكانت الحكومة من جهة أخرى تقوم بتوطين العرب في تلك المناطق بغية تغيير تركيبها القومي .

وفي آذار من العام ١٩٧٤ أصدرت الحكومة العراقية القانون الخاص بـ (الحكم الذاتي لمنطقة كردستان) وكانت السلطة تسعى بذلك فرض مفهومها للحكم الذاتي فرضاً على الكرد ، واستثنيت كركوك من المنطقة المشمولة بالحكم الذاتي ، وجعلت الكلمة النهائية في أعمال الإدارات فيها بيد الحكومة المركزية ، فرفضت القيادة الكردية هذه الصيغة ، وبدأت الهوة تتسع بين الجانبين وراح الطرفان يستعدان لخوض حرب جديدة .

وبدأت المعارك تحتدم بين الجيش العراقي والقوات الكردية التي كان يتزعمها الملا مصطفى البارزاني ، ولم يستطع الجيش العراقي أن يفوز بمعركة فاصلة في ميادين القتال حتى آذار ١٩٧٥ ، عند ذاك عمد صدام حسين ـ وكان يومها نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة ـ إلى عقد صفقة مع شاه إيران محمد رضا بهلوي في الجزائر ، تنازل بموجبها عن النصف الشرقي من شط العرب لإيران مقابل تعهد الشاه بقطع كل مساعدة عن الثوار الكرد وغلق حدوده أمامهم ، وهكذا انهارت المقاومة الكردية التي دامت حوالي سنة وأوعز البارزاني إلى قواته بوقف القتال بعد أن تيقن أن المؤامرة على الكرد هي مؤامرة دولية ، ولجأ إلى إيران مع أعداد غفيرة من الكرد .

وبعد انهيار المقاومة تركت الحكومة المجال لعودة النازحين إلى مناطقهم بعد أن أزالت عن الخريطة ما لا يقل عن (٥٠٠) قرية كردية بحجة استحداث حزام أمني مع إيران ، وتم تهجير أعداد كبيرة من القرويين وإسكانهم في مجمعات سكنية ، أما أسر (المتمردين الذين لاذوا بالفرار إلى إيران) فقد نفيت إلى المناطق الوسطى والجنوبية من

العراق .. ولم تمر سنة على هذه الانتكاسة حتى قام الكرد بإعادة صفوفهم والقيام بمقاومة عسكرية جديدة على شكل حرب العصابات ، تلك المقاومة التي باتت تعرف لدى الكرد بثورة (أيار) .

وكان الإذلال الذي لحق بالحكومة العراقية جراء تنازلها عن نصف شط العرب نتيجة لاتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ يحز في نفوس موقعيها ، وعمد صدام حسين بعد تقلده منصب رئيس الجمهورية إلى إلغاء تلك الاتفاقية علناً في ١٧ أيلول ١٩٨٠ بحجة أنها ولدت ميتة في ظروف قسرية ، وأدى ذلك إلى اندلاع حرب ضروس بين العراق وإيران في ٢٢ أيلول من السنة نفسها ، واستمرت هذه الحرب حتى الثامن من آب من سنة ١٩٨٨ حينما وافقت إيران على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٥٩٨ الصادر في ١٩٨٧ الذي سبق وأن وافق عليه العراق فتم وقف إطلاق النار في العشرين من آب من سنة ١٩٨٨ [١] .

وأثناء الحرب العراقية الإيرانية عمدت المجموعات السياسية الكردية إلى استغلال ظروف الحرب لتعزيز وجودها المسلح في كردستان وتوسيع رقعة نشاطاتها ، ولكن الحكومة العراقية لم تتوانَ في توجيه الضربات القاسية للكرد سواء كانوا من المسلحين أم من القرويين الموالين للحركة الكردية ، ولم يتحاشَ الجيش العراقي عن استخدام كل ما هو محظور ومحرم دولياً ، ولم يفرق في ذلك بين مدني أو مسلح ، رجل أو امرأة .

وأبشع جريمتين اقترفهما نظام البعث أثناء الحرب مع إيران هما :

١ ـ جريمة قتل البارزانيين في سنة ١٩٨٣ إثر احتلال إيران لبلدة حاج عمران العراقية الحدودية الهامة في أربيل ، وكذلك بلدة بنجوين الحدودية التابعة للسليمانية ، حيئنذ قرر النظام اعتقال ما يقارب الثمانية آلاف من أفراد العشيرة البارزانية الذكور الذين كانوا يقيمون في مجمع (قوشتبة) القسري قرب أربيل ، وبقي مصيرهم مجهولاً حتى أعلن مؤخراً عن العثور على رفاتهم في مقابر جماعية على الحدود العراقية

---

(١) المسألة الكردية والفكر السياسي العراقي ، مقال للدكتور عبد الحسين شعبان منشور في جريدة الحياة اللندنية ، العددان الصادران في (٢ ـ ٣) من شهر آب ١٩٩٢ .

السعودية [1] ، وكان الرئيس العراقي صدام حسين قد صرح عندما سئل عن مصير هؤلاء : (وديناهم للجحيم) أي : بعثناهم للجحيم ! [2] ، وكان حجة النظام في القيام بهذه الجريمة هي تعاون المقاتلين الكرد الذين يتزعمهم مسعود البارزاني مع القوات الإيرانية .

٢ ـ كارثة حلبجة : وحلبجة هي مدينة كردية (عراقية) تقع في حضن سهل شهرزور قرب الحدود مع إيران ، وكانت القوات الإيرانية قد تمكنت من احتلالها في ١٥ آذار ١٩٨٧ وفي اليوم التالي مباشرة قرر النظام العراقي ضرب هذه المدينة بالأسلحة الكيمياوية مما أودى بحياة أكثر من خمسة آلاف مدني من بين أطفال ونساء وشيوخ ، تلك المدينة المنكوبة التي استحقت أن تكون (هيروشيما) كردستان .

ومع تنصل النظام من الاعتراف بهذه الجريمة وقيامها بحملة رهيبة لتشويه الحقيقة والتعمية على الجريمة ، إلا أن الحقيقة كانت أكبر من أن يستطيع النظام ومن يقف فيه صفه من الدول والهيئات حجبها ، لاسيما بعد ظهور الأدلة القطعية على إدانته من واقع الجريمة والضحايا .

---

(١) أعلن ذلك رسمياً في شهر تشرين الأول من سنة ٢٠٠٥ ، بعد أن قررت حكومة إقليم كردستان العراق نقل رفاتهم ودفنها في كردستان في .

(٢) للتفاصيل ينظر : زيارة للماضي القريب ، جرجيس فتح الله ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

الفصل الثاني
حملات الأنفال في كردستان العراق

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : عملية الأنفال الأولى
٢٨ شباط ـ ١٩ آذار ١٩٨٨

المبحث الثاني : عملية الأنفال الثانية
٢٢ آذار ـ ١ نيسان ١٩٨٨

المبحث الثالث : عملية الأنفال الثالثة
٧ نيسان ـ ٢٠ نيسان ١٩٨٨

المبحث الرابع : عملية الأنفال الرابعة
٣ أيار ـ ٨ أيار ١٩٨٨

المبحث الخامس : عمليات الأنفال الخامسة ،
السادسة ، السابعة ١٥ أيار ـ ٢٦ آب ١٩٨٨

المبحث السادس : عملية الأنفال الثامنة ، خاتمة الأنفال

المبحث الأول
عملية الأنفال الأولى
٢٨ شباط ـ ١٩ آذار ١٩٨٨

بعد أن أعطى مجلس قيادة الثورة جميع الصلاحيات لـ (علي حسن المجيد) وذلك بعد اجتماع عقده مجلس قيادة الثورة برئاسة صدام حسين رئيس الجمهورية ، وأصبحت صلاحياته نافذة المفعول بالمرسوم الجمهوري المرقم (١٦٠) في (٢٩ آذار ١٩٨٧) [١] ، وأصبح علي حسن المجيد يمثل القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياساتها في جميع المنطقة الشمالية .

بدأ علي حسن المجيد يخطط لتنفيذ عمليات الأنفال ، واستشار هيئات الأركان للفيالق الثلاثة (الأول والثالث والخامس) وأحكموا الخطط العسكرية ، وهيئوا جيشاً جراراً مزججاً بكامل الفتاكة بما في ذلك الغطاء الجوي المتمثل بسرب من الطائرات المقاتلة ، والقاصفات ، والسمتيات المزودات بأحدث الأسلحة المتاحة بما فيها الأسلحة الكيماوية ، إضافة إلى أصناف كتائب المدفعية بعيدة المدى ، وكتائب أخرى من الدبابات المزنجرة .

بدأ الجيش العراقي بتنفيذ عملية الأنفال الأولى يوم (٢٣ / ٢ / ١٩٨٨) وشارك في تنفيذ تلك العملية كل من الفيلق الأول والخامس من الجيش العراقي ، وشاركت معه عشرات من الأفواج الخفيفة من الكرد الموالين للحكومة .

وكانت الخطة المرسومة لهذه القوات في هذه المرحلة تتمثل في المحاور التالية :

١ ـ سورداش نحو بحيرة مگروم ـ قوله سور پوشين وقوله سوز .

---

(١) .

٢ ـ شارع سورداش ـ دوكان نحو سلسلة جبل جَرماوند .
٣ ـ سورداش نحو شدكة .
٤ ـ من جبل أزمر نحو دوپرا ، وپشتى قيوان .
٥ ـ من السليمانية نحو دوله روت .
٦ ـ من معسكر كاريز نحو جبل خَجَله رزوك وگاپيلون .
٧ ـ من دوكان نحو قلم باشا وقَرِنگويى .
٨ ـ شارع دوكان ـ بنگرد نحو مرتفعات سيدَر .
٩ ـ بنگرد ـ مرگه . (١) .

وبدأت القوات العسكرية تتحرك نحو أهدافها المرسومة ، ففي الساعة الحادية والنصف أو الثانية بعد منتصف الليل وقبيل صباح يوم (٢٣ / ٢ / ١٩٨٨) فتحت تلك القوات نيران مدافعها بجميع أصنافها من مدافع الميدان بعيدة المدى والراجمات وسائر الأنواع الأخرى ، بغية تحطيم مركز العصب للاتحاد الوطني الكردستاني (أوك) بزعامة جلال الطالباني الذي كان يقع عميقاً داخل جبال محافظة السليمانية جنوب شرق إقليم كردستان العراق ، وكان أهم مقرات قيادة الـ (أوك) في وادي جافايتي الطويل والضيق بل كان مقر قيادة (أوك) يقع في قرية (ياخسمر) الصغيرة ، وكانت قرية (برگلو) تعد المقر الخلفي لنائب الطالباني (نوشيروان مصطفى) والمقر لمحطة إذاعة (أوك) ، وكان المستشفى الميداني لهم هناك .

كان لوادي جافايتي أهمية بالغة بالنسبة لقيادة الاتحاد الوطني ، لأنه كان محاطاً بالجبال الشاهقة ، وكان حصناً حصيناً بتضاريس من المناطق الوعرة ، وعند بزوغ فجر الثالث والعشرين من شباط ١٩٨٨ هاجمت قوات المشاة من كل الاتجاهات ، وشكلت سياجاً فولاذياً يفصل المنطقة عن المناطق الشرقية لكردستان ، وكان امتداد الجبهة يبلغ نحو (٤٠) ميلاً ، ابتداءً من بنگرد في الضفة الشرقية لبحيرة دوكان حتى السليمانية وقصبة ماوت وچوارته .

---

(١) ينظر الخارطة رقم ( ) .

وفي صباح يوم (٢٣) شباط قصفت القوات العراقية بالأسلحة الكيماوية بواسطة صواريخ كاتيوشا والمدفعية قرى : جوخماخ ، ياخسَمَر ، گويزلـه ، هَلَدن ، چالاوه ، سرگلو ، برگلو [١] .

وصدت قوات الاتحاد الوطني الكردستاني هذا الهجوم العنيف ، وقاومته أكثر من ثلاثة أسابيع ، وشاركت مع قوات الاتحاد الوطني في صد الهجوم ومقاومة المهاجمين قوات أخرى كانت توجد في المنطقة كقوات الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وقوات الحزب الشيوعي العراقي ، وقوات أحزاب صغيرة أخرى ، ولم تكن الحرب متكافئة لا من حيث العدد ولا من حيث العدة ، بل لم تكن حتى متقاربة .. واستمرت المعارك بكل شراسة ، وحاول الجيش فرض الحصار على الأهداف المرسومة له المتمثلة في السيطرة على وادي جافايتي حيث تتمركز القوة الرئيسية للاتحاد الوطني ، وكانت القوات المتصدية تحاول أن تدافع عن وجودها وحماية عوائلها ، ولم يكن هدف الجيش العراقي دحر قوات الـ (أوك) الموجودة في المنطقة فحسب بل كان يهدف كل القوى الموجودة في القرى هناك حيث يبلغ عددها (٢٥) قرية ، وكان بإمكان الجيش العراقي إدامة الحرب وتبديل قواتها ، متفوقاً في ذلك على القوات الكردية التي لم يكن بإمكانها ذلك ، لكونها لا تملك سوى القوات الداخلة في المعركة ، ومع ذلك دامت المقاومة ثلاثة أسابيع ، ونالت الجيش العراقي أضرار بالغة أثناء المقاومة في حين قتل من الطرف الكردي (من قوات الاتحاد الوطني) ما بين (٢٠٠) إلى (٢٥٠) شخصاً أغلبهم من المقاتلين المنظمين (الپيشمرگه) [٢] ، وقيل : إن عدد القتلى والجرحى بلغ قرابة (٦٠٠) شخص [٣] ، وكان القرويون حينئذ يختبئون داخل

---

(١) ينظر : أنفال الكرد وحكومة العراق ، شورش حاجي رسول ، ط ٢ ، مطبعة شفان ، السليمانية ، ص ٨٨ (باللغة الكردية) .

(٢) الپيشمرگه كلمة كردية تعني المضحي أو الفدائي ، وهي تطلق في عرف أهل المنطقة على القوات الكردية المنظمة التي كانت تقاوم كل من يحاول السيطرة على مناطقهم .

(٣)

الكهوف القريبة من ميادين المعركة منتظرين النهاية التي كانوا يأملون أن تكون في صالح البيشمرگه .

وبعد معرفة كبر حجم الحملة الجديدة التي عرفت فيما بعد (بالأنفال) والتي لم يسبق لها مثيل ، أدرك البيشمرگه أنه لم يعد في وسعهم استمرار المقاومة والدفاع ، فاجتمع المسئولون بأعيان المنطقة والقرويين وخيّروهم في تقرير مصيرهم ، وأخبروهم بأن البيشمرگه سيتخلون عن المنطقة مضطرين ، وكررت إذاعة الـ (أوك) السرية هذا الخبر ، وأبدت الملاحظات الصريحة عن المخاطر التي ستواجه المدنيين في حال استمرار المقاومة ، وخيرت أهل المنطقة بين اللجوء إلى إيران أو الاستسلام والذهاب إلى السليمانية ، أو أي مكان آخر يرونه مناسباً لهم .

ومع أن الجيش كان يحكم الطوق على أطراف وادي جافايتي إلا أنه لم يتمكن من إحكام قبضته على الطرف الشرقي منه المؤدي إلى الحدود الإيرانية ، لذلك استطاعت قوات الـ (أوك) من فتح طريقين وعرين لها سلكتهما في (٢٥) من شباط ١٩٨٨ قاصدة الحدود العراقية الإيرانية ، وفي أوائل آذار بدأت القرى تتساقط الواحدة تلو الأخرى بعد أن حطمت الدبابات والعربات المدرعة الخطوط الدفاعية للاتحاد الوطني ، فشرع سكان القرى بالهروب نحو الحدود الإيرانية في الغالب ، وبعد تركهم قراهم تقدمت فرق الهندسة العسكرية مع الجرافات والبلدوزرات وأزالت تلك القرى البالغ عددها ( ) عن الوجود وطمسوا مصادر المياه ، حتى لا تعود المنطقة ثانية صالحة للعيش والسكنى .

وبدأ البيشمرگه بانسحاب منظم نسبياً ، وتوجه معظمهم جنوباً نحو منطقة گرميان لنشر قواتهم هناك حيث لأنها منطقة تتمتع بسهولها الشاسعة وتلولها الكثيرة ، لكنهم وجدوا الطريق مسدوداً أمامهم بالقوات الحكومية ، فاستداروا شمالاً نحو جبل قنديل الآمن ، على الحدود الإيرانية العراقية ، قرب قصبة حاج عمران الحدودية ، بينما هرب آخرون إلى الأراضي المعشوبة الواقعة على ضفاف بحيرة سد دوكان ، حيث دافعوا لحين نفاد عتادهم ، وأخيراً بدأ الناجون منهم اللجوء إلى إيران ، ومع ذلك فإن

آخرين منهم قد أقاموا معسكراً مؤقتاً في قرية (شاناخسي) إلى أن تعرضوا للضربة الأخيرة بالأسلحة الكيماوية في (٢٢ / ٣ / ١٩٨٨) .

يقول شاهد عيان وهو من پيشمرگه الـ (أوك) المصابين يومئذ : ((في صباح يوم (٢٢ / ٣ / ١٩٨٨) حامت الطائرات الحربية التابعة للسلاح الجوي العراقي ، وأسقطت بالونات على قرية شاناخسي ، وفي نفس اليوم في الساعة الثانية بعد الظهر عادت ست طائرات وألقت قنابلها الكيماوية بين آلاف من الناس أكثرهم يعيشون في الخيام ..)) وأضاف قائلاً : ((أنا بنفسي أصبت بجروح ، وبدأ وجهي يسود وجلدي يؤلمني كثيراً ، ووجدت صعوبة في التنفس ، علماً إنني وجدت آخرين من المصابين أبلغ مني جرحاً لكونهم أقرب مني لموقع الحادث ، حيث أصابوا بجروح وتقرحات خطيرة ، وأورام في الأعضاء التناسلية)) .

وصرح قائد محلي لـ (الأوك) بأن عدد القتلى أثناء تلك الضربة قد بلغ (٢٨) قتيلاً و (٣٠٠) جريحاً معظمهم من عوائل الپيشمرگه [١] ، وقد كانوا يحاولون الدخول إلى الأراضي الإيرانية للتأمين على حياتهم ، إلا أنهم قد أوقفهم البرد والثلوج والطرق الوعرة إلى غير ذلك من المعوقات [٢] .

بعد مذبحة حلبجة التي تعد أبشع كارثة في هذا العصر لم يستطع مركز قيادة (الأوك) استمرار ومداومة المعركة لأسباب عديدة منها :

استعمال الأسلحة الكيماوية [٣] والتي راح ضحيتها آلاف من البشر ، وبذلك أدخلت الحكومة العراقية منتهى الخوف والهلع في قلب كل كردي أينما كان حتى الموالين لها والمقاتلين ضمن صفوفها ، ففي الساعة العاشرة من مساء (١٨ / ٣ /

---

(١) ينظر الملحق رقم ( ) للإطلاع على الهجمات الكيماوية المعروفة في كردستان العراق لسنة ١٩٨٧ و ١٩٨٨ وحسب الترتيب الزمني .

(٢) وسأبين أوضاع ومأساة عوائل الفارين من القرويين في الفصل الثالث من هذا الباب .

(٣) ينظر : أنفال الكرد والدولة العراقية (بالكردية) ، شورش حاجي رسول ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

١٩٨٨) اقتحمت وحدات من الجيش العراقي قرية (سرگلو) وفي اليوم التالي سقطت قرية (برگلو) أيضاً ، وبذلك نفذت عملية الأنفال الأولى حيث سيطرت القوات العراقية على جميع الأهداف المرسومة لها من قبل قيادة الأركان .

وبعد انتهاء العملية أعدت القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية بياناً رسمياً تضمن الحديث عن العملية وتسميتها بالأنفال ، وهذا هو نص البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

ككل الغزاة الطامعين ، اعتمدت قوات خميني الصهيوني على بعض من خانوا الوطن والشعب في المنطقة الشمالية من العراق ممن لفظهم الخيرون من أبناء شعبنا الكردي من بين صفوفهم ، وراحوا يؤدون الخدمة المخزية للأجنبي ، وكان من بين أعمالهم المخزية هذه تسهيل مهمات قوات الغزو في دخول قصبات وقضاء حلبجة الحدودية ضمن السليمانية .

وكتعبير عن إرادة الشعب العراقي العظيم وقواته المسلحة الباسلة ، ومن بين ذلك إرادة الخيرين الوطنيين الشرفاء من أبناء شعبنا الكردي ، وجواباً على خيانة هذا النفر الضال ، قامت قوات جحفل الدفاع الوطني الأول البطل ، وقوات بدر الباسلة ، وقوات القعقاع الباسلة ، وقوات المعتصم الباسلة ، وأفواج الدفاع الوطني الباسلة ، بتنفيذ عملية (الأنفال) بإشراف اللواء الركن سلطان هاشم ، المكلف مؤقتاً بهذه المهمة إضافة إلى واجباته [1] حيث اندفعت قوات لمواجهة مقر التمرد الذي يقوده الخائن جلال الطالباني العميل للنظام الإيراني عدو الكرد والعرب ، وذلك بمنطقة (سرگلو) و (برگلو) و (زيوه) والمناطق الجبلية الوعرة ضمن محافظة السليمانية

---

(١) سلطان هاشم الذي أصبح اللواء هاشم فيما بعد في قيادة القوات العراقية إبان عملية عاصفة الصحراء ، هو الذي تفاوض مع قائد قوات التحالف الجنرال نورمان شوارسكوف على شروط تسليم العراق في (٣ / ٣ / ١٩٩١) وبعد ذلك أصبح وزير الدفاع العراقي ، وبعد سقوط نظام البعث في العراق في (٢٠٠٢) ألقي القبض عليه ولا يزال أسيراً بيد القوات الأمريكية .

أيضاً ، وبعد قتال باسل ثأري مع الخونة ثم بعون الله وبهمة الغيارى من أبناء العراق البواسل عرباً وأكراداً ، تم وفي الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم احتلال مقر التمرد وأسر آمر الوحدة المكلفة بحراسة مقر التمرد وأعداد من الضالين والخونة بعد أن قتل من قتل منهم ملعوناً ، وبعد أن فرّ يجرّ أذيال الخزي والعار من تمكن منهم من هرب ، وإنها البطولة التي لا تدانيها بطولة والإخلاص الذي ما بعده إخلاص ، والجهاد الذي ينال إعجاب الدنيا كل يوم لشعب القائد صدام حسين من العرب والكرد الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الوطن ، وجادوا بالحب والوفاء لقائدهم العظيم ، ورمز انتصارهم ، وعنوان نهضتهم ، ولفظوا من بين صفوفهم كل كافر بنعمة الوطن وباع نفسه للعدو الأجنبي الطامع بأبخس الأثمان .

فالحمد لله على نصره ، وليخسأ الخاسئون .

التوقيع

القيادة العامة للقوات المسلحة

في ١٩ آذار ١٩٨٨ [١]

(١) أذيع نص هذا البيان في وسائل الإعلام العراقية باللغة العربية ومنها إذاعة صوت الجماهير في ١٩ / ٣ / ١٩٨٨ .

المبحث الثاني
عملية الأنفال الثانية
٢٢ آذار ـ ١ نيسان ١٩٨٨

يبدو أن الجيش العراقي كان قبل البدء بعمليات الأنفال قد خطط وعزم على إخلاء المنطقة الشمالية الخارجة عن حدود سيطرتها ، والقضاء على الحركة الكردية التي تسيطر على تلك المناطق نهائياً ، لذلك كان قد هيأ العَدَدَ والعُدَدَ ، وبعد انتصاره الساحق على قوات الپيشمرگه والاستيلاء على معاقلهم في سرگلو وبرگلو وسائر القرى التي تقع ضمن مخطط الأنفال الأولى ، بدأ الجيش العراقي التوجه نحو منطقة قرداغ وجبل زرده لتنفيذ عملية الأنفال الثانية .

ولا يخفى على أحد أن الحكومة العراقية كانت تملك قوة عسكرية هائلة من حيث العدد والعدد ، وكانت تملك فرقاً من الجيش لم تشترك في عملية الأنفال الأولى خلافاً لقوات الپيشمرگه التي لم تكن تداني القوات الحكومية بأي وجه من الوجوه سوى إيمانها بعدالة قضيتها ، والقوات الحكومية بفضل تفوقها العددي وفي نشوة انتصارها في العملية الأولى خاضت العملية الثانية منطلقة من مدينة السليمانية نحو گلزرد ، وقصبة بازيان ، وقرداغ ، وناحية دربنديخان ، ومجمع النصر ، وقصبة عربد ، وتوجهت هذه القوات نحو المحاور التالية :

١ ـ من زَرَيان نحو جولانه وبلكان .

٢ ـ من بيركى نحو كاني سارد وناوتاق .

٣ ـ من زَرْدَ نحو مرتفعات جبل قوبي .

٤ ـ من زَرْدَ نحو چرچڤلا وبكر بايف .

٥ ـ من كلوش نحو باوَخوشين وبَلَكجار .

٦ ـ من دسكرَ نحو ئاوكَلَ .

٧ ـ من دسكَرَ نحو سروچاو وعمرقلا .

٨ ـ من مدينة چمچمال نحو سنگاو [١] .

وفي ٢٢ / ٣ / ١٩٨٨ تحركت القوات العراقية من هذه المواقع نحو أهدافها المذكورة لغرض فرض الحصار على مناطق قرَداغ ذات السلاسل الجبلية الدقيقة والمرتفعة ، ومن ثم القضاء على القوات الكردية الموجودة هناك قتلاً أو أسراً أو تشريداً ، ومرة أخرى بدأت القوات المهاجمة من الجيش العراقي بكل ما بحوزتها من العدد والعتاد تضرب أهدافها المرسومة لها بالمدافع والطائرات والراجمات ، واستعملت تلك القوات هذه المرة الأسلحة الكيماوية بكثافة في عدة قرى مؤهلة بالمدنيين إضافة إلى بعض معاقل البيشمرگه على طول وعرض منطقة قرَداغ [٢] .

والذي دفع قيادة الجيش العراقي إلى اختيار منطقة قرَداغ الممتدة هدفاً لحملة الأنفال الثانية ـ كما يبدو لي ـ هو أن هناك القليل من مناطق كردستان العراق بفتنة وسحر قَرَداغ ، فسلسلة قممها الناتئة المسننة تمتد إلى جنوب الشرق بنحو (٧٠) ميلاً على شكل مستقيم كحافة الشفرة ، ومن ناحية ثانية فإن ميزات جمالها هي التي جعلتها أيضاً غير حصينة ، ولقد اقتضى سحق المقاومة الكردية داخل وادي جافايتي المحاطة بالجبال الشاهقة ثلاثة أسابيع .

وكان قد شارك في سحق المقاومة هناك قرابة سبع وعشرين فرقة عسكرية فضلاً عن عدة أفواج من الدفاع الوطني من الكرد الموالين للحكومة الذين كانت لهم خبرة جيدة بطبيعة المنطقة ، وكان لهم دور بارز في تلك العمليات ، لكن قرداغ كانت بعكس ذلك ، فهي خط رفيع من الجبال محاط بأرض منخفضة وسهلة للتحرك العسكري ، ويتعذر على المقاومين من البيشمرگه الدفاع عنها ، وفي أقصى الجنوب

---

(١) ينظر الخارطة رقم ( ) .

(٢)

من سلسلة جبل قرداغ يقع جبل (زَرْدَه) الشاهق البالغ علوه نحو (٦٠٠٠) قدم ، والذي كان حصناً منيعاً للپيشمرگه ، وخلف جبل زرده إلى الشرق يقع الممر الضيق الذي يوصل الطريق العام من مدينة السليمانية مركز المحافظة ماراً ببلدة دربنديخان وبحيرة دربنديخان التي تحمل نفس اسم البلدة ، وحتى أثناء المرحلة الأولى لعمليات الأنفال كانت الاستخبارات العسكرية العراقية تراقب البحيرة بعين يقظة ، لأنها كانت دائمة التخوف من هجوم مائي تقوم به القوات الإيرانية على السد والمحطة الكهربائية هناك .

وفي الشهور الأولى من سنة ١٩٨٨ م لاحظت الاستخبارات العسكرية العراقية تحركات الحرس الوطني للثورة الإيرانية بحرية داخل وخارج قواة الپيشمرگه الكردية في منطقة قرداغ ، ففي ٢٥ / ١ / ١٩٨٨ كان يبلغ عددهم (٢٠٠) مسلح ، ثم ارتفع هذا العدد في ٦ / ٣ / ١٩٨٨ إلى (٤٠٠) مسلح حسب ما أفادته تقارير الاستخبارات العسكرية والأجهزة الأمنية في محافظة السليمانية [١] .

مع هذا كانت منطقة قرداغ منطقة حيوية بالنسبة لقوات (الأوك) حيث كانت القيادة المركزية تتمركز فيها ، كالمركز الأول الموجود في جبل (قوبي) والمسؤول عن جميع النشاطات في محافظة السليمانية ، فضلاً عن ذلك فقد كان المحور المزدوج لنشاطات الپيشمرگه في قرداغ منذ سنة ١٩٨٣ هو قرية (تكية) وقرية (پلك شار) اللتين كانتا تأويان قوة طوارئ من الحزب الشيوعي العراقي والاتحاد الوطني الكردستاني ، وإلى القرب منهما توجد قرية (سپوسپنان) الكبيرة والتي أنشأ فيها الپيشمرگه مستشفى ميدانياً يقوم بتقديم الخدمات الطبية للمنطقة .

---

(١) هذه المعلومات تم الحصول عليها من خلال سلسلة من الكتب الرسمية الصادرة من مديرية أمن محافظة السليمانية إلى مراكز الأمن في منطقة الحكم الذاتي ، كالكتاب رقم (١٧٥٤) الصادر في ٢٥ / ١ / ١٩٨٨ ، والكتاب رقم (٥٤٧٤) الصادر في ٦ / ٣ / ١٩٨٨ ، والكتاب رقم (٥٨٦٠) الصادر في ٩ / ٣ / ١٩٨٨ ، ينظر : التطهير العرقي في العراق (كردستان) ، مركز منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة الدكتور رزكار .

لهذه الأسباب ولحيوية المنطقة بالنسبة للپيشمرگه وللحكومة العراقية كذلك عينت منطقة قرداغ لتكون مسرحاً للمرحلة الثانية من عمليات الأنفال ، ويبدو أن قوات الپيشمرگه لم تكن على استعداد كافٍ للمقاومة وصد الهجمات العراقية لعدة أسباب منها أن قوات الپيشمرگه المتواجدة في منطقة قرداغ كانت قد شاركت ـ في الغالب ـ في عملية الأنفال الأولى ، وأرهقتهم المعارك طوال الأسابيع الثلاثة ، ولعلهم لم يتوقعوا قدوم معركة أخرى لذلك لم يخططوا لها ، وكانت المعركة التالية مفاجأة لهم ، وكان لاستخدام الأسلحة الكيماوية خلال المرحلة الأولى من عمليات الأنفال تأثير سلبي مباشر على إحباط معنويات الپيشمرگه .

وأفاد تقرير سري يحمل رقم (٦٦٣١) صدر في ١٦ / ٣ / ١٩٨٨ من دائرة أمن السليمانية أن مجموعات من قوات (الأوك) تركت معاقلها في جنوب كردستان خوفاً من هجمات كيماوية أخرى [١] ، لكن مع ذلك قاومت فصائل من قوات الپيشمرگه وخاضت معارك عنيفة ملحقة خسائر مادية وبشرية بقطعات من الجيش العراقي .

ففي (٢٩ / ٣ / ١٩٨٨) هاجمت قوات من مفارز الپيشمرگه على رتل عسكري ضخم كان متوجهاً من چمچمال نحو قصبة سنگاو ، ودارت المعركة بين الطرفين ساعات من النهار ، وكانت القوات الحكومية مدعومة بتغطية جوية من قبل الطائرات الحربية ، والدبابات ، واستطاع الپيشمرگه أن يلحقوا بالجيش خسائر كبيرة ، حيث قتل في المعركة الرائد فاروق حميد شلال ، قائد كتيبة المدفعية المتجحفلة مع قوات المشاة ، ووقع جثته بيد الپيشمرگه ، لكن مع هذه المقاومة لم يستطع الپيشمرگه صد هجمات القوات الحكومية المتفوقة من ناحية العدد والعدة ، فسيطرت القوات العراقية على معاقل الپيشمرگه مرحلة مرحلة ، وسقطت القرى بيد الجيش

---

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق (كردستان) ، مركز منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة الدكتور رزكار ، مصدر سابق ، ص ١٩٩ .

قرية قرية ، فأزالها الجيش عن الوجود ، وجعلها أثراً بعد عين حتى لا تعود صالحة للسكنى .

أما بالنسبة للأهالي فبعد تعرض قراهم للقصف فقد لاذوا بالفرار تاركين وراءهم كل ما يملكونه ، وأصبحت منحدرات التلال والوديان تعج بالناس الذين يعمهم الخوف والهلع خاصة بعد أن نشرت بينهم أخبار قصف قرية سيونان بالغازات السامة التي أدت إلى موت وجرح المئات من أهل القرية [1] .

وبدأت الهجرة الجماعية بشكل رئيسي نحو شمال قرداغ آملين أن يصلوا إلى التجمعات السكنية قرب السليمانية ، لكنهم فوجئوا في منحدرات جبل (گله زرده) بأعداد من الجنود وقوات الطوارئ ورجال الأمن ، وكانت طائرات الهليوكوبتر تحوم فوق رؤوسهم ، والدبابات تطلق نيرانها ، ووصف أحد الناجين من قرية جعفران التي تعرضت للقصف الكيماوي الوضع بأنه كان يشبه (القدر المغلي على النار) ووصف آخرون الوضع بأنه أشبه شيء بيوم القيامة ، حيث بلغ الخوف والجوع والهلع منتهاه ، وهلكت الأنفس والأموال والثمرات ، وكان المصير غامضاً في نظر الأهالي ، ولم يكونوا يعرفون ما سيواجههم من قبل الجيش ، فكان بعض قطعات الجيش يخلو الطريق أمام المدنيين ليذهبوا حيث يشاءون ، في حين كانت قوات أمن السليمانية تقوم بحملات التفتيش وتعقيب الأهالي واعتقالهم ، ثم بدأت السلطات الحكومية بتهيئة مجمعات وقتية لمن أسلم أنفسهم وتوجهوا صوب السليمانية ، هذا بالنسبة لمن توجه نحو شمال قرداغ ، أما الذين توجهوا صوب جنوب گرميان ، فقد اختفوا ولم يشاهدوا مرة أخرى ! [2] .

---

(١) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ضد الكرد ، إعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا عزيز ، السليمانية ٢٠٠٣ ، ص ١٧٢ .

(٢) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ضد الكرد ، إعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا ، المصدر السابق ص ١٧٢ .

أما تفاصيل ما يتعلق بأوضاع المهجرين فسأبينها في الفصل الثالث من هذا البـاب إن شاء الله .

وفـي (٢ / ٤ / ١٩٨٨) أصدرت قيادة القوات المسلحة للجيش العراقي بلاغاً عسكرياً هــذا نصه :

سرية ـ فورية	وقت الإنشاء ويومه
١٧٠٠	١ / ٤ / ١٩٨٨

من قيادة عملية الأنفال إلى رئاسة أركان الجيش و ، ذ ، ج ـ ق ق / ٥٠ ـ ق ـ ق ـ ح د وطنـي / ٣ ـ آمرية قاطع قرداغ ـ أمن محافظة السليمانية .

رقم المنشأ أنفال ٢ / ١٣٣٨ / بعون الله تعالى وبعزيمة الأبطال من أبنـاء العـراق الغيارى تمكنت قيادة عمليات الأنفال الثانية [1] والقطعات الملحقة بها من قيـادة فـق / ٥٠ بقيادة العميد الركن زهير يونس علي ، وقيادة جـج د وطـني / ١ بقيـادة العميـد الركن سعد شمس الدين ، وآمرية القوات الأولى ، وآمرية جج د وطني / ٣ ، وآمريـة قاطع قرداغ ، وقوة طوارئ أمن السليمانية ، وأفواج الدفاع الـوطني الشـجعان ، مـن تنفيذ عملية الأنفال الثانية ، وبتطهير كامل منطقة قرداغ من دنس عملاء إيران الخونة بسحقهم وتدمير معداتهم في تكية ، وبلكجار ، وميولي ، وباني مورد ، وجـورجَكلا ، وبلكان ، ودربند فقيرة ، وقرداغ ، وأوكلا ، وجعفـران ، وباوخوشـين ، وسـيونان ، واحتلال كل من المناطق زرده ، وكلوش ، وبيركي ، وكلاو جمعة ، وبخشي ، ومضـيق باصره ، وسكرمة ، وقوبيان قرداغ ، وأجاغ ، وأجداغ ، وبذلك يكون قد تم القضـاء نهائياً على أولئك العملاء الخونة في هذه المنطقة ، وتم الاستيلاء على عدد من المعـدات

---

(١) لم يرد ترقيم عملية الأنفال الأولى في البيان الأول لقيادة القوات المسلحة العراقيـة ، إلا أن هـذا البيان يسمي عمليات أنفال قرداغ بالأنفال الثانية ، فعلم من هذا بأن عمليات وادي جافايتي هي الأولى .

والعجلات والأسلحة والمواد الغذائية ، فالحمد لله على نصره ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

اللواء الركن

أياد خليل زكي

قائد عملية الأنفال الثانية

١ / ٤ / ١٩٨٨ [١]

(١) أنفال الكرد وحكومة العراق ، شورش حاجي رسول ، المصدر السابق ، ص ١٢٧-١٢٨ .

المبحث الثالث
عملية الأنفال الثالثة ـ منطقة گرميان
٧ نيسان ـ ٢٠ نيسان ١٩٨٨

حدود هجمات عملية الأنفال الثالثة كانت كالتالي : كركوك ، وطوز خرماتو ، وكفري ، وكلار ، ودربنديخان ، وسلسلة جبال قرداغ ، وتكية ، وچمچمال ، وقره هنجير ، وكانت نقاط انطلاق الوحدات العسكرية المعدة للقيام بتنفيذ عملية الأنفال الثالثة نحو أهدافها كالتالي :

١ ـ من طوز خرماتو نحو باش تپه ، وآوسپى .
٢ ـ من كفري نحو أومَر بل ، وعزيز قادر .
٣ ـ من كفري نحو دراجي .
٤ ـ من كلار نحو تلَكو ، وگلجو .
٥ ـ من پيباز نحو شيخ طويل .
٦ ـ من بونگل نحو بكر باپف .
٧ ـ من دربنديخان نحو دوزن .
٨ ـ من جبل قرداغ نحو تپ كروس .
٩ ـ من قادر كرم نحو إبراهيم غلام .
١٠ ـ من قرداغ نحو دوزنه .
١١ ـ من قَرَ حسن نحو هنارَ ومحمود پريزاد .
١٢ ـ من ليلان نحو تازَشار .
١٣ ـ من سنگاو نحو سرقلا .

واختارت القيادة العراقية منطقة گرميان هـدفاً لحملـة الأنفـال الثالثـة ، وعمليـة الأنفال الثالثة تختلف تماماً عن العمليتين السابقتين من حيث طبيعة المنطقة ونوع المقاومة وكيفية معاملة الحكومة مع الأسرى المدنيين .

فمنطقة گرميان هي عبارة عن مناطق سهلية واسعة تتميز بتلالها المتناثرة ، وتقع في الطرف الجنوبي من المنطقة التي تتكلم بالكرمانجية الجنوبية (اللهجة السـورانية) الـتي يتكلم بها معظم أكراد العراق ، وهي تحادد المناطق العربية في العراق ، ولسهولة المنطقة بسبب انكشافها وعدم صلاحيتها للمقاومة والمواجهة لم تكن هناك مقاومـة تـذكر مـن قبل المقاتلين الكرد مـن أهـل المنطقـة ، فضـلاً عـن أن الپيشـمرگه كـانوا قـد فقـدوا معنوياتهم جراء العمليتين السابقتين بعد أن أفرغوا كل طاقتهم هناك ، فكانـت عمليـة الأنفال الثالثة بمثابة كسح ومسح وإزالة للقرى والأرياف ، وتحطيم وهدم للبنية التحتية للكرد ، وكان هذا الشيء مستهدفاً منذ حين من قبل الحكومة في المناطق التابعة لمحافظة كركوك ومركز المحافظة نفسها ، بغية تقليل نسبة السكان الكرد هناك وتغليب العنصر العربي فيها .

تهيأت القوات العراقية لحملة الأنفال الثالثة (گرميان) بينما شرع ما تبقـى مـن الپيشمرگه في نهاية الأسبوع الأول من شهر نيسان من العام ١٩٨٨ بالانسحاب مـن مناطق عمليتي الأنفال الأولى والثانية والالتحاق بقواعد (الأوك) الموجود في گرميان ، وكان قسم من القرويين المشردين من عملية الأنفـال الثانيـة قـد توجهـوا هـاربين نحـو منطقة گرميان كذلك ، وكانت قرى گرميان تعج بالجنود الكـرد الهـاربين والمـتخلفين عن الالتحاق بالخدمة العسـكرية أثنـاء الحـرب العراقيـة الإيرانيـة ، وكانـت القـوات الكردية هناك تتألف من بعض مقاتلي المركز الثاني لــ (الأوك) وبعـض الهـاربين مـن الخدمة العسكرية ، فضلاً عن بعض أبناء المنطقة من القرويين المزارعين ، وهذه المجموعة من المقاتلين لا تكاد تذكر أمام القوات العراقية المتكونة مـن الجـيش النظـامي وقـوات الأمن وأفواج الدفاع الوطني المتكونة مـن الكـرد المـوالين للحكومـة ، تلـك القـوات

المسندة بالدبابات والمدعومة بالغطاء الجوي وسائر الأسلحة المتطورة ، ومع هذا كان باستطاعة البيشمرگه عمل القليل للصمود أمام هجمات الجيش العراقي .

كان هذا العمل أكثر من معركة تقليدية على الرغم من كونها من نوع ذي جانب واحد لأكثر من أسبوع ، وقد تم تطويق المنطقة بموجة بعد أخرى من هجمات المشاة والفرق المدرعة والمدفعية والسلاح الجوي ، ولم يغادر الجيش المنطقة إلى أن حققوا جميع أهدافهم ، فلاحقوا القرويين الهاربين وطاردوهم بطائرات الهليوكوبتر إلى الجبال وداخل البلدات والمدن .

ومن الممكن إعادة خطة معركة الجيش العراقي في گرميان بشيء من التفصيل وذلك من خلال سلسلة متعاقبة من ثلاث وثلاثين من برقيات الاستخبارات العسكرية السرية والفورية والتي أعطت ساعة ساعة تفاصيل الأوضاع المستجدة على ساحة العمليات [1] ، أعطت هذه الوثائق سلسلة من تحركات الجيش على شكل كماشة ضخمة على محيط گرميان مطوقة مواقع البيشمرگه ، وموجهة سكان المنطقة من المدنيين الفارّين نحو مراكز التجمع المحددة .

الأنفال الثالثة / خطة الحملة (١) طوز خرماتو :

في الضياء الأول من صباح يوم (٧ / ٤ / ١٩٨٨ م) تحركت وحدات من الجيش النظامي مع عدد من أفواج الدفاع الوطني المتمركزة في طوز خرماتو ، وطوال اليومين التاليين انطلقت قوات أخرى من كركوك ، وليلان ، وچمچمال ، وسنگاو ، والتقت جميعاً ومن مختلف الجهات في بلدة قادر كرم التي تقع في المركز الجغرافي لگرميان ، منطقة عمليات الأنفال الثالثة ، وبسرعة انقسم رتل طوز خرماتو إلى ثلاث قوات توجهت إحداها إلى جنوب شرق بلدة نوجول ، نحو نهر آوسپى ، والقوة الثانية تحركت شرقاً بمحاذاة الوادي الرملي للنهر المذكور ، وقد سبقت هذه القوة بضرب الأهداف المرسومة لها من قبل السلاح الجوي ، وتمكنت تلك القوة بسرعة من مواجهة

---

(١) ينظر : الهامش رقم (٧) من كتاب (جريمة العراق في الإبادة الجماعية ـ حملة الأنفال ضد الكرد) أعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ٤٩٧ .

المقاومة التي أبدتها قوة من المقاتلين التابعين للملبند (المركز) الثاني للاتحاد الوطني في باشتية ، أما القوة الثالثة فقد شنت هجوماً عنيفاً على قاعدة (الأوك) في (تاز شهر) التي تبعد بنحو (١٢) ميلاً عن نهر آوسپى ، وبالرغم من أن قرية (تاز شهر) هي قرية صغيرة تتكون من نحو عشرين أسرة فقط ، إلا أن بعضاً من أبنائها الذين لا يتجاوز عددهم (٢٥) مقاتلاً فقط صمموا على الدفاع عن قريتهم حتى الموت ، وقد حفروا خنادق لهم تحصنوا فيها وتهيئوا للدفاع عن أرضهم ، لكن القوة الثالثة القادمة من طوز خرماتو أتت ومعها الأسلحة الثقيلة والدبابات ، تساعدها الطائرات المقاتلة ، ومع ذلك أبدى أولئك القلة من أهل القرية مقاومة شديدة واستطاعوا الصمود من الساعة الثامنة صباحاً وحتى بعد الظهر من يوم (٩ / ٤ / ١٩٨٨ م) ، وأثناء مقاومة أهل القرية انسحب الجيش مرسلين خلفهم قوة من وراء القرية لتطويقها ماحقين في طريقهم ثلاث قرى هي : كاني قادر العليا ، وكاني قادر السفلى ، وقرية شيخ حامد .

وقال شهود عيان : إن الجيش قد لجأ إلى الأسلحة الكيماوية في تاز شار ، بواسطة السلاح الجوي ، وهم يشاهدون القصف الكيماوي لقرية تاز شار التي علتها كتل من الدخان الأبيض .

وبعد ساعة من القصف دخل الجيش القرية بعد أن قتل جميع المدافعين عنها .

يقول شهود عيان من قرية شيخ حامد : قد راقبنا من بعد الهجوم العسكري على تاز شار وبعد انسحاب الجيش منها نزلنا إليها وقد علمنا أن الجيش استعمل السلاح الكيماوي ، فشاهدنا أعداداً كبيرة من الماعز والأبقار والطيور ميتة هناك .

وبعد معالجة الجيش لتاز شار واصل الرتل تقدمه جنوباً ماحقاً عدداً من القرى الأخرى إلى أن وصل إلى قرية كريم حسام ، وبذلك أعلنت تلك القوة وصولها إلى الضفة الشمالية لنهر آوسپى .. وهكذا تمت الخطة الأولى لحملة الأنفال الثالثة .

الأنفال الثالثة / خطة الحملة (٢) قادر كرم وشمال گرميان :

سبق وأن ذكرت أن عملية الأنفال الثالثة هي عبرة عن مسح وكسح وإزالة للقرى وتجميع للمدنيين في المجمعات القسرية والمعتقلات ، وسوقهم إلى المصير المجهول ، وقد بدا هذا بشكل أوضح في خطة الحملة الثانية في قادر كرم وشمال گرميان ، حيث لم يحدث فيها إلا مقاومة طفيفة ، وفي الوقت نفسه فإن وحدات أخرى من الجيش كانت تواصل حملة مماثلة من الرعب إلى الشمال من قادر كرم تحت إشراف قائد القوات الخاصة العميد بارق عبد الله الحاج عنطة [1] ، وعلم أن الطابور الذي تحرك غرباً تقدم بهدوء ووصل إلى قادر كرم بعد ظهر اليوم المصادف (١٠ / ٤ / ١٩٨٨ م) وفي صباح اليوم التالي انطلق طابور من أفواج الدفاع الوطني من مركز ناحية قادر كرم لمعالجة قرية إبراهيم غلام الواقعة جنوب قرية قادر كرم [2] ففرّ أهل المنطقة ـ كالعادة ـ وتركوا منازلهم ولكنهم وبعد أن فقدوا الأمل رجعوا وسلّموا أنفسهم إلى السلطات ، وفقد منهم بعد ذلك (٥١) شخصاً من (إبراهيم غلام) [3] التابعة

---

(١) العميد بارق عبد الله كان بطل (قادسية صدام) ، ومنحه صدام عدداً من أنواط الشجاعة أثناء الحرب العراقية الإيرانية ، ثم كلف بقيادة عملية الأنفال الثالثة ، ثم شارك في حرب الخليج الثانية في الكويت ، ثم أعدم رمياً بالرصاص حتى الموت ، قيل : لأنه اتهم بمؤامرة ضد الرئيس صدام (كما أفاده حمدي عبد المجيد الكلي في مقابلة معه ـ ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة دكتور رزكار ، ص) ، لكن الصحيح هو أنه أعدم في بغداد بأمر من صدام لأنه لم يسيطر على وحدته العسكرية لدى انسحاب الجيش من الكويت أثناء الحرب ، وانسحب وحده إلى بغداد ، فاتهم بالخيانة وحكم عليه بالإعدام (أخبرني بذلك العقيد المتقاعد سليم أحمد الزاوي وهو من أصدقائه في الجيش) .

(٢) برقية موجهة من استخبارات چمچمال إلى استخبارات المنطقة الشرقية في (١١ / ٤ / ١٩٨٨ م) .

(٣) ذكره مواطن من قرية إبراهيم غلام أثناء مقابلة معه ، ينظر التطهير العرقي في العراق ، ترجمة دكتور رزكار ، ص ٢٢٤ .

لعشيرة زنكنة ، وكان أبناء عشيرتي (الزنكنة والجباري) [1] المتمركزون حول قادر كرم قد تعرضوا لأسوأ حملات السلب والنهب في الأنفال الثالثة في نيسان ١٩٨٨ م .

هذا وقد أزال الطابور العسكري الذي كان يقوم بالعمليات مقرات سنگاو وچمچمال ، ومن ناحية أخرى حاول أهالي بعض قرى الجباري الهروب باتجاه الشمال عند منفذ مؤقت فتحه البيشمرگه على طريق كركوك ـ چمچمال ، وعبروا الشارع ، وتابعهم آخرون من نفس العشيرة ، إلا أنهم فشلوا إذ وجدوا الطريق مغلقاً بسبب تواجد حشود الجيش هناك ، وحاول أهالي قرية (تيبرَز) وهي قرية جبارية صغيرة على الطريق المبلط بمسافة نصف الساعة غرب قادر كرم ، حاولوا الهروب أيضاً لكنهم سمعوا بنبأ توجه الجيش نحوهم على شكل حركة الكماشة من كركوك چمچمال ، وعندما حاولوا الهروب وقت الفجر وقعوا في الكماشة فأخذوا إلى ليلان ـ جنوب كركوك ، وسويت قريتهم في الأرض في الحال ، وواصل الرتل مسيرته نحو قرية (پري زاده) التي تقع على الطريق الرئيسي على بعد نصف ساعة فقط من كل من قادر كرم وكركوك ، وكانت فيها (٢٥) بيتاً ، ولكل بيت ملجأ للاحتماء من القصف ، وعندما وصل الرتل إلى القرية في (١١ / ٤ / ١٩٨٨ م) واجه مقاومة متواضعة من قبل البيشمرگه ، وفرّ أهل القرية نحو الجبال ، وانضموا هناك إلى موجات كبيرة من اللاجئين من قرى جباري ، ربما بلغ تعدادهم مائة ألف شخص ، ووصل إليهم نبأ الهجوم الكيماوي في تازَ شهر في الأيام الماضية ، ففروا وظلّ الرجال في المخابئ لمدة يومين وعاد الأطفال والنساء والعجزة عند الظهر إلى القرية ، وكانت الطائرات تحوم فوقهم إلى أن آل أمرهم جميعاً إلى قبضة الجيش ، فساقوهم إلى چمچمال ، وحرّقت قريتهم وسويت بالأرض ، وكانت القوات المنطلقة من قادر كرم الماضية نحو أهدافها في شمال گرميان مستمرة بتمشيط القرى والأرياف فما بقي أمامها إلا قرى محدودة

---

(١) الزنكنة والجباري من العشائر الكردية المعروفة في منطقة كركوك ، وهناك من أبناء الزنكنة من يسكن في الجانب الإيراني كذلك من الحدود ، ينظر : التطهير العرقي في العراق ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

كقرية (هنارة) التي تقع بعيدةً ، وإلى الشمال صوب چمچمال ، والتي كانت ترتبط عبر طريق جبلي وعر بمقرات (الأوك) في قرية تكية الجباري عندما وصل الرتل إلى هنارة مساءً بعد أن قصفت القرية بالسلاح الجوي صباحاً ، لم يكن فيها أحد إلا قليل من البيشمرگه وقد علموا في الحسبان خطورة الاصطدام مع الجيش ، وقوات الدفاع الوطني من الكرد لم تحدث أي اصطدام بين القوتين ، وناشد القرويون أفراد الحرس الوطني بعدم إحراق القرية فواعدوهم خيراً وشجعوهم على الهروب وعدم الاستسلام للجيش ، حيث كان الجيش بعيداً عن القرية نسبياً ، ففروا بأنفسهم ، بينما أحرقت تلك القوات القرية بعد سلب ونهب جميع ممتلكاتهم ، ولكن مع هذا استفاد أهل القرية بعد ذلك حيث استطاع كثير منهم أن يصل إلى (ليلان) بواسطة الجرارات الزراعية وبوسائل أخرى ، إلا أن (ليلان) هي الأخرى التي تعرضت للقصف طوال الليل حتى الصباح ، فهربوا جميعاً كالجراد المنتشر ، واختفى أكثرهم بين صفوف الكرد الموجودين في مستوطنة (شورش) الجديدة الكبيرة في أطراف قصبة چمچمال ، ونتيجة لهذا كانت معاناة أهل قرية هنارة أخف نسبياً من معاناة العديد من قرى عشيرة جباري ، وكان هناك مستشارون [1] حرضوا القرويين على تسليم أنفسهم إلى الجيش ، ووعدوهم بالعفو الشامل عن أهل منطقة قادر كرم ، فراح ضحية ذلك (٢١) شخصاً من عائلة واحدة في قرية (گولاما) وبالقرب من قرية (بنگول) فقد (٤١) شخصاً من الذين سلموا أنفسهم .. [2] وهكذا يبدو أن طابور قادر كرم الذي انطلق منه قد أنهى واجباته ، وذلك بتدمير جميع القرى التي وقعت ضمن أهدافه [3] .

---

(١) المستشار هنا في اصطلاح الكرد هو قائد الفوج الخفيف المشكل من الكرد الموالين للحكومة ، وهو من الكرد أيضاً .

(٢) هذه المعلومات اقتبست من مقابلات (MEW) مع مواطني قرية هنارة في السليمانية في (٢١ / ٥ و ٢٨ / ٦ / ١٩٩٢ م) ، ومع أشخاص في مجمع زاب الجديدة / أربيل في (٢ / ٥ و ٦ / ٦ / ١٩٩٢) .

(٣)

وأما الرتل المنطلق من سنگاو ومعه عشرون دبابة فتوجه غرباً نحو مقر (الأوك) في وادي (گوله باغ) والذي يقرب أقل من (١٠) أميال إلى الشرق من قصبة قادر كرم ، بعد مقاومة ضعيفة ، ولم يستغرق الوقت أكثر من يوم واحد لسحق المنطقة كلياً ، وسقط ثلاثة من قوات البيشمرگه في قرية (قويتول) وسقط سبعة آخرون في قرية (كاراوي) وتحصن عدد من قوات (الأوك) في قريتي (گوله باغ)السفلى والعليا في (١٠ / ٤ / ١٩٨٨ م) وأوقفوا تقدم الجيش ، لكنهم أدركوا أن المواجهة لا طائل منها فانسحبوا صوب الجنوب [١] في الساعة الثامنة صباحاً في (١١ / ٤ / ١٩٨٨ م) ، فما بقي أمام رتل سنگاو إلا قرى (قوپتاوان ، وگاراوى ، وقوتول ، وگرسنا) المؤلفة من (١٠٠) بيت ، وكان الجنرال بارق نفسه يقود قوات الرتل فسيطر على ما تبقى من هذه القرى التي تقع ضمن هذا المحور ، بعد أن أحرق جميع القرى وطمّس معالمها ، وأيقن أنها لا تعود صالحة للعيش فيها ، وجمع القرويين كلهم ، وأحضر لهم السيارات العسكرية وساق قسماً منهم إلى السليمانية والقسم الآخر إلى كركوك ، وتفيد المصادر إلى أن (١٢٠) شخصاً تم اختفاؤهم من قرية (گرسنا) وقرية (قوتول) بما في ذلك النساء والأطفال [٢] .

الأنفال الثالثة / خطة الحملة (٣) سنگاو وجنوب گرميان :

وفي هذه الحملة كانت عملية الأنفال الثالثة الخاصة بمنطقة گرميان تقترب من نهايتها ، ونهايتها تعني القضاء الكامل على جميع القرى والأرياف ومراكز النواحي التي كانت تسبب القلق للحكومة لقربها وعائديتها لمدينة كركوك الغنية بالنفط .

---

(١) أجرى (MEW) لقاء مع مسؤول سابق في (الأوك) شارك في قتال (گوله باغ) ، واستنبط سقوط (گوله باغ) العليا والسفلى من برقية استخبارات چمچمال العدد (٤٨٨) في (١١ / ٤ / ١٩٨٨ م) .

(٢) استنبطت هذه المعلومات من مقابلة أجراها (MEW) مع أشخاص في السليمانية في (١٢ / ٥ / ١٩٨٨ م) ، ينظر : المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

عندما اندفعت وحدات من الجيش بشكل نظامي جنوباً من ناحية سنگاو نحو قرية (درزونه) القريبة من (آوه سپى) استطاع بعض الپيشمرگه الانسحاب إلى الجهة الشمالية من سنگاو مختبئين في التلال الواقعة خلف طريق كركوك ـ چمچمال ، في حين اندفع آخرون باتجاه معاكس نحو غرب سنگاو ، واستناداً إلى إفادة شهود عيان فقد تم في هذه المنطقة الصغيرة اجتياح وتدمير ما يقرب من نحو (٢٠) قرية بما في ذلك القواعد الصغيرة لـ (الأوك) ، وتفيد المصادر نقلاً عن أهل المنطقة الناجين من تلك العمليات أن أعداداً كبيرة من الناس قد اختفوا خلال تنفيذ خطة الحملة (٣) .

أما مركز ناحية سنگاو فقد كان مدمراً ومهجوراً من السكان قبل حملات الأنفال هذه وذلك بسبب حملات (١٩٨٧) التي شنتها الحكومة على المنطقة من الطرف الأقصى من جنوب گرميان الذي يتاخم منطقة ديالى ، بدأ الرتل الأول من القوات تحركه من قصبة كفري في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم (٩ / ٤ / ١٩٨٨ م) ، وفي نفس الوقت غادرت أرتال أخرى قواعدها من (كلار وپيباز وبونكالي) وكانت مهمتها القيام بحركة تطويق كبيرة من عدة جهات وتنفيذ عمليات اعتقال جماعية لكل المدنيين الذين يلقون القبض عليهم ، وتدمير قراهم ، وكذلك حصر وتوجيه الپيشمرگه الناجين نحو المناطق الضيقة التي لا مهرب منها ، ومع ذلك فإن الخطوة الأولى كانت محق معاقل (الأوك) المعروفة .

كان الهدف الأول للفيلق الأول ولرتل كفري الذي قاده العميد سامي هو قرية (أومربل) التابعة لعشيرة أومربل [1] حيث توجد قاعدة لـ (الأوك) منذ عدة سنوات ، وقد تعرضت هذه القرية لهجمات قوية قبل هذه الهجمة في السنوات المنصرمة ، إلا أن قوات الپيشمرگه كانت تتمكن من صدها ، فكان الجيش يتقهقر ويترك خلفه بعض الأسلحة الثقيلة .. وصلت قوة العميد سامي إلى (أومربل) منتصف النهار ، وواجهت في الحال مقاومة عنيفة من قبل الپيشمرگه ، الذي

---

(١) مقابلات (HRW / ME) مع سكان سابقين لواراني ، مجمع بنصلاوه ، والسليمانية في (١٩ / ٤ / ١٩٩٢ م) وفي (١٢ / ٥ / ١٩٩٢ م) .

استخدموا الأسلحة الثقيلة التي كانوا قد استولوا عليها من الجيش سابقاً [1] ودامت المعركة يومين كاملين ، فأرسل قائد الجيش وحدات متقدمة وقاموا بعملية الالتفاف ، وهدموا القرى المتاخمة لقرية أومربل فأصبحت القرية محاطة من جميع الجهات ، فعلم البيشمرگه أن أية مقاومة لا تجدي ، فقرروا الانسحاب من القرية بعد غروب الشمس من اليوم الثاني بعد الحصار والمقاومة ، وكان المدنيون من سكان القرية قد فروا منها قبل الاصطدام ، لكنهم طوقوا بسرعة وألقي القبض عليهم جميعاً واعتقلوا ، ومن ثم نقلوا بعيداً بواسطة الشاحنات إلى معسكرات خلفية لتصفيتهم .

واصل الرتل الرئيسي تقدمه شمالاً مستولياً على قاعدة أخرى أصغر حجماً لـ (الأوك) في قرية (توكين) ، مسجلاً في تقدمه سلسلة أخرى من تدمير وإحراق قرى تقدر بعشرين قرية في غضون الأسبوع التالي ، ووصل الرتل لغاية نهر (آوسپى) وكان هناك ثمة قرية (آلياتي تازه) التي اتخذت فيها قوة من البيشمرگه مواضع دفاعية ، فوصل إليها الرتل صباح (١٣ / ٤ / ١٩٨٨ م) وطوقت القرية من جميع الجهات بعد أن تمكن البيشمرگه من الانسحاب مع العوائل من القرية ، فتفرقت تلك القوة من البيشمرگه نحو الجبال متحصنة فيها ، بينما توجهت العوائل نحو قرية (ميل قاسم) وهناك ألقي القبض عليهم من قبل الجيش فسيقوا إلى (قلعة فورتو) تحت حراسة مشددة حيث يوجد مقر فرقة مشاة (٢١) للجيش ، فأوقفوا هناك كمرحلة أولية ، وانطلقت قوة مهمات ثانوية بقيادة النقيب (عبد عواد) المنتمي إلى فوج مشاة (٤١٧) نحو قرية (دارجي) التي تبعد عدة أميال عن قرية أومربل لإجلاء سكانها ، وإسكانهم في مخيمات معدة خصيصاً للأسرى المدنيين بالقرب من مقر فرقة الـ (٢١) هذا ما أفاده تقرير الاستخبارات العسكرية لذلك المساء ، وهذا اعتراف رسمي نادر

---

(١) هذا ما أفاده قائد ميداني من (الأوك) كان قد أدار المعركة ، وقد ضمنته تقارير الاستخبارات الميدانية ، ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، منظمة حقوق الإنسان ـ شرق الأوسط ، ص ٥٠١ ، الهامشان ٣١ و ٣٢ .

بتـرحيل واعتقال جماعي للمدنيين ، وإشارة واضحة إلى قلعة قورَتـو [1] ، وبعـد تنفيـذ مهمتها رجعت قوة النقيب (عواد) للالتحاق بالرتـل الرئيسـي ، وفي طريـق رجعتهـا توقفت تلك القوة لإحراق وهدم قريتي (بلخة) الكبرى و (بلخة) الصغرى ، وتفيد المصادر الموثوقة أن عدداً غير قليل من أهالي هاتين القريتين قد اختفوا خلال العملية [2] كانت الأولى لوحدات الجيش التي غادرت (كلار) صـبـاح يـوم (٩ / ٤ / ١٩٨٨ م) تحت إمرة الرائد منذر إبراهيم ياسين ، قريتا (تيكو) العليا والسـفلى ، وفي وقـت مبكر من صباح يوم (١١ / ٤ / ١٩٨٨ م) تم تدمير كلتا القريتين ، وذلك بعد قتال قصير بالأسلحة الخفيفة ، ومرت قوات الرائد منذر بجميع القرى الموجودة في قاطعها ، وباشرت بمسحها عن الوجود ، حتى أن بعض القرى في تلك المنطقة التي يسكنها فرع الروغزاني من عشيرة الجاف التي لا تصل إليها القوات البرية بواسطة العجلات لرداءة الطريق البري ، استخدمت القوات المحمولة جواً بواسطة طائرات الهليوكوبتـر لتدميرها وحرقها ، وبذلك تم إلحاق أكبر الخسائر بعشيرة الجـاف ، كمـا أدلى بهـذه المعلومـات رئيس العشيرة مـحـمود توفيق محمد وهو من مواليد (١٩٢٧ م) وكان يسكن قريـة (باراوه) الواقعة في سهل ضيق من طرف الجنوب الشرقي من گرميان ، وقـد صـرح بأن أبناء عشيرته قرروا أن يتـركوا قراهم ويتوجهـوا نحـو القـوات الحكوميـة لتسـليم أنفسهم ، وتصورنا بأن الحكومة هو (أب الشعب) ونحن مجرد مزارعين فقراء ولم تكن لنا أية علاقة مع أي حزب سياسي ، ومع هذا عملت الحكومة ما عملـت .. وأضـاف

---

(١) برقية مـــن استخبارات كلار إلى مركز استخبارات المنطقة الشرقية ، العدد (١٠٤٦٨) فـي (١١ / ٤ / ١٩٨٨) ينظر : التطهير العرقي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ ، هامش ٣٥ .

(٢) مقابلات (MEW) مجمع الصمود في (٢٠ / ٥ / ١٩٨٨ م) المصدر السـابق ، ص ٢٣٧ الهامش ٣٦ .

ابنه قائلاً : حينما ذهبنا إليهم اعتقلتنا الحكومة ، ونهبوا كل شيء ، ومن ثم انفلتنا ولم تبقَ لنا شيء . وفقد محمود أثناء العملية (٣٧) فرداً من عائلته [١] .

وبحسب تقارير استخبارات الجيش وصلت قوات مهمات كلار إلى قرية (كولجو) في الساعة الحادية عشر وعشر دقائق من صباح يوم (١٣ / ٤ / ١٩٨٨ م) وقبل وصول القوات إلى هناك بكاملها جوبهت بمقاومة خفيفة وقصيرة ، وتفيد إحدى البرقيات العسكرية بسحق المقاومة وتدمير القرية [٢] .

وبعد أن تم تدمير قرية (كولجو) واصلت القوات هجماتها نحو شمال كولجو يتبعها رتل من الجرافات والشاحنات الفارغة ، ووصلوا إلى قرية (هواره برزه) وهي أيضاً مسجلة في تقرير الاستخبارات اليومي بأنها أحرقت ومحقت [٣] وهجرت القرية الصغيرة التالية المسماة (كونه كوتر) عند وصول الجيش إليها ، ولكن الأهالي اصطدموا بدورية عسكرية أمرتهم بالتوجه نحو (ملسوره) حيث التجمع البدائي هناك ، ووعدهم ضابط عسكري أن لا ينالهم سوء من قبل الحكومة ، ولكن كما يبدو أنه اختفي منهم (٣٤) شخصاً ، وأختفي (١٥) شخصاً أيضاً من القرية القريبة إليها وهي قرية (تپه گروس) وكان أكثرهم من الأطفال [٤] .

---

(١) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ١٩٧ ، مقابلة (HRW / ME) مجمع الصمود (٢٠ / ٥ / ١٩٩٢ م) وينظر : ص (٥٠٢) الهامش (٣٨) من نفس المصدر .

(٢) البرقية المرقمة (١٠٦٨٧) من استخبارات كلار إلى مركز استخبارات المنطقة الشرقية (١٣ / ٤ / ١٩٨٨ م) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ٥٠٢ ، الهامش (٣٩) .

(٣) سجل الجيش الوقت الدقيق لإحراق (هواره برزه) بالساعة (٥ر٢٧) بعد الظهر في (١٧ / ٤ / ١٩٨٨ م) البرقية المرقمة (١١١٨٠) من استخبارات كلار إلى مركز المنطقة الشرقية (١٩ / ٤ / ١٩٨٨ م) .

(٤) مقابلات (HRW / ME) مجمع الصمود (٢٠ / ٥ / ١٩٩٢ م) ، ينظر : جريمة الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ٥٠٢ ، الهامش (٤٣) .

وفي (١٥ / ٤ / ١٩٨٨ م) وفي جوٍ ماطر غزير وصلت قوات رتل (كلار) إلى الطرف الأقصى في شمال عملياتهم مقتحمة وضارمة النار في قرية (گوليجان) القريبة من نهر (آوسپى) [١] .

أمضى القرويون المرحلون يومين في (ملسوره) وناموا في العراء ، ووصل أعدادهم إلى أرقام خيالية ، ويصف أحد الرجال من قرية (كونه كوتر) والذي وصل إلى (ملسورة) مع عائلته بسلام قائلاً : كان ذلك اليوم كيوم القيامة ، في اليوم الثالث أمر الجنود المرحلين بالتحرك حيث أن السيارات والشاحنات متهيئة لنقلهم إلى قلعة (قورتو) حيث مقر قيادة فرقة المشاة (٢١) للجيش العراقي ، المعد خصيصاً ، الذي نصب بموجب أمر قيادة الاستخبارات مكتب تنظيم الشمال ، العائد لحزب البعث في (١٥) آذار تحت إشراف الاستخبارات [٢] .

ففي يوم (١٨) أو (١٩) نيسان (١٩٨٨) أي بعد عشرة أيام من بداية عملية الأنفال الثالثة كانت أرتال كفري وكلار قد أتمت مهماتها وسحقت جميع أنواع المقاومة التي جرت بين طريق كفري وكلار العام ، ونهر آوسپى ، ومن مسافة قليلة إلى الشرق استطاعت القوات المختصة لمعالجة قريتي (پيباز وپونكالى) تعد برقيات مماثلة حول انتصاراتهم ، وطلبت قوات پيباز بأمر المقدم (محمد ناظم حسن) يومين إضافيين لإخضاع قوات (الأوك) في قريتي (صوفي رحيم وعلي سمان) ، وبعد مقاومة ومناوشات ضعيفة وبعد تسوية (١٤) قرية أخرى مع الأرض وطمس معالمها عادت تلك القوات إلى قواعدها من حيث بدأت ، كانت هناك عوائق أكثر أمام القوات العاملة خارج (پونگال) تلك القرية التي كانت على بعد ثمانية أميال جنوب سد دربنديخان الهام ، وفي يومها الأول واجهت القوة مقاومة عنيفة من لدن وحدة من قوات (الأوك) تدافع عن قرية شيخ طويل التي كانت مسرحاً لمعركة شرسة جرت

---

(١) نفس المصدر السابق ، الهامش (٤٣) .

(٢) رسالة قيادة مكتب الشمال المرقمة (٢٩٧) في (١٥ / ٣ / ١٩٨٨) ، نفس المصدر السابق ، ص ٥٠٢ ، الهامش (٤٥) .

قبل أيام قليلة ، جرح القائد العسكري المقدم سلمان عبد المحسن من فوج الكومانـدوز التابع للفرقة (٢١) في تبادل مبكر للنيران ، وبالتالي انفرطت سلسلة القيادة بدونه ، ونتيجة لذلك انعزل جزء من الجيش ، وتوقفوا عن الحركة بفعل نيران قوات (الأوك) ثم تقهقرت البقية مسافة ميلين ، وطلبت تعزيـزات مـن الفرقـة (٢١) مـن قورتـو ، وبالرغم مـن وجود الغطـاء الجـوي ومسـاندة الـدبابات وطائـــرات الهليوكـوبـتـــر القاذفة للصواريخ ، ووجود المدفعية الثقيلة إلا أن الجيش احتاج إلى يومين كاملين لقهر (٥٠) مقاتلاً من (الأوك) في (شيخ طويل) ، وبعد الاستيلاء عليهـا أعلـم القائـد الجديد للقوة الرائد سالم مقر القيادة بأنه قد تم الاستيلاء على قريتي شيخ طويل وبستانة كليهما ، وتم تدميرهما ، كما أعلـن في وقتهـا بـأن (٥٣) عائلـة عـادت إلى الصـف الوطني [١] ، وبذلك أصبحت القوات العسكرية حرة للسير إلى مناطق أعمق مهجـورة من قبل سـكانها ، وانسـحبت قـــوات (الأوك) مـع وحـدات أصـغر مـن الحـزب الشيوعي العراقي والحركة الإسلامية إلى متارسها الدفاعية الأخيرة في گرميـان ، وهـي شريط من القواعد بموازات الجانب الغربي من جبل زرده ، علماً أنه قد تم سحق تلـك المنطقة من قبل وذلك خلال عملية الأنفال الثانية ، وكانت في الوقت نفسه مطوقة من جميع الجهات بقوات من الغرب وبالقوات الخاصـة المحمولـة بطائـــرات هليوكوبتـــر ، فكان مـــن المستحيل إبـــداء مقاومة أكـثـــر من ذلك ، وقد سقط آخر قاعدة دفاعية لـ (الأوك) في (زرده) وبسرعة ، واندفع آلاف القرويين إلى قرية (فقي مصـطفى) حيث جمعتهم قوات الجيش ونقلتهم بالشاحنات ، وفي صباح (٢٠) من نيسان عادت قوة المهمات إلى قاعدتها مبلغة بأن جميع أهدافها قد أنجـزت [٢] ، وبهـذا قـد تم تـدمير

---

(١) البرقية المرقمة (١١٧٨٠) و (١٠٩١٥) إلى قيادة الفيلق الثاني وإلى قيادة مكتب الشـمال فـي (١٥ / ١٤ / ١٩٨٨ م) ، ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعيـة حملـة الأنفـال ضـد الكرد ، ترجمة : جمال ميرزا ، ص ٢٠١ ، و ٥٠٢ .

(٢) البرقية المرقمة (١١٣٨٦) من استخبارات الفيلق الثاني إلى قيـادة مكتـب الشـمال وأجهـزة أخرى ، (٢١ / ٤ / ١٩٨٨ م .

منطقة گرميان وإزالتها ، وتم تخليتها من السكان ، ويبدو من خلال المصادر والمواجهات الشخصية أن منطقة گرميان لم تخلُ من عناصر الپيشمرگه ، وقد تحصن بعض المفارز في المنطقة إلى حين انتفاضة (١٩٩١ م) بعد دخول الجيش العراقي الكويت . [١]

(١) ينظر : عاصفة السموم والأنفال ، عبد الله كريم محمود ، ط ١ ، السليمانية ، ج ١ ، ص ٣٩٢-٤٢٢ .

المبحث الرابع
عملية الأنفال الرابعة ـ وادي الزاب الأسفل
٣ أيار ـ ٨ أيار ١٩٨٨

حدود هجمات عملية الأنفال الرابعة كانت كالتالي : كركوك ، آلتون كوبري ، ديگله ، كويه (كويسنجق) ، خلكان ، دوكان ، سورداش ، تكية ، چمچمال .

وانطلقت القوات الحكومية نحو أهدافها المرسومة لها ضمن وادي الزاب الأسفل كالتالي :

١ ـ من چمچمال نحو كاني عربان ، وتلثان ، وتيزه ، ، ومحمد خان .

٢ ـ من چمچمال نحو شيخ پالوان ، توَكل ، وآغجلر .

٣ ـ من چمچمال نحو ئاغجلر ، گوپتبه ، گلناغاج ، سرچنار .

٤ ـ من چمچمال نحو بگرش ، فقي ميرزا .

٦ ـ من طقطق نحو قرناو كپنك ، قسروك ، كردخبر ، كانى هنجير إبراهيم آغا .

٧ ـ من طقطق نحو شيوسور ، تركمان ، باخ ، كاريز .

٨ ـ من طقطق نحو كونه گرك ، باغ جنير وگرمك ، تكلتو .

٩ ـ من طقطق نحو مخرس ، ملازياد ، دم زي ، گومشين ، قزلو .

١٠ ـ من كوپال نحو سرچاو ، كاني بي گوره دي .

١١ ـ من سوسي نحو شيلخان ، عودالان ، زرزي ، قوج بلاغ .

١٢ ـ من سوسي نحو سردو درّنار ، چومى سورڤاوشان .
١٣ ـ من دوكان نحو كلكه سماق ، ئيللا ، كاني سور ، عكيسه ، بوگد ، كاني بي .
١٤ ـ من كويسنجق نحو بامورتاكان ، شوگيّر ، باجوان ، ناصر آغا .
١٥ ـ من كويسنجق نحو بناري ، حاجي قلا ، فولك داوود آوا .
١٦ ـ من كويسنجق نحو قيسري ، ئاسكي كويى ، تيماروك ، دوندار .
١٧ ـ من ناحية شوان نحو چولحان ، پاپيلان ، گورگان ، قتار .
١٨ ـ من ناحية شوان نحو علي بيان ، شوگيّر (شيخ ميزيّنى السفلى) .
١٩ ـ من آلتون كوبري نحو طلوزى ، سربير ، قره سالم ، كاولسوار .
٢٠ ـ من قره هنجير نحو شواني سر خاسر ، دلو . [١] .

هكذا طوق الجيش العراقي منطقة الزاب الأسفل التي هي منطقة عمليات الأنفال الرابعة .

عقب الهجوم الكيماوي على منطقة گرميان أدركت القوات الكردية المسلحة (الپيشمرگه) الموجودة هناك أنه لا جدوى من أية مقاومة إضافية لذلك اجتمعت قيادتها العسكرية في قرية (تيلكو) قبل إحراقها من قبل الجيش العراقي أثناء عمليات الأنفال الثالثة وقررت تنظيم انسحابها ، فانسحب الپيشمرگه أول الأمر إلى قرية مسوي برگج (في ناحية سنگاو) وبعد ذلك وفي الخامس عشر من نيسان انقسموا إلى ثلاثة أرتال ، على أن يأخذ كل رتل مسؤولية سلامة أعداد كبيرة من العوائل على عاتقه ، فتوجه رتلان منهم نحو منطقة ريدار (شوان) شمال غرب چمچمال ، أما الرتل الثالث الذي كانت قيادة الملبند الأول تقوده فقد أخذ طريقه إلى قرية (عسكر) الواقعة على بعد عدة أميال في جنوب الزاب الأسفل ، الذي كان مرصعاً بقرى ومراكز النواحي الكردية مثل آغجلر ، وطقطق ، وشوان ، ومراكز سكانية أخرى

(١) ينظر : عاصفة السموم والأنفال ، عبد الله كريم محمد ، ط ١ ، ص ١٨–١٩ ، وأنفال الكرد ودولة العراق ، شورش حاجي رسول ، طبعة السليمانية ، ص ١٠٤ .

ذات أهمية محلية كبلدة عسكر وكوپتپه ، واستهدفت هذه المواقع في ذلك الوقت كجزء من عمليات الأنفال الرابعة ، وامتدت العملية إلى الشمال والشرق ليصل إلى حد غربي شاطئ بحيرة دوكان والمرتفعات البارزة الأخيرة لجبال قرداغ .

وهكذا يظهر أن قوات الپيشمرگه قد تخلت عن منطقة گرميان ، وقد دمرت بكاملها ، وأعطوا خسائر بشرية من بعض المقاتلين وكثير من المدنيين العزل ، مما تسبب في فقدانهم لمعنوياتهم تماماً . وفي المقابل كانت معنويات الجيش العراقي عند بدء عملية الأنفال الرابعة قد بلغت مستوى قلما وصلت إليه قبل ذلك وذلك بسبب انتصاراته المتلاحقة على الپيشمرگه ، تلك الانتصارات التي تزامنت مع انتصارات أخرى حققها الجيش العراقي على القوات الإيرانية في شبه جزيرة الفاو التي كان الإيرانيون قد احتلوها فاستردها الجيش العراقي بعد أن حملوا الإيرانيين عشرة آلاف قتيل ، تلك الانتصارات التي مهّد السبيل لهزيمة الجيش الإيراني النهائية .[1] .

أولاً : حملة كوپتپه وعسكر :

كانت كوپتپه في الواقع بلدة صغيرة أكثر من أن تكون قرية ، فقد كانت تضم ما يقارب (٣٠٠ ـ ٥٠٠) أسرة ، وكان فيها مستوصف ومدرسة ومسجدان ، وكانت الحقول الواسعة تحيط بها ، وبالقرب منها تقع قرية عسكر التي تبعد عنها نحو ساعة مشياً ، ويبدو أن قرية عسكر كانت الهدف الأول لعمليات الأنفال الرابعة ، ولعل سبب ذلك هو أن الملبند (المركز) الأول للأوك حاول أن يقيم فيها قاعدته الجديدة بعد انسحابه من گرميان قبل الهجوم البري على قصبة كوپتپه وعسكر في عصر الثالث من أيار من سنة ١٩٨٨ م ، حيث حلقت تشكيلة من طائرات الـ (ميگ) الروسية الصنع وعلى ارتفاع منخفض فوق قرية عسكر ، وبعدها سمعت أصوات ثمانية انفجارات مكبوتة متبوعة بأعمدة من الدخان الأبيض ، تفوح منه رائحة النعناع

---

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق (كردستان) ، إعداد مركز مراقبة حقوق الإنسان / قسم الشرق ، ترجمة د. رزكار .

الصافية ثم انتشر الدخان على القرية والمناطق المحيطة بها ، وحينما انقشع الدخان وجد تسعة من سكان القرية صرعى ، فاندفع أفراد من البيشمرگه بسرعة نحو مكان الحادث لتقديم الإسعافات الأولية للمصابين ممن تعرضوا للغازات السامة ، وذلك بزرق الإبر من الإتروبين [1] .

ويبدو أن قصبة كوپتپه هي الأخرى قصفت بالأسلحة الكيماوية في نفس الوقت الذي قصفت فيه قرية عسكر ، كما يبدو من الإفادات التي أدلى بها القرويون ، منهم عبد القادر عبد الله الذي تعرض للهجوم الكيماوي حينئذ ، يقول عبد القادر : لم تكن قرية عسكر ترى من كوپتپه رغم قربها منها لوجود حواجز طبيعية بينهما ، كما لم أكن منتبهاً حينما وقع بصري إلى الأعلى شاهدت الطائرات تقترب نحو كوپتپه ، ولم أكن أهتم بادئ ذي بدء ، لأننا قاسينا الكثير من القصف بالقنابل ، واعتقدت بأن الأمر سيكون كما في الماضي ، ولكن لما بدأت القنابل تنهمر وانفجرت ، كانت الأصوات تختلف عن المرات السابقة ، بحيث لم يكن الصوت عالياً كما في الماضي ، وشاهدت الدخان يتصاعد أولاً بلون أبيض ، ثم تحول إلى اللون الرمادي ، وبدأت بالهروب بعيداً ، ولكن الرياح الهابة من جنوب الشرق دفع الدخان نحوي ، فعدوت نحو خمسين متراً ، وبعدها سقطت على الأرض ، وكان الدخان تفوح منه رائحة شبيهة برائحة عود الثقاب حينما يشتعل ، ثم أغمي عليّ [2] .

---

(١) مقابلات (HRW / ME) مع سكان سابقين لقرية عسكر وحيدر بك المجاورة لعسكر .. ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية (حملة الأنفال ضد الكرد) ، منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا ، الهامش رقم (٩) ص ٥٠٨ ، وينظر : أنفال الكرد ودولة العراق ، شورش حاجي رسول ، ط ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) عبد الله عبد القادر : عائلته مشهورة في كردستان ، وكان أبو عبد الله رئيساً لعشيرة سايوكا ، وكان يملك (٦٠) قرية في مرتفعات حول آغجلر ، ثم حجزت قراه سوى سبعة قرى من قبل الحكومة العراقية بموجب قوانين الاصلاح الزراعي المعمولة بها في العراق زمن حكومة البعث ، ثم وزعت قراه على أبنائه ، فأعطيت كوپتپه لعبد القادر ، واستلم أخوه قرية عسكر ، وإليها ينسب

وذكرت نسرين ـ وهي زوجة عبد اللطيف بن عبد القادر ـ أن القنابل قد سقطت في تمام الساعة (٤٥ / ٥) بعد الظهر ، وأن عدد الطائرات بلغ أربعاً ، بالرغم من أن بعض القرويين قالوا إنها كانت ست طائرات ، وأضاف آخرون بأن تشكيلة أخرى منها مؤلفة من ست طائرات أسقطت قنابلها فيما بعد .

ووصف نسرين أن الدخان كان أحمر اللون ، ثم تحول إلى اللون الأزرق تفوح منه رائحة الثوم ، ولكن يبدو أن نسرين أنقذت نفسها وأطفالها وركضت نحو النهر حيث بللت قطعاً من المناديل ووضعتها على وجهها وأوجه أطفالها ، حيث كانت قد سمعت من قوات البيشمرگه أن مثل هذه الإجراءات البسيطة مفيدة ، ويوجد الآن تمثال بسيط فوق قمة التل الأخضر تعبيراً لإحياء ذكرى الذين قتلوا في الهجوم الكيماوي في كوپتپه .

ويقول الناجون : إنهم دفنوا (٣٠٠) شخص [١] ، وقتل بعض هؤلاء داخل منازلهم ، والبعض الآخر في حقولهم حيث كانوا يعملون ، وقد دفنوا في نفس الليلة بواسطة جرافة حفرت حفرة عميقة أمام المسجد ، بينما دفن الجيش جثثاً أخرى طمروها بطبقة خفيفة من التراب بعد أن دمر المشاة قرية گوپتپه ببضعة أيام كما صرح بذلك ضابط من الجيش العراقي ، وقال : لم يكن عندنا الوقت الكافي للقيام بأكثر من ذلك [٢] .

أما بالنسبة للسكان العزل من أهل القرية ، فقد ذكر القرويون أنه في أعقاب الهجوم الكيماوي على كوپتپه ارتفع منسوب مياه نهر الزاب الأسفل بسرعة ، وقد رأوا في ذلك وسيلة يقوم بها النظام في مستهل الحملات ، وذلك بفتح البوابات المقامة على سد دوكان لاعتراض أية محاولة للهروب عبر النهر ، وقد تبعثر الناجون من

العضو القيادي المعروف في الأوك والقريب من جلال الطالباني علي عسكري ، ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، ص .

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، ص ٢٧٥–٢٧٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

كوپتپه وعسكر وحيدر بك في جميع الاتجاهات ، ففرّ البعض جنوباً باتجاه چمچمال محاولة منه للوصول إلى مجمعي تكية وباينجان الواقعين على الطريق الرئيسي المؤدي إلى السليمانية ، وتوجه آخرون نحو الغرب باستخدام الطريق الخلفي والمسالك الضيقة بمحاذاة النهر نحو المنطقة التي كانت تسكنها عشيرة شيخ بزيني ، بينما ألقي القبض على أكثر من (٥٠) عائلة من عسكر وجرى اعتقالهم صبيحة يوم (٤ / ٥ / ١٩٨٨) من قبل الجيش ، وتم نقلهم في الشاحنات إلى معسكر سوسي .

أما عبد القادر عبد الله الذي أغمي عليه بسبب إصابته بالضربة الكيماوية ، فقد نقله ابنه عبد اللطيف إلى القرية المجاورة (ماماليسي) التي تبعد عن كوپتپه نحو خمسة أميال ، ولم يفق من غيبوبته إلا في اليوم التالي ، ووصل إلى قرية ماماليسي الزحف البري ، فما وجدوا إلا والحريق ينشب في الجانب الآخر من القرية ، فما كان منه وابنه إلا أن يختبئا في ملجأ مقاوم للغازات ، فاختبئا فيه لمدة ثلاثة أيام ، ولكن الملجأ تعرض لقصف المدفعية فخرجا ، فوجدا قرب الملجأ أربع حاملات مدرعة مع عدد من الجنود معهم سيارة إيفا عسكرية ، استسلم الرجل العجوز مع ابنه عبد اللطيف ، فاقتيدا إلى مكان بعيد عن المعركة ، بينما هربت نسرين زوجة عبد اللطيف مع سبعة من أطفالها بعيداً عن القرية والتجأوا إلى كهف ، ومعهم ثلاثون لاجئاً من كوپتپه وعشرون آخرون من ماماليسي ، ولكن عند بزوغ فجر يوم (٤ / ٥ / ١٩٨٨ م) وفي الساعة الخامسة تماماً خرجوا من الكهف فشاهدوا طائرات هليوكوبتر تحوم على ارتفاع منخفض فوق الوادي ، وكان معهم بعض الشباب ولديهم نواظير ميدانية راقبوا بواسطتها في هدوء الجنود وهم يدخلون كوپتپه ذلك الصباح ، ويشرعون في إحراقها مع قرية عسكر ، وعند رؤيتهم لذلك شرعت نسرين بالهروب مع أطفالها إلى داخل تلال بعيدة لمدة عشرة أيام ، ثم واصلت سيرها إلى أن وصلت إلى مجمع تكية بأمان ،

ولكن كنتها الأخرى فاطمة وقعت في يد الجنود وأسروها ، ولم يعرف عنها شيء فيما بعد [1] .

وهكذا لم نجد خلال حملة كوپتپه وعسكر أية مقاومة ، بل كانت المعركة تدار من طرف واحد ، وبالأسلحة الكيماوية ، وكانت حصيلة القتلى في هذا الهجوم أكبر حصيلة ، سوى حصيلة الهجوم الكيماوي على حلبجة قبل ذلك بسبعة أسابيع .

ثانياً : حملة طقطق :

يبدو أن الجيش العراقي استعمل في الحملة الرابعة من عمليات الأنفال أسلوب التطويق ، كما سبق وأن استعمله في حملات الأنفال الثالثة في گرميان ، وذلك بمهاجمته من عدة اتجاهات وفي وقت واحد ، كما يبدو من خلال قصاصات من تقارير ميدانية مكتوبة بخط اليد قد كتبها الفريق سلطان هاشم [2] الذي كان حينئذ قائد الفيلق الأول ، وتشير القصاصات بأن أرتالاً من الجنود هاجموا وادي الزاب الأسفل عند الضياء الأول من يوم (٤ / ٥ / ١٩٨٨ م) وذلك بعد اثنتي عشرة ساعة من ضرب قرية عسكر وقصبة كوپتپه بالقنابل الكيماوية ، قام البعض بعمليات خارج مدينة كويسنجق والأخرى عبرت نهر الزاب وقطعت الطريق عبر المناطق التي يسكنها عشيرة شيخ بزيني ، ووقعت هناك مقاومة رمزية فقط باستثناء موقعين قاوم البيشمرگه فيهما حتى تمكنوا من شل حركة القوات الحكومية بفعل نيران أسلحتهم الثقيلة وذلك في صباح يوم (٤ / ٥) ، وأبلغ قائد الفيلق الأول سلطان هاشم عن وجود مقاومة عنيفة على جبل تاكلتو الواقع على بعد ميلين شمال غربي طقطق ، ثم ركزت القوات الحكومية هجماتها على جبل تاكلتو ووجهت ضرباتها العنيفة بشتى الأسلحة الثقيلة [3]

---

(١) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية حملة الأنفال ضد الكرد ، إعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، الهامشان ١١-١٢ ، ص ٥٠٨ .

(٢) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا عزيز ، ص ٢٣٧ .

(٣) نفس المصدر السابق .

وتمكنت من السيطرة على الجبل بعد أن اضطرت قوات البيشمرگه إلى الانسحاب تاركين جثثهم في أرض المعركة ، كما واجهت قوات أخرى مهاجمة مقاومة شديدة في قرية (تلو) في الساعة (٤٠ / ٧) قبل ظهر نفس اليوم ، وهكذا واصلت القوات الأخرى مسيرتها في ساحات عملياتها ووصلت إلى قرية (سورقاوشان) واصطدمت بقوة أخرى من البيشمرگه تبلغ عددها خمساً وعشرين مقاتلاً ، وذلك في الساعة التاسعة قبل الظهر ، ولكن تلك القوة انسحبت بسرعة فاستطاع المهاجمون أن يحرقوا قرية عوالان ، وكلباش ، وذلك بعد سحق المقاومة هناك في العاشرة إلا ربعاً قبل الظهر ، كما أحرقوا قرية تلان أيضاً بعد سحق المقاومة المؤلفة من أربع مجموعات تتكون كل منها من عشرة مقاتلين من البيشمرگه ، حتى أن سلطان هاشم طلب قوات إضافية ، وقد تم نقل أكثر من (٧٠٠) مقاتل من قوات الأمن المحمولة جواً بالهليوكوبترات من مدينة السليمانية [١] ، وعلى أية حال كان وادي چمى ريزان هادئاً في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم الرابع من أيار ، ولكن في اليوم السادس منه عبّرت القوات نهر الزاب من قرية كومَشين ، وفي غضون اليومين التاليين تحركت وحدات الجيش شمالاً بمحاذات شاطئ بحيرة دوكان محرقة كل شيء في طريقها .

كانت النتائج مدمرة للسكان المدنيين بموازاة جانبي نهر الزاب الأسفل ، فالذين كانوا في الشمال من النهر كان نصيبهم من الضربات أكبر نظراً لوجود فرص قليلة للهرب ، وقد نظمت قائمة بأسماء (١٦٨٠) شخصاً فقدوا في ست قرى كبيرة هي : كليسه ، وبوكرد ، وكانبي ، وقيزلو ، وكاني هنجير ، وكومشين ، بينما وصل الكثير من سكان قرى الضفة الغربية الجنوبية لنهر الزاب الأسفل إلى داخل المجمعات لحين الأمان ، ومع ذلك كانت الخسائر كبيرة ، فقد اختفى (٥٠٠) شخص من گوپتپه وحدها ، إضافة إلى مئات أخرى لم يبقَ لهم أثر من قرى : گلينجاغ ، وگردخبر ، وجليمورت ، وقسروك ، وقاميشه [٢] ودمرت (٧٥) قرية تابعة لناحية

---

(١) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، المصدر السابق .

(٢) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، الهامش رقم (١٥) ، ص ٢٧٦ .

آغجلر أثناء هذه العمليات ، و (٢٤) قرية في مركز ناحية كويسنجق ، و (٥٢) قرية في ناحية طقطق ، و (٦١) قرية في ناحية ريدار [١] .

ثالثاً : حملة شوان :

في الوقت الذي كانت القوات الحكومة تقوم بتدمير قرى منطقة طقطق ومسحها ، وإخلائها من السكان ، كانت وحدات أخرى من الجيش وبمساعدة من الأفواج الوطنية المشكلة من قوات كردية موالية للحكومة تقوم بهجوم مماثل على منطقة شوان (بلدة ريدار) الواقعة على مسافة قريبة غرب الزاب الأسفل ، وكانت بلدة شوان نفسها قد دمرت في أيلول (١٩٨٧) ، كما تم محق العديد من قراها التي تقع ضمن نطاق إدارتها والتي تبلغ نحو (٧٠) قرية إبان حملة (تطهير) قامت بها الحكومة العراقية خلال سنة (١٩٨٧) وحمل سكانها إلى مجمعي (دارتو) و (بنصلاوة) اللذين أنشأتهما الحكومة في وقت سابق لتلك المهمة في الضواحي الجنوبية لمدينة أربيل .

إن حوض نهر الزاب الأسفل يتسع وينفتح على المنطقة السهلة بين كركوك وأربيل ، وبرغم وجود بعض التلال الصخرية فيه إلا أنه لا يصلح لإجراء حرب العصابات فيها ، ومع ذلك فقد قاومت مجموعات من قوات (الأوك) ودافعت عن منطقة شوان لعدة أيام ، قبل انسحابهم منها .

وكانت أكثر قرى منطقة شوان تقع نسبياً في أراضٍ منخفضة قليلاً ، قريباً من الطريق العام ، وكانت المنطقة معرضة دائماً لهجمات الجيش العراقي قبل عام (١٩٨٧) وكانت المنطقة في أغلب الأحيان واقعة تحت سيطرة البيشمرگه ، فدمرت المنطقة بقراها عدة مرات ، ولكن بعد حملة ربيع عام (١٩٨٧ م) أعاد العديد من الفارين من الخدمة العسكرية الإلزامية خلال الحرب العراقية الإيرانية بناء قراهم في المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة ، وكانت أعداد كبيرة من المواطنين قد لجأت إلى

---

(١) ينظر جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا عزيز ، الهامش رقم (٢٤) ، ص ٥١٠ .

تلك القرى ، فعلى سبيل المثال كانت قرية (ديلو) الشوانية تتكون من (٨٠) داراً مبنية من الطين والحجر ، وأكثر سكانها من الرجال كانوا يلجأون إلى حمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم عندما تحاول السلطات الحكومية إلقاء القبض عليهم ، وبذلك عد هؤلاء من قوات البيشمرگه ، وفي صبح يوم (٥ / ٥ / ١٩٨٨ م) هاجمتها القوات الحكومية بهجوم صاروخي بواسطة طائرات هليوكوبتر وغيرها كتمهيد لتقدم القوات البرية من قبل جنود قوة ألـ (٧٧) ، فأدى هذا القصف إلى قتل عشرة أنفس من أهل القرية من المسنين والأطفال ، وألقي القبض على (٢٨) قروياً من قبل الجنود ، وبعد ذلك اختفوا ، ولم يعثر على أثر حتى اليوم [١] ولاذ الباقون بالفرار تاركين وراءهم جميع ممتلكاتهم وتحصنوا بالتلال ، واستطاع كثير منهم الاختباء متجنبين عمليات التفتيش التي جرت من قبل قوات الأمن من منزل إلى منزل آخر ، والتي جرت في كركوك وأربيل وضواحيهما ، بحثاً عن الفارين من عمليات الأنفال ، وكان أهالي كثير من قرى شوان محظوظين حيث تمكنوا من الهرب والاختباء عن الأنظار ، وعاشوا في المنخفضات وبين التلول ، وعاش بعضهم داخل الكهوف لمدة (١٢) يوماً دون أن يأكل شيئاً سوى الأعشاب البرية ، وأخيراً تمكن الجوع منهم فأجبروا على الخروج والذهاب إلى بلدة طقطق ، ومن بين تلك القرى قرية (خَلاكوتيا و زگيله ودارامانا) وذلك بفضل قرب منطقة شوان من المجمعات السكنية ومدينتي كركوك وأربيل ، وقد فلت كثير من سكان المنطقة من قبضة الجيش ، وقد حدث ذلك مثلاً في قرية (پالكانه) بعد أن تعرضت للإغارة من قبل القوات النظامية ووحدات الكوماندوز ، تساندهم نيران المدفعية والقصف الجوي ، حيث لاذ أهل القرية بالفرار وتركوا قريتهم ، وعبروا نهر الزاب الأسفل على ألواح الخشب ، وتجنبوا القوات العسكرية ، واستطاعت هذه المجموعة البقاء في الجبال مدة شهرين ، وكذلك أهالي قرية (إيلينجاخ) فقد نجا جميع سكانها تقريباً من العملية العسكرية ، لأن النساء والأطفال

---

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، إعداد منظمة حقوق الإنسان ، ترجمة د. رزكار ، الهامش رقم (٢٤) ، ص ٢٨٨ ، مقابلة أجراها (MEW) في مجمع بنصلاوة في ٧ / ٧ / ١٩٩٢ .

استطاعوا الوصول إلى مدينة طقطق ، بينما هرب الرجال واختبئوا خلف التلال ، وانتقلوا من مكان إلى آخر لحين صدور العفو العام من قبل الحكومة في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) [١] .

وبعد الاستيلاء على جميع القرى التي تقع ضمن قاطع الأنفال الرابعة وحرقها وتسويتها بالأرض ، حتى لا تعود المنطقة صالحة للعيش ثانية ، أبلغت قيادة الفيلق الأول رئاسة أركان الجيش في نهاية اليوم السابع من شهر مايس ١٩٨٨ بأنها تمكنت من إنجاز عملية الأنفال الرابعة ، وبذلك بتهديم وحرق القرى في عموم المنطقة ، وهذا هو نص البلاغ :

سري فورية　　وقت الإنشاء ويومه
٨٠　٧ / ٥ / ١٩٨٨

من / قيادة الفيلق الأول (ش أ د)
إلى / رئاسة أركان الجيش
و ـ ق ع ق ـ فل ١ (ح) ـ فل ٥ ـ م أ س ع ع ـ ح ع فف مع / ١٠ ـ ق ق / ٤٦ ـ ق ق ح ت ـ ق ق جح د وطني / ١ مواقع ـ فل ١
رقم المنشيء // ١٨٠٧ / الأنفال ٤ / (٠)

بعون الله تعالى وعزيمة المقاتلين الأبطال من أبناء العراق الغيارى تمكنت قيادة الفيلق الأول والوحدات الملحقة بها من قيادة قوات نصر بقيادة العميد الركن خالد أحمد إبراهيم ، وقيادة القوات السادسة والأربعون بقيادة العميد الركن علي أحمد محمد صالح ، وقيادة قوات حجفل الدفاع الوطني / ١ بقيادة العميد الركن سعد شمس الدين ، وقيادة حماية النفط بقيادة العميد الركن بارق عبد الله الحاج حنطة ، وآمرية مواقع الفيلق الأول بقيادة العميد الركن علاء محمد طه ، ومفارز طوارئ الأمن في

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، الهامش رقم (٢٦) ، ص ٢٨٩ ،

السليمانية من تنفيذ عملية الأنفال الرابعة ، حيث تم مهاجمة تواجد وتجمعات المخربين التي هربوا إليها بعد تدمير مقراتهم في عمليات الأنفال السابقة ، وقد تقدمت قطعاتنا بأكثر من (١٣) اتجاه ، وسحقت الخونة في كل من : سرقوشان ، وكوك تبه (كوپتپه) وعسكر ، وچم ريزان ، وكليسه ، وبوكرد ، وكوره دى ، وبوكامش ، وكومشين ، وشيوه جان ، وكرمه ساتوكد ، وكنداغاج ، وشيخ بزيني ، ودولاو ، وفقي مير ، وتيه كر ، وسى كردان ، وشوكير ، حيث تم قتل عدد منهم وإلقاء القبض على أعداد أخرى ، وفضّل قسم منهم تسليم أنفسهم مع عدد من النساء والأطفال ، وتم الاستيلاء على أعداد كبيرة من الأسلحة والآليات والمعدات والمواد الغذائية ، والطبية ، والتي زودتهم بها أسيادهم من خارج الحدود ، والعمل جارٍ لتفتيش الغابات والوديان ، وتهديم وحرق القرى في عموم عمليات أنفال الرابعة ، فالحمد لله على نصره إنه نهم المولى ونعم النصير .

موقع
اللواء الركن
قائد الفيلق الأول

المبحث الخامس
عملية الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة
١٥ أيار ـ ٢٦ آب ١٩٨٨

لم تكن هذه العمليات الثلاثة (الخامسة والسادسة والسابعة) من حيث الزمان والمكان منفصلة عن بعض ، ولتداخل هذه العمليات من جهة ، وصلابة المقاومة التي أبداها القوات الكردية من جانب آخر ، وكذلك لكون القيادة المشرفة على هذه العمليات الثلاثة فقد استغرقت من الوقت أكثر من ثلاثة أشهر ، كما أن الباحثين عن عمليات الأنفال تناولوا الحديث عنها في مبحث واحد ، وعليه فقد خصصنا هذا المبحث للحديث عن هذه العمليات الثلاثة .

كانت حدود عمليات الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة كالتالي : كويسنجق ، ديگەلە ، آلتون كوبري ، مدينة أربيل ، شقلاوة ، راواندوز ، چومان ، جبل قنديل ، رانية ، چوار قورنه ، هيزوب ، جبل باواجي .

وانطلقت الوحدات العسكرية من الجيش العراقي نحو أهدافها وحسب الخطة المرسومة لها من قبل هيئة أركان الجيش العراقي من وإلى :

١ ـ من شارع رژيكەريان نحو قرية ورتي .

٢ ـ من جسر حافظ نحو درگلە ، وسران ، وكليته .

٣ ـ من قصبة راوندوز نحو جبل هندرين .

٤ ـ من راوندوز نحو ئاكويان ، وفقيان ، وكسروان .

٥ ـ من شارع راوندوز نحو جبل دوسكات ، وشيروان مزن ، ونهر شميران .

٦ ـ من قصبة حرير نحو سيساو ، وشيخ محموديان ، وجبل هوري .

٧ ـ من قصبة خليفان نحو جبل كورك ، وقمة جونگا .

٨ ـ من قصبة خليفان نحو وادي ئالان .

٩ ـ من قصبة بيتوات نحو شيرى ، وملكان .

١٠ ـ من قصبة بيتوات نحو وادي باليسان .

١١ ـ من قصبة شقلاوة نحو هيران ، ونازنين ، وسولاوك ، وگومه أسبان ، وكيشكه .

١٢ ـ من قصبة شقلاوة نحو هيران ، وسكتان .

١٣ ـ من ديگله نحو علياوه .

١٤ ـ من كويسنجق نحو جبل باواچى ، وگروژ .

١٥ ـ من هيزوپ نحو قاڤا وگرد گوران .

استطاعت القوات العسكرية العراقية أن تجبر القوات الكردية (الپيشمرگه) التابعة للاتحاد الوطني الذي يقوده جلال الطالباني على التقهقر من مقراتهم الرئيسية في وادي جافايتي ـ مسرح عمليات الأنفال الأولى ـ ومن مواقعهم في سلاسل جبال قرداغ ـ منطقة عمليات الأنفال الثانية ـ ومن سهول گرميان الفسيحة ـ منطقة عمليات الأنفال الثالثة ـ ، وكذا من مناطق وادي الزاب الأسفل ـ منطقة عمليات الأنفال الرابعة ـ إلا بعض المفارز القليلة التي كانت تختفي هنا وهناك في سهول گرميان المقفرة طوال عمليات الأنفال وما وراءها [1] . إلا أن البقية الباقية من پيشمرگه الـ (اوك) قد أخذ طريقه للقيام بدفاعه الأخير نحو المعاقل الواقعة إلى الشمال من بحيرة دوكان ، وإلى الجبال الشاهقة والأودية العميقة الضيقة التي تقع جنوب بلدة راوندوز وغرب الحدود الإيرانية ، وأخيراً وفي الأسبوع الثاني من شهر مايس وصلوا إلى جبل كورك حيث ملاذهم الآمن في وادي باليسان ، وكانت قيادة المركز الثالث على يقين تام بأنهم سيواجهون بعمليات أخرى من الأنفال بعدما انتهت عمليات الأنفال الرابعة ، فباشر

---

(١) ينظر : (ئەنفالى كورد وەولەتى عيراق) شورش حاجي رسول ، ط ٢ ، السليمانية ، ٢٠٠٣ ، ص ١١٠-١١١ .

البيشمرگه بجمع المواد الغذائية والأعتدة لإخفائها وتخزينها داخل الكهوف التي يتعذر البلوغ إليها من قبل الجيش العراقي ، تجمع المئات من مقاتلي الاتحاد الوطني حول قريتي : (كاراوان العليا والسفلى) الواقعتين جنوب شرق بلدة راوندوز ، في حين أخذ آخرون منهم مراكزهم في قرى : خلكان ، وآكويان ، وورتي المجاورة ، والجدير بالذكر أن جميع ساكني المنطقة تقريباً قد فروا من ديارهم بعد الهجمات الكيماوية المهلكة في (٢٧ / ٥ / ١٩٨٧ م) [١] باستثناء بعض القرى لأسباب متباينة ، فمثلاً كانت قرية (بله) السفلى بعيدة عن الطريق العام ومحجوبة في ثنايا الجبال ، فآثر أهلها البقاء في قريتهم ، أما قرية وارا فكانت بعيدة إلى حد ما من تواجد البيشمرگه فيها ، وكانت مبنية على الطريق العام المبلط والمؤدي من بلدة خليفان إلى بلدة رانية القريبة من بحيرة دوكان ، فظن أهلها أن قربهم من الخطوط الحكومية سيوفر لهم الأمان ، فآثروا البقاء في قريتهم ، ولكن مع هذا وفي فجر يوم (١٥ / ٥ / ١٩٨٨ م) عندما كان أهل القرية يهيئون أنفسهم لتقديم تحيات العيد فوجئوا بهجوم كيماوي من قبل طائرتين حربيتين ، وفي الحال أدركت أقرب وحدات البيشمرگه بالحادثة ، ووصلوا إلى القرية مع أهالي قرية هرتل وقالوا : قد شاهدنا أربعة أو خمسة أشخاص داخل بستان بجانب قرية وارا المضروبة وهم يعالجون الموت ، وقالوا : بعد مسافة قريبة من ذلك وجدنا ثلاثة أشخاص قتلى في المقبرة ، وقالوا : عندما وصلنا إلى القرية وجدناها غارقة في الفوضى ، وكان الطعام المعد للعيد لا يزال فوق المواقد ، وتم دفن (٣٧) جثة في قبر جماعي خارج القرية .

وبعد أسبوع من قصف قرية وارا وفي وقت مبكر من يوم (٢٣ / ٥ / ١٩٨٨ م) تعرضت كل من قرية باليسان ، وهيران ، ومليكان ، والأودية المحيطة بها ، وقد وصل مفعول الغاز الكيماوي إلى جميع أرجاء الوديان ، وذكر شهود عيان أن معظم قرى أودية شيخ وسان وباليسان المهجورة قد ضربت مباشرة وللمرة الثانية من قبل طائرات (سيخوي) القاصفة السوفيتية الصنع ، واستغرقت الغارة عشرين دقيقة ،

---

(١)

كما تعرضت قرية (بله) للقصف الكيماوي ، فقتل ثلاثة أطفال على الأقل هناك ، كما أبلغ شهود عيان موت شخصين في قرية نازنين جراء هذا القصف الكيماوي ، وأبلغوا عن إسقاط قنابل عنقودية على قرية (سيران) وقصف جبل وشكي بانيشان بواسطة الراجمات واندفاع البخار الثقيل الناتج عنها نحو الأسفل إلى قرية آكويان ، هكذا اعتادت الحكومة العراقية خلال عمليات الأنفال بأن تقصف أهدافها التي تنوي مهاجمتها واحتلالها من قبل القوات البرية ، بواسطة السلاح الجوي وبالمدفعية البعيدة المدى ، وأكثر الأحيان بالأسلحة الكيماوية لإدخال الهلع والرعب والذعر بين سكان المنطقة وبالأخص البيشمرگه منهم ، ليتسنى الهجوم البري من قبل وحدات الجيش بسهولة ، ومسح تلك المنطقة وإحراقها تماماً خلال فترة قياسية من الزمن ، كذلك كان الحال بالنسبة لعمليات الأنفال : الخامسة والسادسة والسابعة ، وكما هو واضح فيما ذكرناه ، وبعد هذه الهجمات المذكورة وغيرها تبعثر المدنيون الباقون إلى التلال المرتفعة ، بينما توجه سكان آكويان إلى ثلاثة اتجاهات :

توجهت مجموعة نحو الحدود الإيرانية ، وكانت الرحلة شاقة جداً حيث أن الحدود كانت تبعد عنهم نحو (٣٥) ميلاً .

وتوجهت مجموعة ثانية مختفية نحو الوديان ، نحو مجمع حاجي آوا الذي بني عام (١٩٨٧ م) عند الحافة الشمالية لبحيرة دوكان ، واستغرقت رحلتهم فترة تتراوح بين ثلاثة إلى أربعة أيام ، وتلاقى مئات اللاجئين في قرية آكويان ، وقرية گاروان ، في قرية گولان ، وبقوا هناك حوالي شهر معتمدين على صدقات أهل المنطقة وتبرعاتهم حيث وجدوا هناك رجلاً قوياً يدعى سوار آغا ، رئيس عشيرة آكو ، وكان يمتلك قوة كبيرة من الرجال ، وأنواع الأسلحة باستثناء الطائرات ، وأقنع سوار آغا الحكومة بأن جميع هؤلاء اللاجئين من أبناء عشيرته ، وهم موالون للحكومة ، ويبدو أن سوار آغا كان يتمتع بمكانة عالية لدى الأوساط الحكومية بفضل ولائه التام للحكومة العراقية ، ثم بفضل ما يملك من الرجال المقاتلين ، وإلا فإن ما فعله سوار آغا فريد من نوعه خلال عمليات الأنفال كلها .. وأخيراً خيّر سوار آغا اللاجئين بين البقاء عنده أو

الذهاب حيث يشاءون ، ففضل بعضهم البقاء عنده ، وفضل آخرون الذهاب إلى مخيمات اللاجئين داخل إيران حيث يوجد أفراد من عوائلهم هناك ، فضمن الآغا حمايتهم أثناء ذهابهم حتى وصلوا بأمان . وقسم آخر منهم ففضل الاستسلام للجيش ، ورحلوا إلى مجمع حاجي آوا ، ويبدو أن الحكومة سمحت لهم بذلك بالرغم من أن ظروف المجمع كانت غير ملائمة ، وكان العيش فيه صعباً جداً لعدم توفر مستلزمات الحياة هناك .

أما المجموعة الثالثة من هاربي قرية آكويان الذين حاولوا الفرار والنجاة في الجبال ، فقد استطاعوا أن يختبئوا لبضعة أيام إلى أن وصل إليهم الخبر بأن القوات الحكومية تتوجه نحوهم للإطباق عليهم ، فتركوا مخبأهم ، وتوجهوا إلى مخبأ آخر يطل على قرية فقيان ، فمكثوا هناك لمدة أربعة أيام أخر إلى أن اقتربت نيران المدفعية منهم إلى حد لم يعد بوسعهم البقاء هناك ، فبدءوا بالسير إلى أن وصلوا إلى قرية (جولميرك) الوقعة تحت سيطرة الحكومة ، فألقي القبض عليهم من قبل قوات الجيش ، وتم تسجيل أسمائهم ، وأرسلوا إلى الموقع العسكري في الـ (سپيلك) وتم إيواؤهم لبضعة أيام ، وكان هناك قبلهم مجموعة من العوائل من قرية (بله) ثم تم فرز الرجال عن النساء والأطفال ، وسيقوا إلى مكان مجهول ، ولم يعثر عليهم بعد وإلى الآن [1] .

أما بالنسبة لمقاومة (الأوك) فقد احتدمت المعارك التي كانت بين المد والجزر لمدة ثلاثة أشهر ، وبالرغم من أن القوات الحكومية التي بدأت بالهجوم البري في (٢٣ / ٥ / ١٩٨٨ م) على أهدافها استطاعت وبسرعة أن تحتل عشرين قرية ، إلا أن الپيشمرگه أحسوا أن التضاريس الأرضية القاسية قد أحبطت هدف الجيش المهاجم ، ولم يستطيع أن يقطع سبل إمداداتهم الرئيسية من وإلى إيران ، وكان بوسعهم أن ينسحبوا إلى إيران متى شاءوا وفي حالة مضايقتهم ، ولذلك لم يستطع الجيش العراقي إحراق وتدمير جميع القرى إلا بعد استعانته بوحدات إضافية من الهندسة العسكرية

---

(١) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، إعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ٢٥١ .

المحمولة جواً ، وفي نهاية عام ١٩٨٨ أي بعد انتهاء عمليات الأنفال وانسحاب البيشمركه من المنطقة إلى إيران ، ولهذا يجد الباحث عن عملية الأنفال الخامسة من خلال البرقيات الميدانية للجيش العراقي وتقاريره أن العملية متسمة بالفوضى وأنها غير حاسمة ، كان هدف الجيش العراقي إزالة (الأوك) ومن ثم التحرك إلى منطقة بادينان والانطلاق نحو الحدود التركية التي كانت تحت سيطرة ونفوذ الحزب الديمقراطي الذي يرأسه مسعود البارزاني ، لكنه استلزم تأجيل هذا الهدف بضعة أشهر أخرى حيث أن المقاومة التي أبدتها قوات الملبند الثالث للاتحاد الوطني الكردستاني كانت أكثر صلابة عما توقعه الجيش العراقي ، ففي الرابع من حزيران واجهت قوات الجيش مقاومة شديدة عندما تقدمت صوب جبل (كورك) ، وعلى كل فإن الأنفال الخامسة لم تحقق نجاحاً عظيماً ، وهذا يظهر بوضوح من تفاصيل عناوين وثائق الأمن بشكل غير اعتيادي [١] .

ومع هذا يبدو أن عملية الأنفال الخامسة قد انتهت اعتباراً من (٢٧) حزيران (١٩٨٨ م) [٢] كتب العميد يونس محمد الذرب معاون قائد الفيلق الخامس إلى رئاسة أركان الجيش العراقي بأنه خطط لعمليات الأنفال السادسة ، وأرسل تلك البرقية المرقمة (١٠٤٩) السرية في (٣٠ مايس ١٩٨٨) ولكن لم تتحقق هذه الخطة لأن رئيس الأركان أمر بتأجيل العملية إلى وقت يكون ملائماً أكثر .

ويبدو أن السبب الرئيسي لقرار تعليق الحملة مؤقتاً هو المقاومة العنيفة والمستميتة لـ (الأوك) حول جبل كورك المرتفع (٧٠٠٠) قدم عند رأس وادي آلان ، وقد يحتمل أن السبب يعود إلى الزيارة التي قام بها زعيم الاتحاد الوطني جلال الطالباني في ذلك الوقت إلى واشنطن ، بالرغم من أن البيشمركه قد أثيروا بهذه الزيارة التي كانت تنظر إليها كتقدم مفاجئ واختراق دبلوماسي ، إلا أنه من الصعب اعتبارها ناجحة لأن

---

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، إعداد مركز مراقبة حقوق الإنسان ، ترجمة د. رزكار ، ص ٣١٢-٣١٣ .

(٢) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، المصدر السابق .

كبار المسؤولين الأمريكيين رفضوا لقاء الطالباني ، إلا أن بعض موظفي الوزارة الخارجية ذوي المستوى المتوسط قابلوه ، وأبلغوه أن سبب رفض مقابلته من قبل كبار المسؤولين هو تحالفه مع الحكومة الإيرانية [1] .

وبعد أن أوقف رئاسة الأركان العملية ـ كما أشرنا إليه قبل قليل ـ تلقى العميد يونس محمد الذرب البرقية المرقمة (٢٥٤٤) والمؤرخة في (٢٥ حزيران ١٩٨٨ م) الصادرة من رئيس أركان الجيش ، ومن خلال هذه البرقية حصل الذرب على الموافقة على بدء عمليات الأنفال من جديد ، ومن الواضح خلال برقية رئيس أركان الجيش إلى الذرب أن رئيس الجمهورية صدام حسين تدخل في المسألة ورأى أنه من المناسب أن يطلع شخصياً على العمليات وعلى ما يجري في ساحات المعركة ، وبدأ العميد يونس محمد الذرب بتنفيذ عمليات الأنفال ، وذلك في حوض وادي باليسان وسماقولي ، وألح رئيس الجمهورية بضرورة ووجوب إتمام عمليات الأنفال في موعد أقصاه بعد عيد الأضحى الذي كان يصادف (٢٥ تموز ١٩٨٨) ، ولكن يبدو أن العملية لم تكمل في وقتها المحدد بل بقي الهجوم متوقفاً ، وبعد الموعد المقرر ببضعة أيام [2] عقد اجتماع في مقر الفيلق الأول في كركوك صباح يوم (٢٩ تموز) حضره معاون رئيس هيئة العمليات ومدير حركات الجيش ، وطبقاً للبرقية السرية العدد (٩٤٣) في (٢٩ / ٧ / ١٩٨٨) أجلت عملية الأنفال السادسة والسابعة إلى أن تتم متطلبات العملية في الوقت الذي كانت الحكومة تصارع تأخير الأنفال السادسة والسابعة لعدة أيام أعطت أحداث المناطق الأخرى البيشمركه أسباباً جديدة للتنبيه ، ففي (١٧ / ٧ / ١٩٨٨) أبلغ الرئيس الإيراني علي خامنائي السكرتير العام للأمم المتحدة خافير بيريز ديكويلار استعداد بلاده لقبول قرار مجلس الأمن (٥٩٨) فانزعج القادة السياسيون الكرد كثيراً ، إذ أن مواقفة إيران على إيقاف الحرب مع العراق هو إخلال بأحد

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز العدد الصادر في ٢٢ حزيران ١٩٨٨ .

(٢) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، إعداد منظمة حقوق الإنسان / شرق الأوسط ، ترجمة جمال ميرزا ، ص ٢٥٥ .

فصول اتفاق طهران الموقع في تشرين الأول عام ١٩٨٦ الذي اشترط على أن أياً من الطرفين لا يحق له عقد اتفاق مع بغداد من جانب واحد ، إلا أنهم لم يستطيعوا فعل أي شيء إزاء هذا التصرف .

وفي (٢٦ / ٧ / ١٩٨٨) .عقد الملبند الثالث اجتماعاً طارئاً وقرر الانسحاب الجزئي من منطقة العمليات ، وقرر على أن أي شخص لا يقدر على القتال عليه أن يأخذ عائلته إلى حيث الأمان في إيران ، وأن تشكيلات البيشمرگه القادرة على القتال سوف تتواجد في الخلف لمضايقة الجيش وحماية المنسحبين ، وعلى الرغم من أن الانسحاب قد بدأ إلا أن القوة الجوية العراقية شنت غارة شرسة بالأسلحة الكيماوية وللمرة الثانية ، وقصفت جميع الوديان الرئيسية : وادي باليسان ، وملكان ، وهيران ، وسماقولي ، وأدى القصف إلى قتل (٣٠) شخصاً في مختلف المواقع كما ذكره أحد المقاتلين الكرد في ذلك المحور .

وفي اليوم التالي بدأ هجوم آخر بالقنابل الكيماوية فترك البيشمرگه مواقعهم الدفاعية ، وانتشروا بغير انتظام ، وواصلت قوات من أفواج الحرس الوطني من الكرد الموالين للحكومة زحفهم وراء الفارين من القرويين إلى وادي سماقولي في (١ / ٨ / ١٩٨٨) وبواسطة مكبرات الصوت ألحوا عليهم لتسليم أنفسهم ، وبعد مرور خمسة أيام سلموا أنفسهم فتم فرزهم حسب الجنس والعمر إلى ثلاثة مجاميع ، وسجلت أسماؤهم وأبلغ الرجال أنه سيتم العفو عنهم ، ولكن بعد وصولهم إلى مجمع (توپزاوا) معسكر الجيش المعروف خارج مدينة كركوك المستخدم لتجمع ضحايا الأنفال [1] .

وفي (٢٦ / ٨ / ١٩٨٨) فجر باقي مقاتلي البيشمرگه في وادي باليسان مقراتهم بالديناميت وهربوا صوب إيران ، وبحلول (٢٨ / ٨ / ١٩٨٨) سيطرت القوات البرية والمحمولة جواً على المنطقة برمتها ، وبذلك انتهى الاتحاد الوطني الكردستاني كقوة مقاتلة ، وأمست المنطقة خاضعة تماماً للحكومة العراقية ، سوى

---

(١) ينظر : التطهير العرقي في العراق ، إعداد مركز مراقبة حقوق الإنسان ، ترجمة د. رزكار ، ص ٣١٦-٣١٧ .

الملبند الثالث الذي ترك خلفه عدة مفارز في منطقة كويسنجق وأربيل وخوشناو ، كما ترك من قبل في العمليات السابقة عـدة مفـارز في گرميـان ومنطقـة الـزاب الأسـفل ، وأصدرت القيادة العامة للجيش العراقي بياناً بانتهاء عمليات الأنفال السابعة .

المبحث السادس
عملية الأنفال الثامنة
خاتمة الأنفال

قبل أن تبدأ الحكومة العراقية بتنفيذ عملية الأنفال الثامنة ـ وهي الأخيرة ـ في منطقة بادينان التابع معظمها إدارياً لمحافظة دهوك ، بدأت بشن هجوم عنيف على منطقة (خواكرك) الواقعة في المثلث العراقي الإيراني التركي ، وذلك بتاريخ (١٩ / ٧ / ١٩٨٨ م) وتعد عملية خواكرك ضمن عمليات الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة ، كما لا تعد أيضاً ضمن عملية الأنفال الثامنة .

خططت الحكومة العراقية لهذا الهجوم قبل بدئها بعمليات الأنفال الأخيرة لقطع طرق الإمدادات العسكرية لمقاتلي الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وكذلك قطع طرق الانسحاب أمامهم إذا ما أرادوا ذلك ، لكن زعيم الحزب مسعود البارزاني هيأ قوة من خيرة رجاله فتصدى وإياهم لهذا الهجوم العنيف ، ودامت المعارك بين الجيش العراقي الذي كان يتمتع بمعنويات عالية لاعتباره نفسه منتصراً في حرب الثماني سنوات ، وبين قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني التي كان يقودها زعيم الحزب بنفسه شعوراً منه بخطورة الموقف ، واستمرت المعارك أكثر من أربعين يوماً بلياليها ، وكان الجيش يحاول بكل قوة أن يسيطر على الموقف ويلحق الهزيمة بالبارزاني وقواته ، ومع أن الجيش استعمل شتى الأسلحة من كيماوية وقنابل عنقودية وغيرها إلا أن تأثير تلك الأسلحة على المقاتلين الكرد كان ضئيلاً لأسباب ، منها : امتلاك المقاتلين الكرد للأقنعة الواقية من الضربات الكيماوية ، وكذلك لوعورة المنطقة وتضاريسها الجبلية القاسية التي كالت دون وقوع خسائر كبيرة في صفوف الكرد ، بينما تمكنت القوات

الكردية من إلحاق خسائر جسيمة بالجيش وقتل أعداد كبيرة منهم ، مما أدى إلى فشل الهجوم ، وإجبار الجيش على التقهقر والرجوع إلى الخلف تاركاً وراءه جثث قتلاه في ساحات المعركة ، وحسمت المعركة لصالح قوات الحزب الديمقراطي ، وبعد انتهاء المعركة ألقي الزعيم مسعود البارزاني كلمة على أتباعه من المقاتلين ذكر فيها أن أيام نظام البعث تقترب من نهايتها ، وأن الحرب العراقية الإيرانية قد أنهكت الاقتصاد العراقي .

وبالرغم من الفشل الذي مني به الجيش العراقي في معارك خواكرك إلا أن القيادة العراقية أصرت على تنفيذ مشروعها الذي يهدف إلى القضاء على الحركة الكردية نهائياً ، وبعد أن تمت عمليات الأنفال السبعة ، وسيطرت القوات الحكومية على جميع مناطق محافظات كركوك والسليمانية وأربيل ، قام الجيش بتنفيذ عمليات الأنفال الأخيرة ـ كما سمتها القيادة العسكرية العراقية [1] ــ وهي الأنفال الثامنة حسب التسلسل ، وكانت القيادة العراقية قد خططت لإزالة جميع مواقع الحزب الديمقراطي في منطقة بادينان ، فألح علي حسن المجيد على الجيش العراقي لاستكمال عملية الأنفال ، وأعلنت قيادة الجيش أن وقف إطلاق النار دخل في حيز التنفيذ حسب شروط العراق منهياً بذلك الحرب مع إيران ، وتحمل الفيلق الخامس المتمركز في أربيل مسؤولية عمليات الأنفال الأخيرة ، وكانت حدود هذه العمليات أكثرها ضمن حدود محافظة دهوك ، وعلى امتداد الحدود العراقية التركية ، وأبدى الجنرال يونس الضارب ـ قائد الفيلق الخامس ـ وجهة نظره عن حملة خاتمة الأنفال ، فكتب يقول : (كانت المعنويات عالية جداً ، وواضحة على وجوه المقاتلين منذ البداية خصوصاً بعد هزيمة العدو الإيراني في جبهات القتال) .

وقبل أن يخوض الجنرال يونس معارك خاتمة الأنفال شعر بأن طبيعة تلك العمليات تختلف كلياً عن طبيعة معارك الأنفال السابقة ، فطبيعة الأرض هناك مرتفعة بصورة عامة ، وهي عبارة عن مرتفعات جبلية ووديان عميقة ، تكثر فيها الأنهار والجداول ،

---

(١)

وهي مغطاة بأشجار كثيفة مما يتطلب التركيز الكمي والنوعي لقوة النيران ، كما يتطلب قوة هندسية عسكرية لربط المناطق بعضها ببعض بواسطة الجسور العسكرية الفورية ، فطلب الجنرال يونس من مكتب الشمال الذي يرأسه علي حسن المجيد ، من هيئة أركان الجيش منحه (٢٠٠) ألف جندي ، فضلاً عن وحدات مدربة على استعمال الأسلحة الكيماوية ، وتسند هذه القوات كتائب المدفعية والدروع من الدبابات والغطاء الجوي من صنوف الطائرات ، ليتمكن له التطويق الكامل على منطقة عملياته الأخيرة وبالسرعة المطلوبة ، لكي لا ينجو من المقاتلين ولا من المدنيين أحد إلى الخارج ، وعليه أن يستخدم القوة الماحقة للعمل بالتحرك من الخارج نحو الداخل من أجل ضمان التطويق ، وإزالة نحو (٣٠٠ ـ ٤٠٠) قرية كردية واقعة ضمن حدود عمليات الأنفال الأخيرة في منطقة بادينان .

في الأيام التي سبقت خاتمة الأنفال كانت هناك علامات واضحة تشير إلى ما سيحدث حيث كانت هناك تحشدات كبيرة للقوات البرية على امتداد الطرق الرئيسية في محافظة دهوك ، وتعرضت المنطقة إلى قصف مدفعي وجوي كثيف ، ولكن يبدو أن القوات الكردية التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني في المنطقة لم يكن لديها برنامج مدروس بصدد الأحداث المتوقعة والتي ظهرت بوادرها ، سوى أن الفرع الأول للحزب والمتواجد في منطقة بادينان أبلغ المواطنين المدنيين في المنطقة بأنهم سيدافعون عن المنطقة ، وأن بإمكانهم صد أي هجوم سيقع من قبل الجيش العراقي ، كما حدث قبل ذلك أكثر من مرة ، وأعلن الفرع الأول بأنه لا مبرر لترك المدنيين قراهم وتخليهم عن مناطقهم ، لكن يبدو أن هذا القرار وتلك التبليغات لم تستند على توجيهات أو أوامر صادرة من قيادة الحزب ، بل الظاهر أنه كان هناك التباس في الأمر أو تكتم ، فقد كانت التوجيهات الصادرة من المكتب السياسي للحزب هو عدم إبداء أية مقاومة لأنها ليست ذات جدوى ، وكان رئيس الحزب السيد مسعود البارزاني قد أعلن شخصياً أنه لا فائدة من المقاومة والأفضل ترك المنطقة واللجوء إلى إيران أو تركيا للحيلولة دون وقوع الخسائر البشرية ، لكن توجيهاته هذه لم تنقل إلى

أهالي المنطقة في الوقت المناسب ، بل الذي أبلغوا به كان على العكس من ذلك تماماً !!

وفي (٢٥ / ٨ / ١٩٨٨ م) حرك جنرال يونس الضارب قواته بكامل صفوفها من الجنود المشاة وكتائب المدفعية والدبابات والفرق الهندسية العسكرية المدعومة بالغطاء الجوي الكامل ، وبدأ وبسرعة مدهشة بفرض الحصار على المنطقة كي لا يفلت أحد من قبضته إلى خارج الحدود ..

وكانت حدود منطقة الأنفال الأخيرة كالتالي : زاخو ، باطوفة ، كانى ماسى ، زيوه ، ديرالوك ، أتروش ، زاويته .

وانطلقت القوات الحكومية نحو أهدافها المرسومة لها سلفاً من وإلى :

١ ـ من زاخو إلى گلناسكى وجبل بيخير .

٢ ـ من زاخو نحو حوض خابور .

٣ ـ من كانى ماسى نحو زيوه وعمادية ورشاڤا .

٤ ـ من بيگوڤا إلى ئيكماله وبامرني وجبل متينا .

٥ ـ من بالندا نحو شمدينان وبيبو وئاتيش .

٦ ـ من شيروان ـ التابعة إدارياً لمحافظة أربيل ـ نحو حوض بارزان .

٧ ـ من دينارته نحو بله وبارزان .

٨ ـ من باطوفه نحو مانگيش (ناحية الدوسكي) وزاويته .

٩ ـ من سرسنك نحو مرگتى وجبل گاره .

١٠ ـ من ناحية أتروش نحو قرية سپيندار وسيدارا .

١١ ـ من سوارتوكا نحو سپيندار وئاتوش .

وفي تنفيذ عمليات الأنفال الأخيرة اشتركت (٣٨) ألوية من المشاة ، ولواءين من الدبابات ، وثلاثة كتائب مدفعية ، (١٧١) فوجاً من أفواج الدفاع الوطني من الكرد الموالين للحكومة ، وأما القوات الكردية المتواجدة في حدود الأنفال الأخيرة (الثامنة) فقد كانت مؤلفة من قوات الفرع الأول للحزب الديمقراطي الكردستاني ،

وقوات المركز الرابع للاتحاد الوطني الكردستاني ، ومجموعات أخرى صغيرة كقوات الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب الله الكردي ، والحركة الإسلامية .. وأفادت تقارير المخابرات العسكرية العراقية أن المجموع الكلي للقوات الكردية في بادينان ـ منطقة عملية الأنفال الأخيرة ـ لا يتجاوز أل ـ (٢٦٠٠) مقاتل ، وفي مواجهة هذه القوة الضعيفة والمدنيين العزل أرسل علي حسن المجيد مدير مكتب الشمال (٢٠٠) ألف جندي ، ضمن تشكيلات (١٤ ـ ١٦) فرقة عسكرية فضلاً عن عشرات الآلاف من رجال أفواج الدفاع الوطني ، وأفواج الأسلحة الكيماوية ، ووحدات القوة الجوية .

وعندما هاجمت القوات البرية من جميع المحاور وحسب الخطة المرسومة لها من قبل القيادة ، في صباح (٢٥ / ٨ / ١٩٨٨ م) حاولت تلك القوات السيطرة على الطرق الرئيسية وسد جميع المنافذ الموصلة إلى الحدود التركية ، وخصوصاً طريق زاخو ـ باطوفة ، وطريق دهوك ـ سرسنك ـ العمادية ـ وادي بالندا ، وتزامن مع هذا الهجوم هجوم طائرات حربية ضمن سلسلة من الغارات ، وتركزت على شريط بلغ طوله (٦٠) ميلاً وعمقه (٢٠) ميلاً ، مع تتابع سريع ، مستعملة خلال هجماتها الأسلحة الكيماوية بشكل واسع لم يسبق له مثيل ، وقد وقع أول هجوم كيماوي على مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني في قرية زيوه القريبة من الحدود التركية في وقت متأخر من مساء (٢٤ / ٨ / ١٩٨٨ م) ومن جراء هذا الهجوم علم أنه قتل عشرة من مقاتلي الحزب .

وفي صباح اليوم التالي (٢٥ / ٨) قصف الطائرات الحربية وبالأسلحة الكيماوية قرى منطقة كانى ماسى وبيگوڤا ومانگيش وزاويته ، وكثيراً من قرى منطقة العمادية ، وشمل هذا القصف قرى برجيني وتويكا وگلناسكى وتلاكرو وورميلي وبازي وبليجان وباني ، ومع هذا فإن أغلب الهجمات الكيماوية وقعت على امتداد سلسلة جبل گاره الممتدة أكثر من (٢٠) ميلاً ، واستهدفت القوة الجوية (١٥ ـ ٣٠) قرية هناك بالأسلحة الكيماوية منها : آڤوكي ، سواري ، سپيندار ، سيدارا .. وهي تابعة لناحية سرسنك ، كما قصفت قرية باوركا گڤرى وميرگتى المجاورتين اللتين

تقعان في ثنايا جبل گاره ، وقصف في الوقت نفسه قرى سرگه وگويزى وشيران في جنوب قصبة العمادية .

وفي صباح يوم (٢٥ / ٨ / ١٩٨٨) غطا القصف الكيماوي جميع نواحي منطقة بادينان تقريباً ، وكانت تلك الهجمات ضربة شاملة وماحقة كما خطط لها نظام البعث لإرعاب المقاتلين المدافعين والمدنيين في المنطقة ، وسقط جراء تلك الهجمات مئات القتلى والجرحى ، ولم يكن بوسع الحزب الديمقراطي الكردستاني إسعاف هذا العدد من الضحايا ، فضلاً عن أن تلك الهجمات أدت إلى حدوث فوضى وإرباك في صفوف الحزب وعدم سيطرتهم على زمام الأمور وبالأخص من الناحية العسكرية ، وترك أكثر المقاتلين مواقعهم بهدف إنقاذ عوائلهم والبحث عن سبل النجاة والهرب نحو الحدود التركية ، والقوة المتبقية والمتبعثرة هنا وهناك لم تستطع فعل أي شيء سوى تدبير معارك دفاعية كان الهدف منها تأخير تقدم الجيش حتى تنجو العوائل بنفسها ، كما حاول المقاتلون المدافعون الصمود في معبر (شيني) الضيق الذي تعرض لغارات جوية كثيفة ، كما دافعوا عن جسر بالوكا ، نقطة العبور الرئيسية على نهر الزاب الأكبر ، فتعرض هو الآخر لأبشع الهجمات الكيماوية ، فتراكمت جيف الحيوانات على جوانب الجسر بسبب القصف الكيماوي .

وتزامناً مع الموجة الأولى من الهجمات سيطر الجيش العراقي على الطريق العام الذي يمتد من بلدة زاخو الحدودية إلى نهر الزاب الأكبر عند قرية بالوكا ، وكانت الغاية كما يبدو هو غلق الحدود التركية ، وإيقاف تدفق اللاجئين نحو تركيا حتى لا تتحول مسألتهم إلى مشكلة دولية ، لكن محاولات الجيش تلك لم تحقق نجاحاً كبيراً ، إذ على الرغم من وفاة أعداد كبيرة منهم وأسر آخرين أثناء محاولة الهروب ، وملاحقة الطائرات الحربية لهم ، استطاع نحو (٦٠ ـ ٨٠) ألف كردي الهرب نحو تركيا واجتياز الحدود ، وأصبح الناس في منطقة عمليات الأنفال الأخيرة ثلاث مجموعات : مجموعة منهم لم يجدوا طريقاً للوصول إلى الحدود لانسداد الطرق أمامهم ، فحاولوا الاختفاء لكنهم وقعوا في الأسر أخيراً وبقي مصيرهم مجهولاً إلى يومنا هذا .

والقسم الأكبر من الذين وجدوا منافذ لهم للعبور قبل سيطرة الجيش على مناطقهم وصلوا مشياً على الأقدام إلى الحدود التركية واجتازوها بعد معاناة كبيرة .

والقسم الثالث من سكان المناطق الجنوبية من بادينان حاولوا اجتياز نهر الزاب الأكبر والطريق العام الممتد من دهوك إلى وادي بالندا ، لكنهم وجدوا جميع الطرق والمنافذ مسدودة أمامهم ومكتظة بالجنود والدبابات فخابت مساعيهم وذبلت آمالهم ، فرجعوا نحو وديان جبل گاره الوعرة ينتظرون الموت أو العفو العام ، يقول بعض الناجين منهم : بينما نحن مختفين في جبل گاره ، وكان عددنا يبلغ حوالي (٤٠) ألف نسمة ، كنا نرى الجيش مع أفواج الحرس الوطني من الكرد الموالين للحكومة يشعلون النيران في القرى والأرياف ، ويهدمون بيوتنا بالجرافات .

وأضاف بعض هؤلاء : وبينما نحن على هذه الحال ، خرجت علينا طائرة استطلاعية صفراء اللون وبارتفاع منخفظ ، ظننا أنها صورت المنطقة ، فازداد بذلك خوفنا ، وتيقنا بأن غارات كيماوية ستعقب هذا الاستطلاع ، فصعدنا نحو قمم گاره ، فاقدين كل أسباب الحياة من ماء وطعام ، سوى ما معنا من الأغنام والمواشي التي كنا نذبحها ونأكل من لحومها ، وكنا بين فترة وأخرى نتصل خفية ـ وبواسطة رجال مسنين ـ بالقوات الحكومية ، نعرض عليهم فكرة استسلامنا لهم ، فكانوا يرفضون ذلك ، قائلين : إن الإعدام رمياً بالرصاص هو مصير كل ذكر يبلغ من العمر (١٥) سنة فما فوق ، حتى وإن استسلم .. فانتظروا !

ويقول أحد الناجين من هذه العمليات : بينما نحن على هذه الحال ننتظر الموت قتلاً أو جوعاً ، سمعنا من إذاعة (مونتيكارلو) في (٥ / ٩ / ١٩٨٨) أن الملك فهد ملك السعودية طلب رسمياً من الرئيس العراقي صدام حسين أن يصدر عفواً عاماً عن الكرد لكونهم مسلمين ومواطنين عراقيين .. غير أننا لم نتأكد من هذا الخبر من أية وسيلة إعلامية أخرى ، وفي اليوم التالي وبعد صلاة الظهر تماماً سمعنا أصوات رشاشات وطلقات نارية مكثفة من قبل الجنود ، إيذاناً منهم بأن عفواً عاماً صدر عن جميع

الكرد ، وابتهاجاً منهم رحمة بحالنا !! وبعد ذلك بدأنا ننزل من قمم الجبل متوجهين نحو قطعات الجيش لنسلم أنفسنا .

ويبدو أن هذا العفو قد أغاظ علي حسن المجيد الذي لقبه الكرد بعلي الكيماوي ، لكنه وكرجل بعثي مخلص نفذ قرار مجلس قيادة الثورة بهذا الصدد [1] ، ثم تبين من تقرير الفيلق الخامس عن الأنفال الأخيرة أن قرار العفو العام قد صدر بسبب قناعة العراق بأنه وبحلول (٦ / ٩ / ١٩٨٨) تم سحق جميع المقاومة الكردية [2] .

والقسم الثالث الأخير من المواطنين الذين سلموا أنفسهم بعد العفو كانوا محظوظين قياساً بغيرهم من الذين سلموا أنفسهم قبل (٦ / ٩) كأهالي قريتي (گويزى وميرگنى) الواقعتين في سفح جبل گاره ، وأهالي قرية (وارَخل) التابعة لمنطقة (نيروه وريكان) هؤلاء الذين سلموا أنفسهم للجيش بعد أن أنهكهم الجوع والعطش ، فسيقوا إلى قصبة العمادية ثم إلى مدينة دهوك ، وهناك تم فرزهم فأخذ الذكور البالغين من العمر (١٥ ـ ٦٠) سنة ولا يزال مصيرهم حتى اليوم مجهولاً .

هذا بالنسبة لمحور العمادية ، أما محور ناحيتي زاويتة والدوسكي ، فقد حاول سكان تلك المنطقة الهروب نحو الحدود التركية ، وذلك باجتياز نهر الخابور والطريق الموصل بين زاخو وبيگوڤا ، وكل من عبر النهر والطريق قبل (٦ / ٩) وصل إلى الحدود التركية ، والذين حاولوا العبور ولم يتمكنوا من ذلك بسبب انسداد المنافذ رجعوا نحو مناطقهم ثانية ، فوقع معظمهم في الأسر ونقلوا إلى بعض المعتقلات في دهوك ، ثم نقلوا إلى معسكر السلامية في الموصل ، وتم الفرز هناك بين الذكور والإناث ، أما الذكور فالظاهر أنهم سيقوا نحو القبور الجماعية ، وأما النساء والأطفال والمسنون فأخذوا إلى سهل (بحركى) قرب مدينة أربيل .

---

(١) وكالة الأنباء العراقية في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) كما نشرت صحيفة الثورة في (٧ / ٩ / ١٩٨٨) ، وملاحظات علي حسن المجيد مأخوذة من شريط مسجل بصوته لاجتماع عقده في (١٥ / ٤ / ١٩٨٩) .

(٢) ينظر : جريمة العراق في الإبادة الجماعية ، ترجمة جمال ميرزا عزيز ، ص ٣٤٦ .

ومعاملة الضباط العراقيين مع الأسرى كانت مختلفة بحسب حال هؤلاء ، فبعضهم كانوا غلاظ القلوب قساة ، لم يملكوا أدنى شفقة أو إنسانية ، معتذرين أنهم إنما يطبقون الأوامر التي تصدر إليهم من أعلى ! وبعضهم كان يملك شيئاً من الرحمة والخوف من الله ، فكانوا يتساهلون مع من يرونهم من الأبرياء ، ويشيرون إليهم بالاختفاء لحين صدور العفو عنهم ، وكان هؤلاء بعملهم هذا يتحملون مسؤولية خطيرة ، ووجد من بين الضباط من نفذ حكم الإعدام في حق الأسرى فور أسرهم وفي مكان الأسر ، وأشهر هذه الحالات ما وقع في قرية (كوريمى) الواقعة في ناحية الدوسكي ، حيث حاول أهلها الهرب نحو الحدود التركية ولما وجدو المنافذ مغلقة رجعوا إلى قريتهم في (٢٨ / ٨ / ١٩٨٨) ليجدوا الجيش وأفواجاً من الحرس الوطني من الكرد الموالين للحكومة في قريتهم ، فرفعوا أيديهم مستسلمين غير أن ضابطاً برتبة ملازم أول في العشرين من العمر أمر الجنود بفصل الرجال عن النساء والأطفال ، فكان عدد الرجال (٣٣) فرداً ، فاتصل هذا الملازم بمرجعه بواسطة الجهاز اللاسلكي ، ثم لم يكن منه إلا أن أمر الجنود بإطلاق النار على مجموعة الرجال فقتل منهم فوراً (٢٨) شخصاً ، ونجا البقية بسبب انحدار مكانهم ، وكان أحد الناجين ممن أصيب في رجله وبقي مطروحاً تحت الجثث حتى أدركه الليل فحاول الهرب ونجا !

ولم تكن حادثة (كوريمى) هي الوحيدة في الإعدامات الجماعية الميدانية ، فقد حدث ما يماثلها لكن في نطاق أضيق في قرية (ميركتى) القريبة من جبل گاره ، حيث كان غالبية سكان القرية قد فروا نحو قمة الجبل ، لكن نحو (١٠٠) قروي تم أسرهم في بيوتهم قبل صدور العفو العام ، فأوقف الجنود (١٢) رجلاً منهم ، واستطاع ضابط يملك شيئاً من الإنسانية إخفاء أربعة منهم بين مجموعة كبيرة من النساء اللواتي أخذن أسرى إلى سرسنك مشياً على الأقدام ، والثمانية الباقين أخذوا إلى قرية (باوركا كعبى) فلما رأى أحد الضباط هؤلاء يساقون أسرى صرخ في وجه الجنود : لماذا جلبتموهم ؟ لماذا لم تنفذوا أوامري ؟ ألم آمركم بقتلهم ؟ أرجعوهم إلى مكان الأسر

ونفذوا فيهم حكم الإعدام هناك . فأمروا بأمره ونفذ فيه حكم الإعدام رمياً بالرصاص [1] .

وبهذا العنف وتلك الشدة استطاع الجيش سحق المقاومة في المنطقة مستخدماً كل ما لديه من الأسلحة الفتاكة والمدمرة والمحرمة دولياً ضد المدنيين العزل من النساء والأطفال والمسنين .

وفي (٦ / ٩ / ١٩٨٨) أعلنت الحكومة العراقية إنهاء عمليات خاتمة الأنفال كما سمتها هي حسب قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (٧٣٦) والمؤرخ في (٦ / ٩ / ١٩٨٨ م) وانسحب پيشمرگه الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى تركيا وإيران مع ما يقارب من (٨٠) ألف نسمة منم المدنيين ، ووقع الآخرون في قبضة الجيش قبل وبعد صدور العفو العام في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) ، وبقي الجيش حتى بعد صدور العفو العام مستمراً على حرق وتدمير القرى والأرياف والبساتين والغابات ، وطمر مصادر المياه ، وجعلوا المنطقة خاوية على عروشها ، أثراً بعد عين ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، ولم تعد المنطقة صالحة للحياة ، فهاجرتها حتى الحيوانات !

---

(١) مقابلة مع

الفصل الثالث
مرحلة ما بعد الأنفال

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :**مرحلة ما قبل التجمعات القسرية**

المبحث الثاني : **مرحلة التجمعات القسرية**

المبحث الثالث : **أوضاع اللاجئين في المجمعات**

المبحث الرابع : **قصص لم يروها التاريخ**

المبحث الأول
مرحلة ما قبل التجمعات القسرية

يختلف وضع المؤنفلين من مرحلة إلى أخرى كما يلمس من خلال دراسة العمليات الثمانية كما أسلفنا ، ففي **عمليات الأنفال الأولى** لم يقع عدد يذكر من المؤنفلين في قبضة الجيش العراقي ، إذ استطاعوا أن يجتازوا الحدود العراقية الإيرانية ، وذلك بإيعاز من الاتحاد الوطني الكردستاني المتواجد في منطقة عمليات الأنفال الأولى ، رغم أن النازحين لاقوا صعوبات هائلة بسبب البرد الشديد والثلوج الهاطلة ، وغيرها كوعورة الطريق ، والجوع المهلك ، فقد مات أعداد كبيرة من الأطفال والعجزة جراء ذلك ، ثم وصلوا إلى القرى والمدن الإيرانية الحدودية ، وبعد ذلك قامت الحكومة الإيرانية بفتح مجمعات سكنية لهم داخل الحدود ، وبعد العفو العام في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) رجع قسم منهم إلى العراق مستفيدين من العفو المذكور إلى حد معين ، إذ رجعوا إلى أرض خاوية بلا ديار ولا مأوى ، وإلى تجمعات قسرية وتحت رقابة شديدة ، يعدون فيها مواطنين من الدرجة الثانية .

أما مؤنفلي **عملية الأنفال الثانية** (أنفال قرداغ والمناطق المحيطة بها) فانقسموا إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وهم الذين وقعوا في قراهم في قبضة القوات العراقية فقد أرسلوا إلى مديرية أمن محافظة السليمانية ، وبعد إجراء تحقيقات روتينية وتسجيل أسمائهم أرسلوا إلى معسكر (توبزاوا) في محافظة كركوك ، حيث توجد قلعة مبنية على طراز هندسة سوفيتية ، بنيت لمثل هذا الهدف [1] تسع لإيواء أكثر من (٢٥٠٠) جندي مع

(١) يذكر أن عشرات من مثل هذه القلاع بنيت في المحافظات الشمالية (كردستان) .

معداتهم الحربية ، ثم أجريَت معهم في القلعة تحقيقات أخرى من قبل الاستخبارات العسكرية وأرسلوا إلى مصير مجهول وفي بعض الحالات أعدم بعض هؤلاء في قراهم بعد أن وقعوا في الأسر ، بسبب وقوع معارك في مناطقهم .

أما القسم الثاني منهم : فقد توجهوا مع المقاتلين الكرد إلى منطقة گرميان (جنوب غرب قرداغ) وأكثر هؤلاء كانوا من عوائل وأقرباء أولئك المقاتلين ، وقد حاول هؤلاء أن يبقوا في المنطقة إلى حين انتهاء المعارك ، أو أن يتسللوا خفية إلى قصبة (كلار) أو مجمع الصمود ، ولكنهم جميعاً تعرضوا لهجمات الأنفال الثالثة وأسروا هناك .

والقسم الثالث : حاول الاختفاء في قمم ووديان الجبال ، ولكن بعد أيام من هذه المحاولة أعلنت دائرة الأمن ومنتسبوا أفواج الدفاع الوطني من الكرد الموالين للحكومة أن هناك عفواً عاماً عن كل من يسلم نفسه ، فانخدع هؤلاء بهذا العفو الكاذب فسلموا أنفسهم ، ووقعوا في الأسر ، وأرسلوا إلى المجمعات القسرية ، ومن ثم إلى مصير مجهول .

أما مؤنفلوا **عمليات الأنفال الثالثة** (أنفال گرميان) فتختلف أوضاعهم المأساوية اختلافاً كلياً عن سائر أوضاع المؤنفلين في العمليات الأخرى ، حيث وقع في الأسر سكان منطقة گرميان ومن فرّ إليهم من أهالي منطقة عمليات الأنفال الثانية أيضاً . وأجري التعامل مع كثير منهم ميدانياً بقسوة شديدة ، وذلك رمياً بالرصاص حتى الموت ، كما تشير لى ذلك معلومات أفادها بعض عناصر الاستخبارات العسكرية العراقية [1] .

واستطاع القسم الآخر أن يصل إلى أماكن قريبة منهم مثل قصبة چمچمال ، وطوزخورماتو ، ومجمع كلار ، ، ومدينة كركوك ، إلا أنه ألقي القبض على بعض منهم من قبل دوائر الأمن والاستخبارات ، بعد البحث عنهم ، والقسم الآخر حاول الهرب مع المقاتلين وذلك بالعبور عن طريق كركوك السليمانية إلى نحو مناطق شوان

(١) ينظر : (ئەنفالی كورد وەوڵەتی عیراق) شورش حاجي رسول ص ١٢٢-١٢٣ .

وشيخ بزيني وقلا سيوكه ، ولكن كثيرين منهم لم يستطعوا أن يجتازوا الشارع ، فرجعوا إلى مناطق قرداغ ، ثم سلموا أنفسهم ، ولم يعرف عنهم وبعد ذلك شيء .

في **الأنفال الرابعة** ألقي القبض على آلاف من الرجال والنساء والأطفال ، ولم يعرف لحد الآن عن مصيرهم شيء ، قسم منهم ـ وكان معضمهم من الذين فرّوا من مناطق گرميان وقرداغ ـ وكانوا من عوائل المقاتلين ، فتوجهوا نحو مناطق بالكان وخوشناو التابعة لمحافظة أربيل ، وأفلتوا أخيراً من قبضة الجيش العراقي .

والقسم الآخر منهم استطاعوا أن يدخلوا خفية في بعض المدن والمجمعات السكنية القريبة من مناطقهم بمساعدة بعض العناصر من منتسبي أفواج الدفاع الوطني ، ولكن ألقي القبض عليهم فيما بعد من قبل دوائر الأمن بعد البحث عنهم ، وبعد إجراء التحقيق معهم اختفوا عن الأنظار وأرسلوا إلى مصير مجهول .

أما السواد الأعظم من المؤنفلين خلال عمليات الأنفال الرابعة فقد ألقي القبض عليهم في قراهم ، حيث قام الجيش بالبحث عنهم قرية قرية ووادياً وادياً ، وبعد أن جمعوهم سلموهم إلى دوائر الأمن التابعة لمناطقهم ، وبعد ذلك أرسلوا إلى معسكر توبزاوا ، ومنه إلى المصير المجهول .

أما المؤنفلون خلال عمليات **الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة** فقد نجوا ولم يقعوا في قبضة الجيش العراقي ، وبالتالي استطاع أكثرهم أن يصلوا إلى الأراضي الإيرانية ، وذلك لشدة المقاومة التي أبداها مقاتلوا الاتحاد الوطني الكردستاني ومن معهم من قوات الأحزاب الكردية الأخرى ، فتأخر وصول القوات العراقية إلى المنطقة ولم يستطع الجيش السيطرة على الوضع بادئ الأمر ، كما بينا ذلك عن ذكر تلك العمليات ، واستطاعت القوات الكردية أن تسيطر على الطرق التي تربط المنطقة بالحدود الإيرانية ، فكان مجال انسحاب العوائل إلى حد ما مضموناً .

والقسم المتبقي من مؤنفلي هذه العمليات فاستطاعوا خلال هذه المدة التي تتراوح بين شهرين إلى ثلاثة أشهر التسلل إلى المدن والمجمعات السكنية القريبة منهم كمدينة راوندوز ولكن معظم هؤلاء ألقي القبض عليهم من قبل دوائر الأمن

والاستخبارات العسكرية ، حيث فرض الجيش العراقي منع التجوال في مدينة راوندوز وذلك في اليوم (١٥ / ٦ / ١٩٨٨) وبدأ بالتفتيش بيتاً بيتاً ، وألقى القبض على المشتبهين بهم ، فأجريت معهم معاملة سائر المؤنفلين من إخفاء وإرسال إلى مصير مجهول ، أو إيواء في المجمعات القسرية المعدة لذلك .

أما بالنسبة لمؤنفلي عملية **الأنفال الثامنة** (عملية خاتمة الأنفال) في دهوك فهم أيضاً أصبحوا ثلاثة مجاميع :

المجموعة الأولى : استطاعوا أن يعبروا الطريق العام ـ طريق زاخو كانى ماسى ـ القريب والموازي للحدود التركية قبل سيطرة الجيش عليه ، وفي بعض الأحيان ربما كان الجيش يغض الطرف عنهم رحمة بهم ، وفي أحيان أخرى ربما شنق المؤنفلون طريقهم عنوة عبر سلسلة من المعارك الخاطفة ، فهؤلاء وصلوا حدود تركيا ، تاركين وراءهم كل ما يملكونه من الأموال من منقولة وغير منقولة ، حتى قطعان المواشي والأغنام وسائر الأمتعة التي هي عصب حياتهم ، فراراً من الموت ، مع ملاحظة أنه سقط منهم ضحايا أثناء السير من العجزة والمرضى والمصابين بالجروح أثناء الضربات الكيماوية ، وتركوا الجثث على قارعة الطريق دون أن يلحقوا أن يدفنوا موتاهم [١] بسبب ملاحقة الجيش إياهم ، أو بسبب الغارات الجوية المكثفة فوقهم .

وبعد وصولهم الحدود التركية أوقفتهم القوات التركية على الحدود ، رافضة دخولهم إلى الأراضي التركية ومحاولة تسليمهم إلى الجيش العراقي .. وأخيراً اقتحم المؤنفلون الحدود لما رأوا الجيش العراقي يقترب منهم ، ففتح الجيش التركي النار عليهم عشوائياً في عدة مواقع فسقط منهم عدة ضحايا ، إلا أن المؤنفلين أصروا على الاقتحام وعبور الحدود ، فنالوا الأمرّين على أيدي الجنود الأتراك ، وأصبح حالهم المأساوي حينئذ حديث الإعلام العالمي المسموع والمقروء ، فاضطرت الحكومة التركية إلى إيوائهم داخل أراضيها قرب الحدود ، واستطاع عدد قليل من الصحفيين الأجانب أن يصل إلى اللاجئين ويطلع على أوضاعهم المأساوية ، بما في ذلك أوضاع الجرحى

---

(١)

المصابين بالضربات الكيماوية ، وأعلن هؤلاء عن استعمال العراق للأسلحة الكيماوية ضد مواطنيه الكرد المدنيين رغم المحاولات الكثيفة من قبل الحكومة التركية الحليفة مع العراق والمعادية للشعب الكردي لإخفاء تلك الأخبار وعدم تسربها إلى الإعلام العالمي .

وقامت الحكومة التركية بتجميع اللاجئين مؤقتاً في عدة مناطق حدودية كمنطقة (گۆرێ) المتاخمة للحدود التركية الإيرانية ، و (سلوپی) المتاخمة للحدود السورية التركية العراقية ، ونال هؤلاء ألواناً من التعذيب النفسي والجسدي من يد القوات التركية ، ولم تقدم السلطات التركية أي معونات لهم علماً أن منطقة (گۆرێ) منطقة ثلجية باردة مما تسبب في تعرض اللاجئين لأقصى درجات البرد ، ونتيجة لذلك مات عدد كبير من الأطفال والعجزة والمسنين ، وفشت فيهم الأمراض القاتلة ، وقام اللاجئون بمظاهرات واحتجاجات صاخبة ، فهاجموا مركزاً للشرطة ، لكن لم تأبه بهم السلطات التركية التي قامت بتطويق المخيم وحشد القوات العسكرية حوله والقبض على عدد من المحتجين وزجهم في السجون لشهور ، لإرغام اللاجئين على العودة إلى العراق ، وأخيراً شعرت الحكومة التركية بخطورة الموقف فقامت بإرسال بعض اللاجئين إلى مجمع في ولاية (موش) ، والبعض الآخر إلى مجمع (قزل تبة) في ولاية ماردين ، والبعض الآخر اختاروا ترك الأراضي التركية فتوجهوا نحو إيران وذلك بعد اليوم (٦ / ١٠ / ١٩٨٨) .

وكانت مدينة سلوبى الحدودية القريبة من مدينة زاخو العراقية أحد أهم مراكز التجمع المؤقت للاجئين ، ونال هؤلاء اللاجئين ما نال لاجئي مخيم (گۆرێ) من التعذيب النفسي والجسدي ، وتعرضوا للجوع والأمراض ، فدب الموت فيهم ، فقاموا هم أيضاً بمظاهرات احتجاج ضد الحكومة التركية لسوء معاملتها وذلك في اليوم (١٣ / ٩ / ١٩٨٨) فسقط منهم عدة ضحايا بين قتيل وجريح ، وحاولت العشائر الكردية الموجودة في المنطقة مناصرة أشقائهم من الكرد العراقيين اللاجئين إلا أن السلطات التركية قامت بصدهم ، ومنعتهم من الوصول إلى المخيم ، واستطاع بعض

الصحفيين الأجانب من التسلل إلى المخيم وتسجيل ما حدث ، فشعرت بهم السلطات التركية فألقت القبض عليهم وسحبت منهم أجهزتهم وكسرتها ، ثم قامت بطردهم من المنطقة .

وعلى أثر تلك الاحتجاجات اضطرت الحكومة التركية إلى نقل اللاجئين من مخيم سلوبى إلى مجمع (قزل تبة) في ماردين ، وقسم من هؤلاء اختاروا الذهاب إلى إيران فقامت الحكومة التركية بنقلهم .

وأخيراً استقر اللاجئون في تركيا في ثلاثة مراكز : في دياربكر ، وماردين ، وموش .. وسيأتي الحديث عن أوضاعهم في المبحث التالي .

والمجموعة الثانية : وقعت في قبضة الجيش العراقي أثناء الهجمات الأولى صباح اليوم (٢٥ / ٩ / ١٩٨٨) والأيام التالية ، وكانت هذه المجموعة الأسوء حظاً من سائر مؤنفلي العملية الثامنة ، إذ عوملوا أبشع معاملة ، وأعدم بعضهم ميدانياً رمياً بالرصاص حتى الموت في موقع أسرهم ، كما حدث ذلك لثلاث وثلاثين رجلاً في قرية (كريّمىّ) ، والبعض الآخر سيقوا من قراهم مشياً على الأقدام إلى مراكز النواحي والمجمعات السكنية الواقعة على الطرق العامة مثل ناحية (بيّكۆڤا) و (باطوفا) و (الدوسكي) ومجمع (ديّرالوّك) و (كانى ماسىّ) ، ثم سيقوا بواسطة السيارات على شكل وجبات إلى قلعة (نزاركىّ) المتاخمة لمركز محافظة دهوك من الجهة الشرقية ، وإلى قلعة (دهوك) المتاخمة لمركز المحافظة من الجهة الغربية على مثلث طريق زاخو دهوك الموصل ، فأجريت معهم تحقيقات شكلية من قبل الاستخبارات العسكرية وقوات الأمن ، وسجلت أسماؤهم وعناوينهم ، وأفرز هناك بين الرجال والنساء ، فزجت النساء والأطفال في الطابق الثاني من القلعة ، وأودع الرجال في الطابق السفلي منها ، وهناك تعرض الرجال لأنواع التعذيب من ضرب بالعصي وخراطيم المياه ، والقتل بالبلوكات ـ الكتل الكونكريتية ـ [1] وبقي الأسرى في القلعة لعدة أيام ، وقد

---

(١) كما فعل ذلك بشخص من قريتنا واسمه حيدر عبد الله حمو ، فقد عذب كثيراً ثم ضرب على رأسه ببلوك فمات في الحال .

بقي بعضهم لمدة أسبوعين ، وكانوا موزعين على زنزانات عامة قذرة وملوثة ببراز الإنسان ، فقد كان الأسرى يقضون حاجتهم في مكان نومهم وأمام أنظار الآخرين ، ولم يقدم لهم خلال تلك الفترة ما يسد رمقهم ، وكان الأسرى يتقاتلون للحصول على جرعة ماء حار ، ومات في القلعة نحو (٢٠) شخصاً جراء هذه المعاملة الوحشية ، وبعد فترة وجيزة بدأت السلطات الحكومية بنقل الأسرى على شكل وجبات متواصلة إلى قصبة السلامية الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة باتجاه الموصل على مسافة عدة أميال .

وبعد وصول الأسرى إلى قصبة السلامية ، جرت عملية تسجيل الأسماء والعناوين من قبل الاستخبارات العسكرية ، وحوّلوا النساء والأطفال إلى معتقلات كبيرة خاصة بهم ، وكان سجن السلامية أفضل نوعاً ما من سجن قلعة دهوك ، حيث قدموا للأسرى وجبات من الطعام يومياً ، وكان الماء متوفراً لديهم حتى للاغتسال ، فضلاً عن ذلك كان بإمكان الأسرى شراء بعض الحاجيات من الحوانيت المتواجدة في السجون ، إلا أنهم كانوا ينامون على الأرض مباشرة دون فراش أو غطاء .

وأكثر ما واجهته النساء من المعاناة في السلامية هو التعذيب النفسي المستمر بسبب عدم معرفتهن شيئاً عن ذويهم من الرجال ، ولكن بعض النساء وجدن هناك عدداً من الرجال معصوبي الأعين ومكبلي الأيدي من الخلف وهم يرتدون اللباس الكردي ، وهذه أول مرة يعرفن بوجود أسرى من الرجال هناك .. وبعد فترة وجيزة من ترحيل الرجال من سجن السلامية نحو المصير المجهول ، سمعت النساء أصوات إطلاقات نارية ، فأخبرن من قبل حراس السجون أن الرئيس صدام حسين أصدر عفواً عن الكرد .

وفي اجتماع عقده علي حسن المجيد في مكتب الشمال في (٧ / ٩ / ١٩٨٨) قرر ترحيل الناجين من حملة بادينان ـ الأنفال الثامنة ـ من سجون السلامية ومن قلعة دهوك ومن المواقع العسكرية الأخرى إلى المنطقة القريبة من مركز محافظة أربيل المعروفة بمجمع بحركي .

وبناءً على هذا القرار قامت السلطات الحكومية بتجميع المؤنفلين الناجين من حمم الموت خلال عمليات الأنفال الثامنة في منطقة بحركي وگردچال وجيّژنكان وبرحشتر وشاخولان ،وهي منطقة واحدة متلاصقة تعرف بمجمع بحركي ، وسيأتي الحديث عنها وعن أوضاع اللاجئين فيها في المبحث القادم .

وأما المجموعة الثالثة من المؤنفلين خلال عمليات الأنفال الثامنة فقد تحصنوا في قمم الجبال وبطون الأودية العميقة وبين الغابات الكثيفة لحين صدور العفو العام يوم (٦ / ٩ / ١٩٨٨) حيث سلموا أنفسهم للجيش العراقي واستفادوا من العفو ونجوا من الموت الجماعي ، وأسكنهم الجيش في المجمعات القسرية القريبة من مركز محافظة أربيل في مجمع بحركي أسوة بباقي المؤنفلين وانضمت هذه المجموعة إلى المجموعة الثانية في المجمعات المذكورة التي تطلق عليها مجازاً اسم المجمع وإلا فهي عبارة عن أرض جرداء مفتوحة مغطاة بالأشواك والأدغال والحشرات المؤذية .. وسيأتي الحديث عن هذه المجمعات بإسهاب في المبحث القادم ، مرحلة التجمعات القسرية وأوضاع اللاجئين فيها .

المبحث الثاني
مرحلة التجمعات القسرية

بعد إعلان العفو العام من قبل الحكومة العراقية في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) عن الكرد العراقيين خارج العراق وداخله ، باستثناء جلال الطالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني ، غيّرت الحكومة العراقية معاملتها مع الأسرى المؤنفلين ، وأوقفت الاعدامات الجماعية السرية بحقهم ، سواء كان سبب إصدار هذا العفو هو الضغوطات الخارجية بعد تسرب الأخبار التي تفضح الحكومة العراقية ، أو بسبب قناعة القيادة العراقية بسحق المقاومة الكردية المسلحة وتخلية المنطقة من (المخربين) [١] بقتلهم وأسرهم وطرد الباقين منهم خارج الحدود [٢] ومن الجدير بالذكر أن هذا العفو لم يشمل سوى وقف الاعدامات الجماعية التي كانت مستمرة من بداية حملات الأنفال في ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨ وحتى ٥ / ٩ / ١٩٨٨ حيث ذهب ضحيتها (١٨٢) ألف نسمة حسب الاحصائيات والتقديرات التقريبية المعلنة عنها [٣] .

أما بالنسبة لسائر حقوق المواطنة ، فبالرغم من أن القيادة العراقية قد تحدثت عن العفو العام إلا أنها أصدرت مرسوماً جمهورياً في (٨ / ٩ / ١٩٨٨) أي بعد صدور العفو بيومين يقضي بأن أي كردي عراقي جرى العفو عنه لا يحق له القيام بأي عمل أو حرفة إلا بعد مضي سنتين من هذا التاريخ .

---

(١) وهو مصطلح كانت الحكومة العراقية تستعمله للمقاومين الكرد .

(٢) ينظر : تقرير منظمة حقوق الإنسان ، التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، ص ٤٣٧–٤٣٨ .

(٣) ينظر : .

وبعد إعلان العفو مباشرة بدأت السلطات الحكومية بإطلاق سراح أولئك الأسرى الذين أسروا من خلال عمليات الأنفال ، باستثناء أسرى عمليات الأنفال الثامنة الأخيرة الذين كان ينتظرهم مصير محزن ، أما الأسرى الباقون الذين احتجزوا في توبزاوا ومعسكر دبس ونقرة سلمان فقد قامت السلطات الحكومية بتوزيعهم على المجمعات القديمة التي كانت الحكومة قد بنتها في محافظات كركوك وأربيل والسليمانية ، وانتهت الرحلة بالناجين منهم إلى عدد من المجمعات حسب أماكنهم الأصلية ، فقد تم توطين أسرى الأنفال من منطقة جنوب گرميان في مجمع الصمود الكبير والقريب من مدينة كلار ، في حين تم توطين أكثر الأسرى من منطقة شمال گرميان في مجمع شورش في ضواحي چمچمال ، أما الأسرى من منطقة الزاب الأسفل فتم توطينهم في مجمع بنصلاوه ، ودارتو ، في المنطقة السهلية جنوب مدينة أربيل .

وهؤلاء المجاميع من الأسرى الذين أطلق سراحهم لم تمنحهم الحكومة أية وسيلة للعيش في تلك المجمعات القسرية سوى قطعة أرض مجردة ، وفي حالات نادرة أعطتهم بنايات غير مسقفة ، وأمرتهم السلطات بأن يبنوا هم البنايات لأنفسهم ، علماً أن أكثر تلك العوائل كانت قد فقد شبابها في عمليات الأنفال ، وأصبحوا بلا معيل ، فكان الأمر صعباً عليهم جداً ، وقد فرضت السلطات عليهم عدم الخروج من المجمعات ، وأخذت منهم التعهدات بأن لا يذهب أحد منهم إلى قراهم المدمرة ، وهددتهم بالموت لكل من يخالف الأوامر ، فعاش هؤلاء في هذه الحالة المزرية والفقر المدقع .. وبقيت الأرامل تنتظر عودة الأزواج ، واليتامى يحلمون بمشاهدة آبائهم ، وطال الانتظار وبقي الحلم حلماً حتى انهارت حكومة البعث سنة ٢٠٠٣ وتبين لهم أنهم يأملون في السراب وينتظرون الوهم [١] .

---

(١) الجدير بالذكر هنا أن عدداً هائلاً من مؤنفلي گرميان من الرجال البالغين ما بين (١٥ ـ ٦٥) سنة حفرت لهم الأخاديد في صحراء محافظة الأنبار غرب بغداد ، وفي صحراء نقرة سلمان قرب محافظة السماوة جنوب العراق ، ثم أوتي بهم على شكل وجبات يومياً وأفرغوا من السيارات على حواف الأخاديد ، ثم أطلق عليهم النار من البنادق الرشاشة وألقوا في الحفر ، وقد شهد

أما بالنسبة للمؤنفلين الذين لجأوا إلى إيران واستقبلوا كلاجئين ، فقد سنحت لهم الحكومة الإيرانية فرص العمل وتركوا أحراراً كل يختار حسب ذوقه العمل الذي يحصل به على لقمة العيش ، واستمرت الحالة هذه لحين سقوط حكومة صدام ، فرجعوا تدريجياً إلى وطنهم ، ولا يزال عدد منهم باقياً هناك .

أما المنكوبون في عمليات الأنفال الثامنة فهم على قسمين : قسم لجأوا إلى تركيا ـ كما سبق الحديث عنهم ـ ، وقد أسكنوا في ثلاثة مجمعات رئيسية في ماردين وديـاربكر وموش ، وغالب هؤلاء رفض العفو العام المعلن عنه من قبل الحكومة العراقية في (٦ / ٩ / ١٩٨٨) وسيأتي الحديث عن أحوالهم بشيء من التفصيل لاحقاً .

والقسم الآخر وهم الذين وقعوا في الأسر قبل صدور العفو ، فقد أعدم الرجال منهم البالغين من بين (١٥ ـ ٦٥) سنة ودفنوا في مقابر جماعية ، ولم ينجُ منهم أحد فلا يعرف من أخبارهم شيء ، والذين سلموا أنفسهم بعد صدور العفو فقد حشروا في أرض جرداء قرب مجمع بحركي شمال شرقي مدينة أربيل ، وسيأتي الحديث عن أوضاع هؤلاء في المبحث التالي .

على هذا شهود عيان نجوا من الحادثة بأعجوبة ، وسأذكر بعض القصص الغريبة لهؤلاء من مبحث خاص ضمن هذا الفصل .

المبحث الثالث
أوضاع اللاجئين في المجمعات

أولاً : أوضاع اللاجئين في مجمع بحركي في أربيل :

عندما أنهت الحكومة العراقية عمليات الأنفال الثامنة في بادينان (محافظة دهوك) وذلك بعد أن تعرض المؤنفلون لأنواع من الابتلاء من قتل وتشريد وأسر ، وإزالة جميع القرى ، وطمس معالمها بحيث لا تعود صالحة للعيش فيها ، قرر علي حسن المجيد في اليوم (٧ / ٩ / ١٩٨٨) في اجتماع عقده في مكتب الشمال ترحيل الناجين من حملة أنفال بادينان من قلعة دهوك ، وقلعة نزاركي ، ومن معسكر السلامية قرب الموصل ، ومن مراكز قضاء عقرة وأتروش التابعة لمحافظة الموصل ، وكل من يسلم نفسه خلال مدة العفو إلى منطقة بحركي وهي أراضٍ جرداء تقع شمال غرب مدينة أربيل [1] .

وبدأت السلطات الحكومية بتنفيذ أوامر علي حسن المجيد ، وقامت بتجميع العوائل من المراكز المذكورة وغيرها ، وإرسالها بواسطة السيارات العسكرية والمدنية إلى تلك الأرض الجرداء في بحركي بلا مأوى ولا طعام ولا شراب ، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، ويعانون من حر الشمس في النهار وقر البرد في الليل ، حيث كان الشتاء على الأبواب .. وأصبح هؤلاء المنكوبين في وضع مأساوي لا يمكن التعبير عنه بالكلمات ، ولا يعرف بحقيقة كنهه إلا علام الغيوب ، فلم يكن يسمع إلا العويل والبكاء ، ولا يعلم هؤلاء ما تخبئ لهم الأيام ، كان الأطفال والعجزة يطلبون جرعة ماء

---

(١) ينظر : التطهير العرقي ، ص ٤٥٢ ، ترجمة د. رزكار .

ولا مجيب لطلبهم ، وعندما وصل هؤلاء إلى ما سمي بالمجمع وفي الساعات الأولى أرسل الحاج فاضل آغا ، وهو أحد وجهاء المنطقة ، وكان له حظ من اسمه فقد كان مشهوداً له بالفضل والإحسان ، وأصله من قرية جژنكان ، أرسل الخبر إلى مدينة أربيل فانتشر الخبر في المدينة سرعة النار في الهشيم ، وأسرع أئمة المساجد والجوامع ونادوا بمكبرات الصوت أن من أراد الجنة فها هي أبوابها مفتوحة في بحركي وجژنكان وضواحيهما ، ومن أراد ثواب الحج فليقصد هناك ، وتم تحريض الناس على جمع التبرعات بكافة أنواعها وشكل الأهالي لجاناً لإيصال التبرعات إلى اللاجئين وتوزيعها عليهم ، لإنقاذهم من الموت ، وعندما وصلت الوجبة الأولى من المعونات إلى المؤنفلين أطلق رجال الأمن النار على المتبرعين ومنعوهم من إيصال تبرعاتهم ، إلا أن شعب أربيل السخي اقتحم كل الحواجز لا يهابه الموت أو التهديد ، فغير المتبرعون طريقهم وحاولوا الوصول إلى المنكوبين من خلال الطرق الترابية ولو مشياً على الأقدام ، وواصلوا جهادهم هذا ليل نهار ، وهم يحملون ما يمكنهم من متطلبات الحياة من طعام وماء وألبسة وأحذية وحليب للأطفال ، بل حتى الأعمدة الخشبية والحصير وخزانات الماء ووسائل الوقود وغيرها .. وكانت الشاحنات تجوب شوارع أربيل وأزقتها وتدعو الناس إلى جمع المعونات ، وكان الأهالي بدورهم يضعون تبرعاتهم في تلك الشاحنات التي تمشي ببطء ، وكان الأطفال يشاهدون وهم ينزعون ثيابهم وأحذيتهم ويضعونها في سيارات جمع التبرعات ، وأصحاب الدكاكين والمحلات التجارية فرغوا شطر محلاتهم وأرسلوا الأمتعة إلى حيث المنكوبين ، وناشد الوجهاء الأطباء وذوي المهن الصحية لإيصال الاسعافات الأولية والأدوية إلى المنكوبين ، لاسيما أن فيهم مرضى وجرحى بسبب المآسي التي حلت بهم من جوع ونشر للأوبئة وضربات بالأسلحة الكيماوية وغيرها .[1]

---

(١) أجرى فريق عدلي لـ (MEW و PHR) تحقيقاً في مقبرة جژنكان ـ بحركي في حزيران ١٩٩٢ وسجل أبعاد (٨٥) قبراً لنزلاء المخيم منها (٧١) قبراً كان لأشخاص دون سن

ومع كثرة تعرض المتبرعين من أبناء أربيل للسجن والتعذيب والاستدعاء المتكرر إلى مراكز الأمن إلا أن كل ذلك لم يمنعهم من مواصلة جهادهم هذا بإيمان وإصرار ونشاط ، وما قام به أبناء أربيل الأماجد في تلك الفترة شيء يعجز القلم عن التعبير عنه ، ولما أيست السلطات الحكومية من منع أهل أربيل من مساعدة إخوانهم المنكوبين رفعت الحضر وخلت سبيلهم إلا إنها قامت بوضع سياج بشري من الجيش والشرطة ورجال الأمن حول المجمع لئلا يخرج أحد منه .

وفي تلك الفترة قللت الحكومة دورياتها حتى داخل مدينة أربيل خوفاً من أن تحدث بينها وبين الشعب مصادمات ، وبعد وصول المعونات إلى المخيم من خارج مدينة أربيل وبالأخص من مدينة دهوك ولكن خفية ومع الحذر الشديد ، لأن الحكومة كانت تراقب الوضع عن كثب وكان قد ألقي القبض على عدد من أهالي مدينة دهوك ممن كانوا يقومون بجمع التبرعات [1] .

وأتذكر أنه عندما قامت السلطات بتجميع المؤنفلين في مجمع بحركي توجهنا إلى هناك لنبحث عن أقربائنا وأصدقائنا حتى نطلع على أخبارهم التي كانت قد تقطعت عنا منذ أشهر ، وكنت أحد الواصلين إلى المجمع في الأيام الأولى واطلعت على مآسي الناس هناك ، وبينما كنت أبحث عن بعض الأقرباء وقعت عيني على شيخ كهل له لحية بيضاء

البلوغ .. للتفصيل ينظر : التطهير العرقي في العراق ، ترجمة د. رزكار ، ص ٤٥٣ ، وتدمير قرية كريمى ، ص ٦٥ و ٩٢ و ٩٥ .

(١) من هؤلاء الملا محمد الكوڤلي مؤذن الجامع الكبير في دهوك ، فقد سلمه بعض من يثق به مبالغ من المال خفية ليوصلها إلى المنكوبين في المجمع ، فتسرب الخبر إلى السلطات فألقي القبض عليه من قبل مديرية أمن دهوك ، وبقي في السجن أياماً ، ثم أفرج عنه بأعجوبة ، وكان قد التقى أثناء اعتقاله بالملا محمد أمين الذي كان إماماً وخطيباً في جامع باطوفة ، وكان قد تحدث في خطبة الجمعة عن موضوع الأنفال مبيناً المفهوم الشرعي لهذه الكلمة ، وانتقد في خطبته تلك ما قامت به حكومة البعث من تسمية حملتها الظالمة بهذا الاسم الشرعي ، وحذر المواطنين من الاقتراب من أموال المؤنفلين لكونها حراماً ، فألقي القبض عليه ، وبقي في المعتقل مدة تحت التعذيب حتى مات رحمه الله ، وقامت السلطات بدفنه سراً بملابسه .

يستظل بخرقة قماش ، وفي حجره مصحف يقرأ فيه ، وحوله بعض الأطفال والنساء ، ولما دققت النظر فيه تذكرته .. إنه الملا مصطفى من أهالي قرية (بيّسكيّ) الواقعة شمال غرب مدينة دهوك ، وكان إماماً وخطيباً لمسجد قريته ، ولما سلمت عليه عرفني ولما سألته عن حاله تلا علي قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] .ثم بدأ بشرح الآية ومما قاله لي يومئذ : لقد بلغ الخوف مداه ، ففي صبيحة اليوم (٢٥ / ٨ / ١٩٨٨) كنا في قريتنا مطمئنين فطلع علينا سرب من الطائرات وألقت علينا وابلاً من الدخان ، ثم تقدم الجيش نحونا من كل جانب ، منتهكين كل المحرمات ، إنه يوم شبيه بالقيامة ، بل إنه حتى في القيامة هناك شفاعة الشافعين ترجى ، أما هؤلاء القساة المعتدين فلا ينتظر منهم سوى الموت .. وكم من طفل مات جوعاً أو شيخ مات كمداً ! والأموال اعتبروها غنائم وما جمعناه كل العمر سلبوه في يوم واحد ، والأنفس فيكفي أنهم تركوني وحيداً أعيل كل من تراه من النساء والأطفال ، ربيناهم صغاراً وفقدناهم جميعاً في يوم واحد ، والثمرات أحرقوها من الأشجار ، فإلى الله المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .. وبعد رجوعي من هناك بأسبوع وصلني خبر وفاة هذا الشيخ الجليل .

ويذكر أنه في الأسابيع الأولى من وصول المؤنفلين إلى بحركي مات عدد كبير منهم لا سيما من الأطفال قال لي أحد شهود العيان ممن احتجز في المجمع [2] : أحياناً كنت أقضي ـ مع بعض الرجال الآخرين ـ يومي كله في المقبرة نحفر القبور وندفن الموتى وأكثرهم من الأطفال ، وقد توفي ما يقارب (٦٠) طفلاً من قرية واحدة فقط وهي قرية (وارخلي) التابعة لقضاء العمادية في تلك الفترة .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

(٢) وهو الأستاذ نصرت محمد حسن ، وكان أحد المؤنفلين في بحركي ، وهو الآن يعمل مديراً للأوقاف في مركز محافظة دهوك .

في الأشهر الأولى عاش المرحلون في بحركي تحت خيام من البطانيات وقطع النايلون والقماش ، ولم يكن بوسعهم بناء بيوت لهم هناك لعدم توفر الامكانيات ، لكن بعد حلول فصل الشتاء اضطروا إلى إنشاء ما يحميهم من برد الشتاء ، وقد تبرع أصحاب معامل البلوك والسمنت في أربيل بسخاء ، وكانوا أحياناً يبيعونهم تلك المواد بسعر زهيد حتى يتمكنوا من بناء بيوت متواضعة لهم .

وفي البداية لم تكن السلطات تسمح لأي شخص مغادرة المخيم ، وبعد ذلك أعطت السلطات بطاقات عدم التعرض لبعض المعتقلين لكي يدخلوا مدينة أربيل لغرض شراء بعض حاجياتهم الضرورية ، ثم تساهلت السلطات في الأمر وسمحت للمؤنفلين هناك بالنزول إلى مدينة أربيل لغرض ممارسة الأعمال الحرة ، فتوجه بعض القادرين على ممارسة الأعمال نحو المدينة ومارسوا عدداً من الأعمال والوظائف ، ولما كانت غالبية العوائل قد أصبحت بلا معيل بسبب اعتقال السلطات للشباب والرجال فقد ظهرت حالة الاستجداء في شوارع أربيل من قبل بعض الأطفال والنساء ..

وبحلول صيف ١٩٩٠ أخبرت السلطات مؤنفلي بحركي أنهم أحرار في مغادرة المجمع والرجوع إلى أماكنهم ، لكن الكثيرين منهم لم يجد لنفسه مأوى فبقي هناك وكان عددهم حوالي خمسة آلاف نسمة ، والعدد الأكبر منهم رجعوا إلى أماكن متفرقة في دهوك وبعض المجمعات التابعة لها .. وبقي الأمر كذلك حتى قيام الانتفاضة الشعبية في كردستان في آذار ١٩٩١ وما تبعها من التغييرات في الخريطة السياسية لكردستان فرجع المؤنفلون إلى قراهم وأماكنهم .

ثانياً : أوضاع اللاجئين في مجمع موش في تركيا :

سبق وأن ذكرت أوضاع مؤنفلين الحملة الثامنة حتى وصولهم إلى الحدود العراقية التركية ، وكيفية دخولهم إلى الأراضي التركية ، وما حل بهم من المآسي والويلات ، حيث عرضتهم السلطات التركية للجوع والبرد لإقناعهم على الرجوع إلى العراق ، أو الذهاب إلى إيران ، وبعد أن تأكدت للسلطات التركية عدم جدوى هذا التصرف

بدأت بتوزيع اللاجئين على مجمعات داخل أراضيها ، ومنها مجمع موش [1] الذي يقع غربي مدينة موش على بعد حوالي (١٠ ـ ١٥) كم ، وكان يحتوي على أبنية كونكريتية كل بناية ذات غرف ثلاثة مع مرافقها ومشتملاتها ، وقد أسكنت السلطات في كل بيت ما بين (٢٥ ـ ٣٠) نفراً ، أي : بمعدل (١٠) أشخاص لكل غرفة تقريباً ! وكان اللاجئون يعانون من ضيق المكان ، ولوقوع مدينة موش على ارتفاع كبير عن سطح البحر فإنها تعد من المناطق الباردة جداً في كردستان ، وبالتالي كانت العائلة الواحدة تحتاج إلى نسبة كبيرة من الوقود في فصل الشتاء القارس ، وقد ذكر لي بعض اللاجئين هناك أن الكمية التي كانت تمنح للعائلة الواحدة من الوقود شهرياً لم تكن تكفي لعشرة أيام ، وفي الأيام الأخرى كان بعضهم يضطر إلى استعمال الخرق البالية من القماش والألبسة العتيقة والبطانيات ، بل حتى المواد الغذائية كمادة للوقود ! مما عرضهم للخطر الكبير .

ولم يكن بوسع المنكوبين التحرك إلا داخل المجمع المسيج بالأسلاك الشائكة والحرس ، وهذا ما دفع باللاجئين إلى تنظيم مظاهرة سلمية يعبرون بها عن سخطهم من سوء المعاملة ، وتوجه المتظاهرون نحو مركز المدينة في (٢ / ٦ / ١٩٩٠) فقامت السلطات التركية بتفريق المظاهرة بعنف مما تسبب في سقوط عدد من الضحايا من بين قتلى وجرحى [2] فرجع المتظاهرون إلى المجمع بعد أن تسرب الخبر إلى وسائل الإعلام العالمية وتناقلته وكالات الأنباء .

وقد ذكر اللاجئون أنهم استفادوا من هذه المظاهرة لأن الحكومة اضطرت إلى تحسين معاملتها معهم بعض الشيء ، فقد أصبحت السلطات تسمح لعدد منهم بالنزول يومياً إلى مدينة موش لممارسة بعض الأعمال أو شراء بعض الحاجيات الضرورية بعد

---

(١) وموش هي مركز إحدى الولايات الكردية في كردستان الشمالية الواقعة شرق الأناضول .

(٢) منهم : دلاور تحسين جبي الذي مات في مستشفى أنقرة جراء ما تعرض له من الجراح أثناء التظاهر ، كما أفادني بذلك الملا إحسان جميل الدوسكي إمام وخطيب مجمع ازادي في ناحية سرسنك .

سحب الهويات منهم لضمان رجوعهم إلى المجمع ، ولم يمد أحد يد المساعدة لهؤلاء سوى أن أئمة المساجد والجوامع في موش وضواحيها قاموا بجمع بعض التبرعات من البطانيات وغيرها للاجئين وتوزيعها عليهم ، لكن تلك المساعدات لم تكن كافية ولم تسد حاجتهم .

أما بالنسبة للمواد الغذائية فكانت الحكومة التركية تقوم بتوزيعها عليهم إما بشكل يومي كالخبز ، أو بشكل أسبوعي كاللحم ، أما المواد الغذائية الأخرى كالزيت والسكر والرز والبقوليات فكانت توزع عليهم شهرياً .. هذا في البداية لكن الوضع تحسن فيما بعد بسبب انخفاض عدد اللاجئين من عشرة آلاف إلى حوالي النصف إثر ذهاب أعداد منهم إلى إيران والبلدان الغربية أو الرجوع إلى العراق .

وكان اللاجئون في مجمع موش يشكون في بادئ الأمر من عدم صلاحية المياه هناك للشرب إلا أن بعض المحسنين في المدينة قاموا بحفر عدد من الآبار على نفقاتهم الخاصة وبذلك انتهت أزمة المياه عندهم .

أما أوضاع الاجئين هناك من النواحي الأخرى كالناحية الدينية أو الثقافية أو الإدارية فقد تركتهم السلطات وشأنهم ، وكان من بين اللاجئين مثقفين وأصحاب شهادات ، وكان فيهم علماء ومشايخ يؤدون واجبهم الديني من إقامة الجمع والجماعات ، وإلقاء المواعظ والنصائح وتدريس العلوم الشرعية والعربية ، وقد قام هؤلاء بفتح مدرسة دينية لهذا الغرض ، كما كانت هناك مدرسة أكاديمية أخرى يقوم برعايتها والتدريس فيها بعض المثقفين من اللاجئين ، وقد قدمت هي الأخرى خدمات كثيرة للاجئين .

واستمر الحال على هذا الوضع أربع سنوات ، وبعد تقليص سلطة البعث عن كردستان إثر حرب الخليج ، وتأسيس برلمان كردستان ، قام وفد من البرلمان الكردي بزيارة مجمعات اللاجئين في تركيا ، وطلب الوفد من اللاجئين الرجوع إلى مناطقهم وفي الشهر التاسع من سنة ١٩٩٢ رجع اللاجئون من تركيا إلى أماكنهم .

ثالثاً : أوضاع اللاجئين في ماردين :

في جنوب مركز مدينة ماردين وقريباً من بلدة (قزل تبة) أقيم المجمع الآخر للمؤنفلين والبالغ عددهم حوالي (١٦ ـ ١٧) ألف نسمة من (٧٥) قرية من قرى محافظة دهوك حيث مسرح عمليات الأنفال الثامنة ، وكانت السلطات التركية قد نصبت (٢٧٥٠) خيمة فقط لذلك الجمع الكبير ، الذي عانى من أزمة سكنية شديدة ، وقامت السلطات بفرض حصار على المخيم وتطويقه بسياج من الأسلاك الشائكة والقوات العسكرية ، ولجأت السلطات إلى ممارسة العنف والمضايقة في حق اللاجئين ، وحرمتهم من أبسط حقوق اللجوء ، محاولة منها لحملهم على الرجوع إلى العراق ربما إرضاءاً للحكومة العراقية .

وفي أحد الأيام قامت السلطات التركية بحفر أخدود خارج المخيم بواسطة الآليات وأمام أنظار اللاجئين بغية تخويفهم وتهديدهم بالموت ، وكان رجال الأمن الأتراك يقتحمون المخيم بين الحين والآخر فيعبثون به ، ويلقون القبض على عدد من اللاجئين ويتهمونهم بممارسة أعمال سياسية غير مشروعة داخل المخيم ، فيزجونهم في السجون والمعتقلات الخاصة لعدة أيام ، ويمارسون معهم شتى أنواع التعذيب والإهانات ، لهذا اضطر بعض اللاجئين إلى طلب العودة إلى العراق هرباً من جحيم المخيم .

وتحت هذه الظروف القاسية التي مر بها المخيم تنشطت العناصر المثقفة من اللاجئين ، وشكلت عدة لجانٍ للقيام بإدارة المخيم ، وبذلت تلك اللجان جهوداً مضنية لتوحيد صفوف اللاجئين في المخيم ، وجمع كلمتهم في مواجهة التحديات التي تواجههم ، فضلاً عن القيام بحل المشاكل الاجتماعية داخل المخيم ، واستطاعت تلك اللجان بإمكانياتها الضعيفة من فتح عدد من المدارس الأكاديمية والشرعية ، وقد استفاد عدد كبير من أطفال اللاجئين من تلك المدارس ، وقد مرت تلك المدارس بظروف قاسية إذ كان يعوزها وسائل القراءة والكتابة ، لكنها مع ذلك أدت رسالتها بنجاح ملحوظ .

وقد عملت اللجان المشكلة من قبل اللاجئين على تحسين علاقتها بالسلطات التركية كما أمرتهم بذلك قيادة الحزب الديمقراطي التي كانت موجودة يومئذ في إيران كما أخبرني بعضهم بذلك .

وقد قام بعض علماء الدين من بين اللاجئين بتخصيص عدد من الخيام لتكون مساجد يؤدي فيها اللاجئون الجمع والجماعات ، وكان لعلماء الدين في المخيم الكلمة النافذة فيه ، وقد تعرض بعضهم للاعتقال وألوان من التعذيب من قبل السلطات لنشاطهم داخل وخارج المخيم ، حيث كانوا على اتصال دائم بعلماء الدين خارج المخيم ، وكانوا يطلبون منهم تزويد مدارسهم بالكتب والوسائل التعليمية الضرورية ، مع ملاحظة أن التحرك خارج المخيم كان ممنوعاً إلا في نطاق ضيق جداً لا سيما في الأشهر الأولى من وصولهم إلى المخيم ، ومن خلال اتصالاتي ومقابلاتي الشخصية ببعض اللاجئين هناك تبين لي أن معاناة اللاجئين كانت تتلخص في عدة أوجه :

منها : سوء معاملة السلطات التركية وقيامها ببث الخوف والهلع الدائم بين اللاجئين .

ومنها : المعاناة الشديدة من البرد الذي كانوا يتعرضون له في فصل الشتاء ، وعدم توفر وسائل التدفئة ، لدرجة أنهم كانوا يضطرون إلى حرق الملابس والبطانيات وبعض المواد الغذائية اتقاءً من البرد القارس الذي تسبب في موت كثير من اللاجئين ولا سيما الأطفال والمسنين ، بسبب سوء التغذية ، وعدم وجود حليب للأطفال ، وقد صرح لي أحدهم [1] والأسى يقطع قلبه أن ابنة رضيعة له ماتت في حضن أمها جوعاً دون أن يتمكن من توفير الحليب لها .

ولم تكتفِ السلطات بهذا القدر من التعذيب بل مارست الإرهاب بحقهم أيضاً إذ قامت بدس السم في الخبز الذي كان يوزع على اللاجئين ، كما حدث ذلك في مساء اليوم (٨ / ٦ / ١٩٨٩) إذ تواطأت السلطات التركية مع بعض عناصر المخابرات العراقية لتنفيذ هذا الفعل الشنيع ، وبعد توزيع الخبز بفترة وجيزة فطن الناس للأمر

---

(١) وهو سليم محمد حسين ، وهو من أهالي قرية گرماڤا .

فأعلنوا بمكبرات الصوت أن الخبز مسموم وعلى الجميع اجتناب تناوله ، لكن بعد ظهر ما يقارب من (٤٣٠٠) حالة تسمم ، وقد انتشر الخبر في سوائل الإعلام العالمية ، فاضطرت السلطات إلى معالجة الأمر بسرعة فأحضرت ما يقارب من (١٠٠) طبيب إلى مستشفيات ماردين وحولت الحالات الحرجة إليهم لمعالجتها ، وقد حاولت السلطات التركية جاهدة لتعتيم الأمر على وسائل الإعلام ، لكن بعد انتشار الخبر وافتضاح الأمر حضر أحد المسؤولين الأتراك العسكريين إلى المخيم في (٩ / ٦ / ١٩٨٩) لتبيين الأمر ، فحاول والي ماردين (أحمد نوروز) إقناعه بأنه لا صحة لهذا النبأ ، وأن المسألة لا تعدو من كونها حادثة تسمم عادية ، لكن بعض اللاجئين أثبت الجريمة بأدلة دامغة ، حينئذ أمر المسؤول العسكري الوالي بأكل قطعة من الخبز المسموم فامتنع ، واكتفى بشم الخبز فقط ، ومع ذلك شعر بالدوران فوراً وسقط على الأرض مغشياً ، فنقل إلى المستشفى ، ومع ذلك حاول الوالي ثانية تكذيب الخبر وأمر بالإفراج عن صاحب الأفران ، وأقنع المحققين بأن الحادثة ناتجة عن تعفن العجينة لاستعمال كمية كبيرة من الخميرة ..

وأصابع الاتهام في هذه الجريمة توجه أولاً لوالي دياربكر (أحمد نوروز) الذي عمل جاهداً على كتمان هذه الجريمة ، لا سيما أنه كان على علاقة طيبة بحكومة بغداد وكان قد زار العراق أكثر من مرة في تلك الأثناء ، وكافأته الحكومة العراقية بأن أهدت إليه سيارة مرسيدس .

وكان المسؤولون عن المخيم من الأتراك يمارسون دوماً ضغوطاً على اللاجئين ويحرضونهم على العودة إلى العراق مستفيدين من قرارات العفو الصادرة بحقهم عن الحكومة العراقية ، وإلا فإنهم سيرحلون عن الأراضي التركية جبراً .

وفي (١٦ / ٥ / ١٩٨٩) توجه وفد من عناصر الأمن والمخابرات العراقية إلى ماردين بهدف إقناع اللاجئين بالعودة إلى العراق ، وقد حاول والي ماردين أحمد نوروز بدوره إقناع اللاجئين باستقبال الوفد العراقي والاستجابة له ، وفي يوم (١٩ / ٥) وصل الوفد إلى المخيم لإلقاء كلمة على اللاجئين إلا أن اللاجئين عارضوا وجود الوفد

وطالب برجوع الوفد وهتفوا بحياة البارزاني وموت صدام ، ثم رشقوا الوفد بالحجارة ، بعدها ثار ثائرة الوالي وطالب الجيش باقتحام المخيم وإلقاء القبض على عدد كبير من اللاجئين وإخراجهم من المخيم تحت الضرب والتعذيب ، إلا أن الجماهير المحتشدة الغاضبة حالت دون إخراج المقبوض عليهم من المخيم ، وحرروهم من أيدي السلطات ، فطلب الوالي المزيد من القوات ، وطوق المخيم بالمدرعات والدبابات ، فأطلق الجيش النار في الهواء ترهيباً للاجئين .. ومع كل هذا رفض اللاجئون استجابة مطاليب الوفد العراقي بالرجوع إلى العراق ، وبقوا هناك حتى الشهر التاسع من العام (١٩٩٢) عندما طالبهم وفد برلمان كردستان بالرجوع إلى الوطن .

رابعاً : أوضاع اللاجئين في مجمع دياربكر :

المجمع الآخر الذي أعدته السلطات التركية للمؤنفلين كان في دياربكر المدينة الشهيرة في كردستان تركيا ، وقد اسكنت السلطات التركية حوالي (١٢ - ١٣) ألف لاجئ في هذا المجمع الذي كان في البداية عبارة عن خيم منصوبة على ضفاف نهر دجلة شرقي مدينة دياربكر ، وفي البداية عانى اللاجئون هناك معاناة كبيرة بسبب ضيق الخيام ومضايقة السلطات التركية لهم ، ولقلة توفر المواد الغذائية لهم ، وعدم تنظيم أمورهم ، وبعد فترة وجيزة من فتح المخيم زاره رئيس وزراء تركيا حينئذ تركت أوزال بمرافقة والي دياربكر ، واطلع هناك على أوضاع اللاجئين المأساوية ، فأمر بنقلهم من المخيم وإسكانهم في أبنية سكنية ، فنفذ الوالي توجيهاته ، ونقل اللاجئين إلى عمارات ذات طابع عمودي ، كل عمارة تتكون من ثلاث طوابق ، في كل طابق شقتان ، وكل شقة تتألف من ثلاث غرف بمشتملاتها الأخرى ، وكان نصيب كل أسرة غرفة واحدة ! وفي بعض الأحيان كان المطبخ أيضاً يخصص لسكنى عائلة واحدة ، وهكذا بقيت معاناة اللاجئين من ضيق المكان ، ومع ذلك كان اللاجئون في دياربكر أسعد حظاً من لاجئي موش وماردين ، مع أنهم في البداية كانوا محصورين داخل المجمع ومحاطين بسياج من الأسلاك الشائكة ، وتحت حراسة مكثفة ، وكانت السلطات تمنعهم من النزول إلى المدينة إلا لأغراض العلاج ، وكانت السلطات تمنع

وصول المساعدات إلى المجمع سواء قدمت من محسني المنطقة أو من الجهات الخيرية ، وكل من يحاول إيصال المساعدات إلى المجمع كان يعرض نفسه لخطر الاعتقال والتعذيب ، وبعد الزيارة الثانية لرئيس الوزراء أوزال إلى المجمع تحسنت أوضاعهم بشكل ملحوظ ، حيث سمحت السلطات للجهات الخيرية والمحسنين بتقديم التبرعات للاجئين دون مضايقة ، وكان رئيس الوزراء قد أمر بمنح اللاجئين بطاقات خاصة تجيز لحامليها التحرك بحرية داخل حدود ولاية دياربكر ، وتفسح لهم المجال لممارسة الأعمال الحرة ، وبذلك تمتع اللاجئون هناك بشيء من الحرية ، وتمكن أهل المنطقة من مد يد المساعدة لهم لا سيما في مجال الأعمال الحرة ، حيث كانوا يعطون العامل أجرة أكثر ، وكان بعضهم يمارس مهنة البيع والشراء داخل سوق دياربكر وعلى أرصفة الشوارع ، وكان أهل المنطقة يفضلون الشراء من هؤلاء وبسعر أغلى دعماً لهم .

وبهذا يتضح للباحث أن أوضاع اللاجئين في دياربكر كانت أحسن من أوضاع إخوانهم في موش وماردين وذلك لأسباب :

منها : زيارات المسؤولين الحكوميين المتكررة لهذا المجمع ، كزيارة رئيس الوزراء تركوت أوزال مرتين ، وزيارة السيد نجم الدين أربكان الذي قدم مبلغاً مالياً للاجئين ، ويذكر أن شخصيات عالمية زارت هذا المخيم كالسيدة دانيال ميتران التي قدمت مساعدات للاجئين ، وحصلت لبعضهم على حق اللجوء السياسي في بعض الدول الغربية .

ومنها : إن السلطات المحلية في الولاية فرضت هيمنتها على السلطات الأمنية والعسكرية المركزية بصدد الأمور المتعلقة بالنازحين .

ومنها : مناصرة الشعب الكردي في دياربكر لإخوانهم النازحين من كردستان العراق ، ولا عجب فدياربكر إحدى أهم قلاع الكرد من قديم الزمان .

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى تسيير أوضاع اللاجئين في دياربكر نحو الأحسن خلافاً للاجئين في موش وماردين .. لكن مع ذلك لم يسلم المنكوبون هناك من التهديدات والمضايقات في بعض الأحيان ، ويكفي أن نقول بأنه قد دُس السم لأبناء

المجمع في الخبز فأصيب نحو (٧٠) شخصاً بسبب تناولهم الخبز المسموم ، كما فعل باللاجئين في مجمع ماردين أيضاً ، لكن الإصابات هنا كانت خفيفة .

أما ما يتعلق بالناحية الإدارية والاجتماعية للاجئين في دياربكر فقد استطاع نخبة من النشطاء من اللاجئين تشكيل لجان فيما بينهم تشرف على أوضاع المجمع من شتى النواحي كتوزيع الأرزاق والمساعدات ، وحل المشاكل الداخلية ، والاتصال بالجهات الرسمية والحكومية ، وإيصال طلبات اللاجئين إلى الجهات المسؤولة ، وكان بعض علماء الدين الموجودين ضمن اللاجئين قد قاموا بتحويل بعض السراديب الموجودة تحت بنايات المجمع إلى مساجد لإقامة الجمع والجماعات ، وتدريس القرآن ، وبعض العلوم الشرعية البسيطة ، كما قامت الحكومة التركية بفتح بعض المدارس الأكاديمية باللغة التركية للاجئين ومنعتهم من فتح مدارس أكاديمية باللغة الكردية أو العربية .

أما ما يتعلق بجانب الرعاية الصحية فكانت الحكومة قد قامت بفتح مركز صحي داخل المجمع لمعالجة المرضى ، وإذا ما قرر الأطباء أن المريض بحاجة إلى مزيد عناية كان المركز الصحي يقوم بتحويل المريض إلى المستشفيات داخل مدينة دياربكر لمعالجته مجاناً على نفقة بلدية الولاية .

وخلال البحث الميداني واللقاءات التي أجريتها مع عدد من اللاجئين تبين لي أن الأوضاع في مجمع دياربكر كانت تمتاز بنوع من الهدوء والاستقرار والطمأنينة سواء من الناحية الأمنية أو الاجتماعية أو السكنية أو الاقتصادية ، بل حتى الظروف المناخية هناك كانت في صالحهم ، لذلك لم أجد أحد اللاجئين في دياربكر يشكو من قلة الوقود في الشتاء مثلاً كما كان الأمر في مجمع موش ، ويبدو أن هذه الظروف تسببت في انخفاض عدد الوفيات في مجمع دياربكر قياساً بوفيات مجمعي موش وماردين [1] .

وظل اللاجئون على هذه الحالة وهم ينتظرون العودة إلى بلدهم ، ولما حانت الفرصة إثر تداعيات حرب الخليج وقيام انتفاضة آذار ١٩٩١ ، ومن ثم قيام الدول

---

(١) مع ملاحظة أنني لم أقف على عدد الوفيات بشكل دقيق في هذه المجمعات الثلاث رغم البحث والتقصي .

المتحالفة بفرض المنطقة الآمنة في بعض مناطق كردستان ، وبعد أن طالب برلمان إقليم كردستان من اللاجئين في تركيا الرجوع إلى مناطقهم عاد هؤلاء إلى بلدهم .

المبحث الرابع
قصص لم يروها التاريخ

إن حياة الكرد مليئة بالقصص والمآسي لما تعرضوا له من النكبات والويلات بأيدي الحكام الطغاة الذين لا يعيرون للإسلام وزناً ، ولا للإنسانية قيمة ، طمعاً فيما في بلاد الكرد من الخيرات ، وفي القرون الأخيرة من تاريخ الكرد حدثت حروب طاحنة بين الكرد وشاهات الفرس ، وبينهم وسلاطين آل عثمان ، أما بين الكرد وبين العرب فلم تحدث أية معارك تذكر إلا في العقود الأخيرة ، وكانت العلاقات الكردية العربية علاقات أخوية ، وبعد نشوء الدولة العراقية الحديثة وإلحاق جزء من بلاد الكرد بهذه الدولة ، ووصول حكومات قومية إلى سدة الحكم في بغداد لا تعترف للكرد بأي حق ، ولا سيما حكومة البعث ، شنت على الكرد عمليات عسكرية ظالمة ، لا سيما العمليات التي سمتها حكومة بغداد بعمليات الأنفال إشعاراً بأن الكرد كفار وأن أموالهم وأعراضهم مباحة .

وهذه العمليات خلفت قصصاً نادرة ، ومآسي أليمة لا يمكن لشخص حصرها في كتاب ، وأبطال هذه القصص يعدون بالآلاف ، وصحاري الرمادي ونقرة سلمان ، وفيافي حضر والعرعر شاهدة على وحشية القائمين بهذه العمليات المشينة ، والذين شاهدوا الموت وهو يزحف في الأخاديد ويأخذ بخناق الضحايا ، ثم شملتهم العناية الإلهية فنجوا من الموت المحقق ليكونوا من ثم شاهدي عيان على هذه الجريمة النكراء هم عدد ضئيل لا يتجاوزون خمسة شهود ـ حسب ما وصل إليهم علمي ـ ، أما منفذوا الجريمة فهم كثيرون لا ريب ، لكنهم لا زالوا يؤثرون الصمت ، ستراً لجريمتهم أو خوفاً على أنفسهم من العقاب ، لكن واحداً من هؤلاء فقط أدلى بشهادته ـ حسبة لله ـ وذلك بعد انهيار حكومة البعث ، وذلك خلال لقاء صحفي ، وكشف النقاب عما

قامت به حكومة البعث من جرائم الإعدامات الجماعية ، فنالته يد الإرهاب واغتالتـه ، وسأختم هذا المبحث بذكر شهادته واستشهاده .

وأود أن أذكر هنا أنني أعرضت عن ذكر قصص انتهاك أعراض العفيفات داخـل المعتقلات ، واستدعاء زبانية الاستخبارات والأمن لهن بعد منتصـف الليـالي .. وذلـك ستـراً لهن ورحمة بمشاعر القراء .

القصة الأولى : فرج الراجع من الموت بقدميه :

فرج محمد عزيز .. كردي بسيط من مواليد قرية (طوبخانه) التابعة لناحية قـادر كرم في محافظة كركوك ، ولد سنة ١٩٥٠ ، وكان أباً لتسعة أولاد ، ولم تكن الأنفـال هي المأساة الأولى التي حلت بفرج وأسرته وقريته ، فما أكثر ما تعرضت قريته للحـرق والتدمير خلال عمر الحركة الكردية المسلحة ، وكان لا يزال يذكر اعتقال العسكر له سنة ١٩٨٥ عندما كان راجعاً من كركوك إلى قريته لا لشيء إلا لأنه ولد كردياً .

بعد بدء عمليات الأنفال الثالثة في منطقتهم (گرميان) استطاع فرج لحسن حظه أن يرسل عائلته خفية إلى ناحية قادر كرم لتختفي عند قريب لهم هنـاك قبـل أن تصـل القوات الحكومية إلى هناك ، لتحرق القرية بما فيها ، ومنها بيت فرج مع كل ما يملك ، ولم يلتحق فرج بأسرته بل حاول أن يختفي في المنطقة حتـى حـين ، وبعـد انتشـار خـبر صدور العفو سلّم فرج نفسه إلى أحد أفواج الدفاع الوطني المؤلفة مـن الكـرد المـوالين للحكومة ، بعد أن أخذ ـ هو ومن معه ـ الوعد من مستشار الفـوج أنـه لـن يمسـه أي سوء ، ولكن الوعد لم ينفذ وكان العفو أكذوبة ، فسُلّم فرج وغيره ممن سلموا أنفسهم إلى الجيش ، وسيقوا إلى معسكر طوبزاوه ليلاً ، وهنـاك تم فـرز الأسـرى كـل حسـب جنسه وعمره ، وتم تسجيل أسمائهم وعناوينهم ، ومن ثـم تليـت الأسمـاء وأدخلـوا في سيارات خاصة أشبه ما تكون بسيارات الإسعاف يسوقها العسكر ، وفي كـل سـيارت حوالي (٥٠) راكباً .. في الساعة العاشرة والنصف ليلاً جاء دور فرج ليركب تلـك السيارة التي تقطع صلته بالعالم الخارجي وتذهب به إلى مصير مجهول ، لم يرَ فرج سوى من معه من المنكوبين ، حتى السائق لم يكن بوسعه أن يراه ، لأنه في مقصورة منعزلـة ،

وسارت السيارة على طريق معبد اليوم كله ، وقبل أن توقف السيارة سيرها بحوال نصف ساعة انحرفت عن الطريق المعبد واتجهت صوب طريق ترابي .. هكذا أحس فرج وأصحابه دون أن يروا شيئاً لعدم وجود شبابيك مفتوحة في السيارة !

بعد وقوف السيارة ، وقبل أن يفتح بابها تناهى إلى سمع فرج وأصحابه صوت إطلاقات نارية ، استنتجوا منها أنهم في مكان أعد لإعدامات جماعية ، وأن هناك وجبات سبقتهم ، فانقطع كل خيط كل أمل يربطهم بالحياة وأيقنوا أنهم على مقربة من الموت .. ثم فتح باب السيارة ، فتبين للمنكوبين أن ما تخيلوه داخل السيارة هو جزء يسير مما يحدث في هذه الصحراء القاحلة ، بل بدا لهم وكأنهم أحضروا إلى ساحة الحشر التي سمعوا بها في المواعظ ، الغبار يعلو من آليات الحفر والجثث ملقاة هنا وهناك ، وصوت الرمي يزداد بكثافة .

تقدم جنديان نحو السيارة ليأخذ كل واحد منهما بيد ضحية أمام من في السيارة ، ثم قاما بتعصيب عيونهما وتكبيل أيديهما ، ورميا بهما أرضاً ، وكانت السيارة واقفة على شفا حفرة ، ثم فتح الجنديان النار على الضحيتين فوقعتا داخل الحفرة ..

يصف فرج الموقف قائلاً : كنت أنا وابن عمي صالح جالسين على مقعدين متلاصقين ، وعلى المقعدين اللذين أمامنا كان هناك شابان جالسان وهما في منتهى الجمال والأناقة ، وقبل أن يصل الدور إليهما وجدتهما يلتصقان ببعض خوفاً مما يقترب منهما ، فأشفقت أن أراهما يقتادان للموت وطلبت من ابن عمي أن يقبل في أن نتبادل أنا وهو مقعدينا بمقعدي الشابين حتى لا أرى موتهما أمامي ، فوافق ابن عمي ، ولمسنا الرضا من الشابين أيضاً ، وقبل أن يأخذ الجندي بيدي كنت أقرأ مع نفسي آية الكرسي وألهج بالدعاء إلى الله ، وجاء الدور علي وعلى ابن عمي ، وأخذنا خارج السيارة ، وبعدما عصب الجندي عيني وكبل يدي أخرج من جيبي ما فيه ورما بي أرضاً ، وقبل أن أسمع الطلقة تدخل جسدي جال بخاطري صورة أولادي وزوجتي ، وتمنيت أن أعرف ما جرى لهم ثم تذكرت ما سيحدث لهم حين يطول انتظارهم لي ، وكانت الشمس حينئذ في طريقها للغروب ، وبعد سماعي لصوت الطلقات انتهى إلى

سمعي صوت صراخ ابن عمي فأيقنت أنه قد سبقني إلى الموت ، ثم لم أعد أشعر بما حولي ، وكأنه قد أغمي عليّ ، وفي وقت ما انتبهت فشعرت بشخص يسحبني ليرميني داخل الحفرة التي كانت عميقة بقدر طول شخص ، وبعد سقوطي في الحفرة علمت بأنني وقعت على جثث من سبقني إلى هذا المصير المؤلم ، وكان صوت الآليات وهي تحفر وأنين المحتضرين وهم يموتون تختلط معاً ، وفي الحفرة حركت جسمي لأعلم ما الذي أصابني فتيقنت أن الطلقات لم تصبني بقدر من الله ، ولكنني وقعت على الأرض فظن الجنود أنهم أصابوني .. فبقيت على حالي أحاول التظاهر بالموت حتى تهدأ الأوضاع ثم حاولت فك يدي وبعدما أفلحت في ذلك رفعت العصابة عن عيني ، وحاولت أن أزحف على بطني كي أبتعد قليلاً عن جانب الحفرة كي لا أطمر تحت التراب ، وكان الليل قد بدأ يزحف بظلامه على المنطقة ، وعندما ابتعدت عن أضواء السيارات حاولت أن أتسلل بعيداً عن المنطقة ، ومشيت وقتاً طويلاً أحاول الابتعاد عن المنطقة التي لا أعرف عنها شيئاً ، وكلما وجدت ضوءاً أو سمعت صوتاً هربت بعيداً خوفاً من أن يكتشف أمري ، وهكذا قضيت الليل كله في هرب وتسلل ، وعندما بزغ الفجر صادفت جدولاً من الماء فجلست هناك أشرب الماء ، وأستريح من التعب وأنظف ملابسي ، ثم فوجئت برجل راعٍ يقترب مني ولما لم أجد مجالاً للهرب بقيت في مكاني ، فاقترب مني وسلّم عليّ ، فتبينته فإذا هو رجل كردي ، وعلمت منه أنه من أكراد إيران المعارضين وأنه يعيش في مجمع قريب من مدينة الرمادي ، وأنه يعمل راعياً هنا ، فأخبرته أنني أعمل سائقاً لدى دائرة الأشغال ، وأن سيارتي انقلبت في الطريق ، وأنني لا أعرف شيئاً عن الطريق ، فأرشدني الرجل وبيّن لي مكان المجمع ، ودلني على بيت يعمل صاحبه سائقاً ، وقال : لعله يوصلك إلى مدينة الرمادي .. وبعد حوادث يطول ذكرها استطاع فرج إن يعود مختفياً إلى بغداد ومنها إلى مدينة كركوك حيث التقى بأسرته ، وظل هناك مختفياً حتى سقوط قيام انتفاضة ١٩٩١ ، حيث لجأ مع أهله إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

القصة الثانية : وعزيز هو الآخر نجا من الموت بأعجوبة :

عزيز كردي آخر من منطقة ليلان ، شاء القدر أن يدفع به إلى أيدي قوات الحكومة وهي تقوم بعملياتها في منطقته ، ولا تختلف قصته عن قصة فرج إلا في نهايتها ، فقد وصل عزيز هو الآخر في مساء يوم ما إلى صحراء الموت في سيارة تشبه تلك التي أتت بفرج وصحبه ، يقول عزيز : عندما وقفت بنا السيارة في مكان الإعدامات قريباً من (أصحاب الأخدود) نظر بعضنا من فتحة كانت بباب السيارة فعلمنا أن فتح الباب يعني انتهاءنا ، فقررنا فيما بيننا أن يهجم أحدنا على من يفتح الباب ما دام أنه الموت لا محالة ، وأبدى شاب اسمه سلام استعداده للهجوم على العسكري الذي يقدم إلينا .

وعندما فتح الجندي الباب ضربه سلام فجأة ضربة شديدة أوقعته أرضاً ، فأطلق الجندي الآخر النار عليه وأراده قتيلاً ، وعندما اقترب الجندي من السيارة هاجمنا عليه معاً ، فما كان من الجنود الواقفين قريباً من السيارة إلا أن هجموا علينا وأمطروا سيارتنا بالطلقات ، وسقط منا الكثيرون حتى الجندي الذي كان قريباً من قتل هو الآخر ، وأصبحت السيارة كالغربال نتيجة للرمي المكثف ، وتيقن الجنود أن جميع من في السيارة قد قتل ، لكنني شعرت بعد مدة أنني لم أصب بأي إطلاقة ، فتظاهرت بالموت ، وانشغل الجنود عنا ، وعندما ساد الظلام المنطقة تسللت على غير هدي ، لا أدري أين أنا وأين أقصد ، لكن كل ما علمته هو أنني وصلت بعد طلوع الشمس إلى مجمع ما ، فتظاهرت بأنني قد فقدت الطريق ، فهداني بعض الناس إلى كراج السيارات وأخبروني أن السواق سيأخذونني إلى مدينة الرمادي ..

وبعد سفر شاق رجع عزيز هو الآخر من رحلة الموت ، ليكون شاهداً على جريمة يندى لها جبين العصر خجلاً ، تلك هي جريمة الأنفال !

القصة الثالثة : زبيدة تروي مأساة الاعتقال :

زبيدة زوراب حمه جان واحدة من آلاف المؤنفلات اللواتي سقن إلى المعتقلات ، فذقن فيها صنوف الهوان وألوان العذاب .. وهي من مواليد ١٩٣٢ ، ولدت وعاشت

في قرية (زينان السفلى) ، وكانت ككل أهالي قريتها تعمل في تربية الأغنام والمواشي فضلاً عن العمل في حقول الزراعة ، كانت متزوجة من ابن عمها (حميد) ولها منه طفلان ، تعرض بيتها خلال عمر الحركة الكردية للتدمير أكثر من مرة ، كان آخرها سنة ١٩٨٨ أثناء قيام الجيش العراقي بشن عمليات الأنفال في منطقة گرميان ، وكان أهل المنطقة قد سمعوا بقيام الجيش العراقي بتدمير منطقة قرداغ عن بكرة أبيها ، وأن الدور قد جاء على منطقتهم فتركوا منازلهم فارين بأرواحهم إلى الجبال والأدغال ، وبعد تجمعهم هناك حاروا في أمرهم ومصيرهم ، فرأى البعض أن الأفضل أن تذهب النساء والأطفال إلى المدن مستبعدين أن تتعرض لهم الحكومة ، لكن القتل العام الذي حل بأهالي منطقة قرداغ وعدم الفصل بين المدنيين العزل والمسلحين المقاومين جعل هؤلائ يترددون في رأيهم .. وبينما هو في حيرتهم فوجئوا بالجيش يحيط بهم من كل جانب ، ووسط بكاء الأطفال وعويل النساء قبض الجيش على كل من هناك بما فيهم زبيدة ، تقول زبيدة : وقبل أن يجبرونا على الصعود في السيارات العسكرية أخذ الجنود كل ما معنا من النقود والذهب ، حتى الخواتيم والأسورة نزعوها من أيدينا ، ثم نقلونا بسياراتهم إلى المعسكرات الخلفية في (قورَتو) ، وخلال يومين جمعوا هناك عدداً كثيراً من المعتقلين ، ثم بدأوا بنقلنا من هناك على شكل وجبات فوصلت وجبتنا ليلاً إلى معسكر توبزاوا ، وهناك قاموا بتسجيل أسمائنا وعناويننا ، ثم قاموا بفرزنا حسب الأعمار والأجناس ، فأخذوا الشابات والصبايا إلى قاعة خاصة ، والعجزة والشيوخ في مكان آخر .. وهكذا ، وعندما أخذوا الشابات علت الصياح والعويل منا وكانت الشابات تتشبث بآبائهن وأمهاتهن خوفاً من المجهول القادم ، فأخذن بالقوة من قبل الجنود الذين كانوا يضربوهن بأعقاب بنادقهن بقسوة ويجرهن إلى القاعة المخصصة لهن !

والشباب أيضاً أخذوا إلى قاعة أخرى خاصة بهم .. تقول زبيدة : وقد رأينا من خلال شبابيك القاعة كيف أنهم أخرجوا الشباب وأوقفوهم أمام باب القاعة تحت

أنظارنا ثم جردوهم من ملابسهم الخارجية وكتفوا أيديهم من الخلف ، وعصبوا أعينهم ، ثم جاءوا بالسيارات التي حملتهم إلى مصير مجهول .

تواصل زبيدة قصة مأساتها فتقول : بتنا ليلة واحدة في المعسكر ، وفي اليوم التالي أمرونا بالصعود في السيارات حسب القوائم التي هيأت في الليل على حسب الأعمار ثم نقلونا إلى مناطق لا نعرفها سوى أنها كانت مناطق عربية ، علمنا ذلك من خلال ملابس الناس الذين كنا نلمحهم من شبابيك السيارة .

وأثناء رحلة العذاب هذه عانى المعتقلون من الجوع والعطش ، وعندما كانوا يتوسلون إلى الجنود المرافقين لهم والسواق لكي يقدموا لهم جرعة ماء ، ما كانوا يلاقون منهم سوى الشتم واللعن .. وهكذا حتى وصلوا إلى صحراء قاحلة ليس فيها سوى الرمال وقلعة كبيرة تبدو كسجن صغير داخل سجن كبير شاسع ، وهناك وزع المعتقلون على غرف القلعة التي بدت وكأنها اصطبلات لا غرف ! وبعد وقت غير طويل تكدست غرف القلعة بالمنكوبين .

تقول زبيدة : هناك كانوا يقدمون لكل معتقل في اليوم الكامل صموناً واحداً وكان عليه أن يدقه بالحجر حتى يتمكن من أكله ، بعد أن يصب عليه جرعة من الماء الحار .. وكان على المعتقل أن يقف في طابور طويل حتى يحصل على قدح واحد من الماء الحار هذا إذا أسعده الحظ فلم ينفد الماء قبل وصوله إلى مكان التوزيع !

وعندما أقبل شهر تموز اللاهب شعر المعتقلون وكأنهم في تنور مسجور ، ونكاية بهم كان الجنود يخرجونهم في عز النهار إلى ساحة القلعة الداخلية أمام عين الشمس الحارقة ، وفي الليل كانوا يجبرونهم على النوم داخل الغرف المليئة بالمعتقلين .

وأغرب ما رأته زبيدة في القلعة حتى كادت تصيب بالجنون تلكما الغرفتان الرهيبتان اللتان كان الجنود يفتحون بابيهما حسب الأوامر للمعتقل الذي يبدي امتعاضاً أو تمرداً ، تقول زبيدة : ذات مرة أوقفني شرطي من أمن القلعة أمام باب إحدى الغرفتين وترك لي المجال كي أرى ما بداخل الغرفة ، فوقفت كمن أصيب بتيبس أعضائه ! رأيت جثثاً معلقة بالحبال ، وقد مثل بها ، وفي أرض الغرفة قطع بشرية

مرمية ، فأصبت بالهلع ، ولما رأى الشرطي أن الرسالة قد وصلت تركني ومضى لسبيله ..

وهكذا قضت زبيدة ومن معها سبعة أشهر وخمسة عشر يوماً في قلعة (نقرة سلمان) ، لكن أقسى شيء رأته زبيدة هناك مما لا يزال عالقاً بذهنها هو الوحشية التي أبدتها السلطات تجاه الموتى ، تقول زبيدة : كان الحراس يأخذون جثث الموتى وينقلونها خارج القلعة ، وبدلاً من دفنها كانوا يرمونها في العراء ، وربما جاءت الكلاب ليلاً لتنهش جثث موتانا ، وقد أصبحت بطون الكلاب مقابر لنا ! [1]

القصة الرابعة : عربي يشهد على المذبحة فيغتال :

عبد المحسن موحان مراد عربي من مواليد قرية (أم ريعان) التابعة لقضاء الحسين في محافظة واسط ، ولد سنة ١٩٦١ في وسط عائلة فلاحية تمتهن الزراعة وتربية المواشي ، ومع أن جميع أفراد أسرته كانوا محرومين من الدراسة إلا أن عبد المحسن استطاع أن يصل إلى الصف الثالث المتوسط ، ثم إنه اضطر إلى ترك الدراسة لأسباب معيشية ..

في سنة ١٩٧٨ انخرط عبد المحسن في صفوف الجيش متطوعاً ، وعمل في أماكن متفرقة من العراق ، يقول عبد المحسن : في سنة ١٩٨٨ كنت سائق شفل على ملاك مديرية أمن الكوت ، وقد تم نقلي مع عدد من السواق أمثالي إلى مكتب تنظيم الشمال في كركوك ، وبعد مباشرتنا بالدوام في (٢١ / ٧ / ١٩٨٨) أخذونا مباشرة إلى مخازن المواد الغذائية الواقعة على طريق كركوك بغداد ، ووجدنا هناك آليات كثيرة

---

(١) لا أستبعد أن يكون من الصعب على من لم يعايش حكم نظام البعث في العراق أن يصدق بسهولة مثل هذه الأخبار ، لكنني أشهد الله أنني سمعت من امرأة أخرى أعرفها وكانت من بين المعتقلات ذكرت أن طفلاً صغيراً لها مات في المعتقل ، فسلمته إلى أحد الحراس وطلبت منه أن يدفنه خارج القلعة ، فاستجاب لها الشرطي لكنه لم يدفنه بشكل صحيح بل وضعه على الأرض ووارى عليه شيئاً من الرمل ، تقول المرأة : ولقد رأيت من شباك القلعة كلباً ينهش في جثة طفلي !

من حفارات وشفلات جاهزة ، فوضعنا هناك تحت إمرة الرائد (عبد) المنتسب إلى مكتب تنظيم الشمال ، ومكثنا هناك عشرين يوماً ننتظر الأوامر ، ثم جاءنا في يوم من الأيام الرائد (نزهان) الذي نقل بعض الأوامر إلى الرائد (عبد) ، وبعد عودته استدعانا الرائد عبد أنا وسائقاً آخر معي اسمه فرحان ، وأمرنا أن نذهب مع شخص من سرية حماية (علي حسين المجيد) ، فأرشدنا هذا الشخص إلى مكان قرب معسكر طوبزاوا خصص لإعدامات جماعية ، وعندما وصلنا إلى ذلك المكان وجدنا هناك كلاً من الرائد نزهان والرائد عبد والعشرات من الحرس الخاص من سرية حماية (علي حسن المجيد) ، فأمرونا بحفر خنادق على شكل صندوقي ، فبدأنا بالحفر من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثامنة مساءً ، فتمكنا من حفر خمسة خنادق طول كل خندق من (٢٠ ـ ٢٥) متراً وبعمق (٢ ـ ٣) أمتار .. وبعد انتهائنا من الحفر أمرونا بالعودة إلى مقر سكنانا في منطقة المخازن ، وفي ليلة (١٢ / ٨ / ١٩٨٨) في الساعة العاشرة جاء الرائد نزهان التكريتي وطلب منا الذهاب معه ، فرافقناه إلى مكان الحفر ، فوجدنا المنطقة مطوقة من قبل القوات الخاصة ، وكان مدير مكتب تنظيم الشمال (طاهر جليل حبوش) واقفاً هناك ، وبعدها بقليل جاءت فرقة الإعدامات المؤلفة من أحد عشر شخصاً كلهم يلبسون البدلات العسكرية الزيتونية اللون ، ويحملون في أيديهم مسدسات كاتمة الصوت ، ثم رأينا ست سيارات خاصة تشبه سيارات الإسعاف ، لكن كل واحدة تسع حوالي (٥٠) شخصاً ، فوقفت بالقرب من حافات الخنادق ، ثم أمر (طاهر حبوش) بتشغيل جميع الآليات وبرفع أصواتها ، وبعدها فتحت أبواب السيارات ، فأنزلوا منها المعتقلين الواحد تلو الآخر ، وعلمنا من ملابسهم أنهم من الأكراد ، وكان المعتقل يسلم إلى واحد من فرقة الإعدامات فيطلق على رأسه طلقة واحدة ويرميه في الحفرة ، وكان المعتقل معصوب العينين ومكبل اليدين ..

يقول عبد المحسن : فشعرت بفداحة الجريمة التي اقترفناها ، ولكن ما الحيلة والمصير نفسه بل أبشع منه ينتظرنا نحن أيضاً إن خالفنا الأوامر !! وبعد ملئ الحفر بالضحايا أمرونا بطمرها وتسويتها بالأرض ، وقبل رجوعنا من مسرح الجريمة خاطبنا

الرائد نزهان التكريتي قائلاً : لقد شاهدتم الأمر بأعينكم .. أي شخص يبوح بما رأى لأي شخص سيكون مصيره مع عائلته أسوأ من مصير هؤلاء .. وبعدها أعادونا إلى مقرنا السابق .

ومع أن عبد المحسن شعر بتأنيب ضمير ، وعدم راحة ، إلا أن هذه العملية لم تكن الأخيرة ، فقد شارك في عمليات أخرى شبيهة بهذه في أماكن متفرقة في كركوك وتكريت وغيرهما ، لكن أسوأ جريمة شاهدها عبد المحسن كما صرح بذلك هو ما رآه في إحدى تلك العمليات حيث رأى بين المعتقلين امرأة تحتضن طفلها الرضيع الذي قد لا يتجاوز الشهر ، فأطلقوا النار على الأم ورموها في الحفرة وسقط الطفل معها ، والغالب على ظن عبد المحسن أن الطفل لم يصب وكان حياً فوقع هو الآخر في الحفرة وأهالوا عليهم التراب ..

وبعد سقوط حكومة البعث اختار عبد المحسن الإقامة في مدينة كركوك مع عائلته ، وتكفيراً للذنب الذي طالما أشعره بالندم اتصل ببعض الجهات الكردية المسؤولة وتطوع للكشف عن عدد من أماكن المقابر الجماعية .. وبعد إدلائه لشهادتة هذه لبعض الصحف الكردية ، لاحقته أيادٍ آثمة فاغتالته وهي تظن أنها ستخفي بذلك الوجه البشع للقائمين بهذه المجازر !

المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء ورجاء	٧
كلمة لا بد منها	٩
المقدمة	١٣
الباب الأول : الأنفال في الإسلام	١٩
الفصل الأول : تعريف الأنفال ، حكمها ومشروعيتها	٢١
المبحث الأول : تعريف الأنفال لغة واصطلاحاً	٢٣
المطلب الأول : تعريف الأنفال لغة	٢٣
المطلب الثاني : تعريف الأنفال اصطلاحاً	٢٤
المبحث الثاني : حكم الأنفال ومشروعيتها	٢٧
الفصل الثاني : الأنفال ودار الحرب	٣١
المبحث الأول : تعريف الدار	٣٣
المطلب الأول : تعريف الدار لغة	٣٣
المطلب الثاني : تعريف الدار اصطلاحاً	٣٥
المبحث الثاني : وصف القرآن للدارين وتعريفهما عند الفقهاء	٣٧

المطلب الأول : وصف القرآن للدارين	٣٧
المطلب الثاني : تعريف الدارين عند الفقهاء	٣٩
المبحث الثالث : هل تنقلب دار الإسلام إلى دار حرب ؟	٤٣
الفصل الثالث : كردستان العراق دار إسلام	٤٩
المبحث الأول : لمحة تاريخية عن الكرد ودخولهم في الإسلام	٥١
المطلب الأول : الكرد قبل الإسلام	٥١
المطلب الثاني : الكرد بعد دخولهم في الإسلام	٥٣
المبحث الثاني : جهود الكرد في خدمة الإسلام	٥٨
المطلب الأول : المجال الجهادي (العسكري)	٥٨
المطلب الثاني : المجال العلمي	٦٢
المبحث الثالث : كردستان العراق دار إسلام	٦٨
الفصل الرابع : عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج	٧٣
المبحث الأول : تعريف الفتن والهرج	٧٥
المطلب الأول : تعريف الفتن لغة	٧٥
المطلب الثاني : تعريف الفتن اصطلاحاً	٧٥
المطلب الثالث : تعريف الهرج لغة	٨١
المطلب الرابع : تعريف الهرج اصطلاحاً	٨١
المبحث الثاني : أنواع الفتن	٨٣
المبحث الثالث : موقف الصحابة من الفتن التي وقعت في عهدهم	٩٣

المبحث الرابع : موقف المسلمين من الفتن	٩٧
المبحث الخامس : حكم المشاركة في الفتن	١٠٦
المبحث السادس : عمليات الأنفال في كردستان العراق كانت من الفتن والهرج	١١١
الباب الثاني : حملات الأنفال في كردستان العراق	١١٩
الفصل الأول : الكرد وتشكيل الدولة العراقية	١٢١
المبحث الأول : الوضع في كردستان قبل نشأة الدولة العراقية	١٢٣
المبحث الثاني : نشأة الدولة العراقية وإلحاق جنوب كردستان بها	١٢٨
المبحث الثالث : القضية الكردية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٦٨	١٣٣
المبحث الرابع : حزب البعث والقضية الكردية	١٣٩
الفصل الثاني : حملات الأنفال في كردستان العراق	١٤٥
المبحث الأول : عملية الأنفال الأولى	١٤٧
المبحث الثاني : عملية الأنفال الثانية	١٥٤
المبحث الثالث : عملية الأنفال الثالثة	١٦١
المبحث الرابع : عملية الأنفال الرابعة	١٧٦
المبحث الخامس : عملية الأنفال الخامسة والسادسة والسابعة	١٨٨
المبحث السادس : عملية الأنفال الثامنة خاتمة الأنفال	١٩٧
الفصل الثالث : مرحلة ما بعد الأنفال	٢٠٧
المبحث الأول : مرحلة ما قبل التجمعات القسرية	٢٠٩
المبحث الثاني : مرحلة التجمعات القسرية	٢١٧

المبحث الثالث : أوضاع اللاجئين في المجمعات	٢٢٠
المبحث الرابع : قصص لم يروها التاريخ	٢٣٤
المحتويات	٢٤٤